توضيح مقاصد الأعيذة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البكر

إعداد
عبد الرحمن بن صلاح السجسي

دار التقويم
 حقوق الطبّع محفوظة للمؤلف إلا من أراد طبعه وتوزيعه
مجاناً بعد أخذ إذن خطى من الناشر
الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

دار الطبع والنشر
 الرياض - ص.ب: ٢٢٧٧ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦
 هاتف: ٥٠٤٩٢٥٠٦ - فاكس: ٤٩٢٥٠٦٧٠
Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM
المملكة العربية السعودية
لتسنم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على سول الله اعوذ ب全能

الطيب سنة للشيخ عبارة بن سراج بن علي السدوي في

الإمام أحمد اسمه، والذي ألقته في المعرفة العلمية

المتميزة في مسجد شيخ الإسلام اسمه، في العلم، المدعو

الجاحز عليه بهدف الشيخ عبارة السدوي في بيانه،

على ما كتب بإمضاء له الشيخ الواعظ وشرح،

وكل ذلك وآدم

عليه رضوان نعمة الهلال
نحن على الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا

أما بعد:

فإن من نعم الله على هذه الأمة المرحومة أن هيا لها بعد نبها

أئمة ربانين، قاموا بآمر الله خير قيام، فنصر الله بهم السنة، وقمع بهم البديعة، وجعلهم أئمة يُهتدى بهديهم، ويتقدرة برأيهم؛ ومن هؤلاء الأئمة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، الذي أمضى عمره في الدعوة إلى الله، وتحرير العقيدة السلفية، ومحاربة البديعة وال🧴دلات، وكتب في ذلك كتابًا كثيرا، كان من أصغرها حجما، وأكثرها نفعا في تحرير عقيدة أهل السنة والجماعة "العقيدة الواسطية"، التي وقعت عند العلماء موقعا حسنا، فعنوا بها حفظا، ودرسوا، وكتبوا عليها شروح كثيرة؛ كشرح الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ فیصل آل مبارك، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ زيد الفياض، والشيخ عبد العزيز السلام، والشيخ محمد العثيمين، والشيخ عبد الله الجبرين، والشيخ صالح الفوزان

(1) هذه الشروح كلها مطبوعة.
وكان من ممن شرحها للطلاب في مجالس علمية فضيلة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله - وكان من ذلك
شرحه لها في جامع شيخ الإسلام ابن تيمية بحي سلطانة في
مدينة الرياض في صيف عام 1414ه ضمن الدورة العلمية
المكثفة، وهذا الشرح مسجل متداعٍ، وقد قام الإخوة الكرام
القائمون على الجامع بتقريغ هذا الشرح، وكتابته، وإدخاله في
موقع الجامع على الشبكة العنكبوتية، وتعه انتشار في كثير من
المواقع.

وهذه النسخة المتداولة في الشبكة لم تقرأ على الشيخ، ووقع
فيها سقط، وغلط كثير، وخلت من أي عنابة.

فعرضت على الشيخ - حفظه الله - فكرة العناية بهذا الشرح،
وتهيئته للطباعة؛ فوافق على ذلك مشكورًا.

فاستعنت بالله على إخراجه، وسار العمل في إخراج هذا
الشرح على ما يلي:

1- كتابة الشرح المسموع، ثم مقابلة المسموع بالمكتوب للتأكد
من سلامته من الخطأ، أو السقط.

2- تهيئته، وتنسيقه لتناسب مع الطباعة.

3- قراءة الشرح كاملاً على الشيخ - حفظه الله - لإضافة، أو
حذف، أو تعديل، أو استدراك ما يراه مناسبًا.

4- اعتمدت في إثبات متن "العقيدة الواسطية" على نسختين
خطيين، والمطبوع ضمن مجموع الفتاوى بعناية الشيخ ابن قاسم

5 - عزوت الآيات إلى مواضعها من كتاب الله، وأثبتها على
رواية حفص عن عاصم.
6 - خرجت جميع الأحاديث، والآثار الواردة في المتن، أو الشرح,
والطريقة في ذلك ما يلي:

(أ) إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اقتصرت
في العزو عليه إلا لفائدة؛ كأن يكون الفظ المذكور
لغيرهما.
(ب) إذا كان الحديث في غير الصحيحين خرجته من أهم
المصادر، ونقلت ما تيسر من كلام أهل العلم عليه
تصحيحًا، أو تشعيفًا باختصار لسلا يطول الكلام، وفي
بعض المواضع أحلت إلى بعض المراجع لمن أراد
التوسع، والزيادة.
(ج) إذا كان الحديث في المصدر في عدة مواضع فإني
أقتصر على أحدثها غالبًا.

7 - وقعت جميع النقول الواردة، وأخلت في بعض المسائل إلى
كتب الأئمة للوثيقة، وزيادة الفائدة.
8 - ترجمت للأعلام غير المشهورين، وعرفت بالبلدان،
والمواضع.
9- وضعت عناوين في بداية المقاطع المشروحة من المتن وسط إطار للوضوح.

10- وضعت فهرسا للأحاديث، وقائمة بالمراجع التي عزوت لها في الحاشية، وفهرسا شاملا لمسائل الكتاب، وفهرسا إجماليا لموضوعات الكتاب.
Thông tin về النسخ الخطية

لديي مجموعة من النسخ الخطية لكن أكثرها متأخرة، فرأيت الاكتفاء في إثبات المتن على نسختين منها، والمطبوع ضمن مجموعة فتاوى الشيخ الإسلام بعناية الشيخ ابن قاسم، لأن المتن الذي قرأ على الشيخ، وشرحه مقارب له جدا.

وهذا بيان لمعلومات المخطوطة:

المخطوطة الأولى: نسخة المكتبة الظاهرة بدمشق ضمن مجاميع المدرسة العمرية برقم (91) الرسالة الرابعة، وهي في مكتبة الأسد برقم (278340)، تبدأ صفحاتها بعد العنوان من (247) عدد الأوراق (12) ورقة في كل ورقة الصفحات إلا خمس ورقات ليس بها إلا صفحة.

وعدد الأسطر في كل صفحة مابين (22-63) إلا الأخيرة فهي (13) سطرًا. وكتبتها هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمان، وكتبتها عام 1367 هـ.

وهي نسخة نفيسة، من أقدم النسخ، وقد جعلتها أصلا، ورمزت لها برمز (ظر).

المخطوطة الثانية: محفوظة في مكتبة برلين بألمانيا برقم (1994)، وصورتها في مركز الملك فهد للبحوث والدراسات.
الإسلامية بالرياض ضمن مجموع برقم (١٠٩٥-٨)، في (١١) ورقة في كل ورقة صفحتان، وعدد الأسطر (٢٣) سطرًا عدا الأولى والأخيرة، ولم أجد اسم الناشر، ولا تاريخ النسخ. ورمزت لها برمز (ب).

طريقة العمل في إثبات النص:

جعلت نسخة المكتبة الظاهرة أصلاً، ووضعت أرقام صفحات المخطوطة في المتن بين قوسين [ ] لتسهيل الرجوع إليه. وذكرت فروق نسخة برلين إذا كان ثمّ فائدة، أو اختلاف في المعنى، وأعرضت عن ذكر الفروق غير المؤثرة، والأغلاط في الآيات؛ لئلا تشوّش على القارئ، وتأخذ من وقته بلا فائدة.

أضافت من النسخة المطبوعة المواضع التي شرحها الشيخ، وليست في المخطوطة والمواضع التي فيها زيادة فائدة، وجعلت ذلك بين قوسين [ ] ونبهت على ذلك في الحاشية.

والله أعلم، وصلِّي الله على بُنيا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

كتبته

عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله السديس
sds55@gawab.com/ الرياض
الورقة الأولى من نسخة (ظ)
الترجمة الأخيرة من نسخة (ظ)
الورقة الأولى من نسخة (ب)
الورقة الأخيرة من نسخة (ب)
ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك

اسمه ونسبه:
عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، ينحدر نسبه من بطن العريّنات من قبيلة سبيع.

ميلاده ونشأته:
ولد الشيخ في بلدة البكيرية من منطقة القصيم في شهر ذي القعدة سنة 1352 هـ.
وتوفي والده، وعمره سنة، فنشأ في طفولته في بيت أخواله مع أمه، فتبرى خير تربية.
ولما بلغ الخامسة من عمره سافر مع أمه إلى مكة، وكان في كفالة زوج أمه محمد بن حمود البراك.
وفي مكة التحق الشيخ بالمدرسة الرحمانية، وفي السنة الثانية الابتدائية قدر الله أن يصاب الشيخ بمرض في عينيه تسببه في ذهاب بصره، وهو في التاسعة من عمره.

طلب العلم ومشاعره:
عاد من مكة إلى البكيرية مع أسرته، فحفظ القرآن وعمره عشر سنين تقريبا على عمه عبد الله بن منصور البراك، ثم قرأ...
على مقرئ البلد عبد الرحمن بن سالم الكرديس رحمهم الله.
وفي عام 1365ه تقريبا بدأ الشيخ في القراءة على العلماء
قرأ على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السبيل جملة من كتاب
التوحيد، والآجرومية، وقرأ على الشيخ محمد بن مقبل الثلاثة
الأصول.
ثم قُدِّر له السفر إلى مكة مرة أخرى في عام 1366ه تقريباً،
ومكث بها ثلاث سنوات، فقرأ في مكة على الشيخ عبد الله بن
محمد الخليفي إمام المسجد الحرام في الآجرومية، وهناك التقى
بعالم فاضل من كبار تلاميذ العلماء محمد بن إبراهيم، وهو
الشيخ صالح بن حسين العلي العراقي، وكان من أصدقاء
الإمام عبد العزيز بن باز ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجالسه واستفاد منه، ولما عين
الشيخ صالح العلي العراقي مديرًا للمدرسة العزيزة في بلدة الدلم
رغب أن يرافقه الشيخ عبد الرحمن البراك لطلب العلم على
الشيخ ابن باز حين كان قاضيًا في بلدة الدلم، فرحل معه في برعم
الأول من عام 1369ه، والتحق بالمدرسة العزيزة بالصف
الرابع، وكان من أهم ما استفاده في تلك السنة الإمام بقواعد
التجويد الأساسية.
وفي نفس السنة سافر مع جمع من الطلاب مع الشيخ ابن باز
إلى الحج، وبعد عودته ترك الدراسة في المدرسة العزيزة، وأثر
حفظ المتون مع طلاب الشيخ عبد العزيز بن باز، ولازم دروس
الشيخ ابن باز المتنوعة فقد كان يقرأ عليه في كتاب التوحيد.
وتوجيه مبادئ المتخصصة الواسعة

والأصول الثلاثة، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام، ومسند أحمد، وتفسير ابن كثير، والرحيبة، والآجورمية. ومكت في الدّلّم في رعاية الشيخ صالح العراقي، فقد كان مقيماً في بيته، ودرس عليه علم العروض.

وحفظ في بلدة الدّلم كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، والآجورمية، وقطر الندى، ونظم الرحبية، وقُدر من ألفية ابن مالك في النحو، ومن ألفية العراقي في علوم الحديث.

وكانت مدة إقامتها لها أثر كبير في حياته العلمية.

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي في الرياض حين افتتاحه في محرم 1371هـ، ثم تخرج فيه عام 1374هـ، ولتحق بكلية الشريعة، وتخرج فيها سنة 1378هـ.

وتتلمز في المعهد، والكلية على مشايخ كثيرين من أبرزهم:

العلامة محمد الأمين الشنقيطي ﷺ، ودرسهم في المعهد في التفسير، وأصول الفقه، والعلامة عبدالله زاق عفيفي ﷺ، ودرسهم في التوحيد، والنحو، وأصول الفقه، والشيخ محمد عبدالله زاق حمزة، والشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

وكان في تلك المدة يحضر بعض دروس العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ في المسجد.

وأكبر مشايخه عنده، وأعظمهم أثراً في نفسه الإمام العلامة
عبد العزيز بن باز ﷺ الذي أفاد منه أكثر من خمسين عاماً بدءًا من عام 1379 هـ حين كان الإمام ابن باز في بلدة الدلم إلى وفاته في عام 1420 هـ، ثم شيخه العراقي الذي استفاد منه حب الدلائل، ونبذ التقليد، والتدقيق في علوم اللغة، والنحو، والصرف، والعروض.

الأعمال التي تولاها:

عمل الشيخ مدرساً في المعهد العلمي في مدينة الرياض ثلاثة أعوام من سنة 1379 هـ، ثم انتقل بعدها إلى تدريس العلوم الشرعية في كلية الشريعة بالرياض، ولما افتتحت كلية أصول الدين عام 1396 هـ نقل إليها في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وعمل مدرساً فيها إلى أن تقاعد عام 1420 هـ، وأشرف خلالها على العشرات من الرسائل العلمية.

وبعد التقاعد رغبت الكلية التعاقد معه فأبى، كما طلب منه سماحة الشيخ ابن باز ﷺ أن يتولى العمل في الإفتاء مراراً فتمتع، ورضي منه شيخه أن ينجبه على الإفتاء في دار الإفتاء في الرياض في فصل الصيف حين ينتقل المفتون إلى مدينة الطائف، فأجاب الشيخ حياً، إذ تولى العمل في فترتين ثم تركه.

وبعد وفاة الشيخ ابن باز ﷺ طلب منه سماحة المفتى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ أن يكون عضو إفتاء، وألح عليه في ذلك فامتنع، وآخر الانقطاع للتدريس في المساجد.
جهوده في نشر العلم:

جلس الشيخ للتعليم في مسجده الذي يتولى إمامته - مسجد الخليفي بحبي الفاروق -، ومعظم دروسه فيه، وكذلك التدريس في بيته مع بعض خاصه طلابه، وله دروس في مساجد أخرى، وله مشاركات متعددة في الدورات العلمية المكتفية التي تقام في الصيف، إضافة إلقاءه كثيرًا من المحاضرات، كما تعرض على الشيخ بعض الأسئلة من عدد من أشهر المواقع الإسلامية في الشبكة العنكبوتية.

طلابه:

طلاب الشيخ كثر يتميز على العاد حصرهم، وكثير من أساتذة الجامعات، والدعوة المعروفين، قد تلهموا عليه، وغيرهم من طلاب العلم.

وبعد توفر الوسائل الحديثة يسر الله لكثير من طلاب العلم في خارج البلاد متابعة دروس الشيخ عبر الشبكة على الهواء مباشرة عن طريق موقع البث الإسلامي www.liveislam.net

احتسابه:

للشيخ جهود كبيرة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومناصحة المسؤولين، والكتابة لهم، وتحذير الناس من البدع، وسائر الانحرافات، والمخالفات... ولله في ذلك فتاوى كثيرة، وله مشاركة مع بعض المشايخ في عدد من البيانات والنصائح.
الموجهة لعموم المسلمين.

اهتمامه بأمور المسلمين:

للشيخ - حفظه الله - اهتمام بالغ بأمور المسلمين في جميع أنحاء العالم، فهو كبير الحزن، والتألم لما يحدث لهم في كثير من البلاد، وهو متابع لأخبارهم، وفي أوقات الأزمات يبادر بالدعاء لهم، والدعاء على أعدائهم، وببذل النصح والتوجيه لهم، والمسلمين فيما يجب نموهم.

الإتجاه العلمي:

الشيخ باذل معظم وقته لتعليم العلم، والإجابة على الأسئلة، وقد قرأت عليه عشرات الكتب في مختلف الفنون، وقد سجل بعضها، وما لم يسجل أكثر.

وقد صدر للشيخ من المطبوعات شرح الرسالة التدمرية، وجواب في الإيمان ونواقضه، وموقف المسلم من الخلاف، والتعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري طبع مع فتح الباري في دار طبعة.

وفي حياة الشيخ جوانب كثيرة مشرقة أعلم أنه يكره ذكرها، أسأل الله أن يبارك في عمره، و يمد فيه على الطاعة، وينفع المسلمين بعلمه.
مقال اعتقادات أهل السنة والجماعة

[1/24] يَسْأَلُ أَئِمَّةَ الرَّحْمَنِ آلِ الرَّحْمَنِ
الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً مزيداً.

اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة: الإمام بلث، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

المعروف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحربي (4).

(1) في ظ: صلى الله على سيدنا محمد والله وسلم تسليماً.
(2) في ب و: وعلى الله، وفي م: وأصحابه.
(3) في م: فهذا اعتقاد.
(4) أفرد جميعّ من العلماء كتبًا في ترجمة شيخ الإسلام، منهم: ابن عبدالهاذى، =
وهذا الكتاب الموسوم بالعقيدة الواسطية نسبة إلى من طلب من الشيخ كتابته، وهو رجل من أهل العلم في نواحي واسط، بلد معروفة في العراق، فعرفت بالعقيدة الواسطية.

ولأ مشاهدة في التسمية؛ فالمقصود التمييز، كما أن الشيخ الإسلام مؤلفات كثيرة في مسائل الاعتقاد، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن معظم مؤلفات الشيخ الإسلام في مسائل الاعتقاد.

فقد ألف في مسائل الاعتقاد مؤلفات مطولة ومختصرة، ومعظمها ألفها إجابة للسائلين، فهو لا يكاد يبتئ البائف ابتداء، بل جل مؤلفات إجابة لمسائل، ورود على المخالفين، ومن امتع وأفضل ما ألف في الاعتقاد هذه العقيدة: «العقيدة الواسطية» التي ذكر أنه كتبها، وهو قاعد بعد العصر في مجلس واحد.

وقد نوفر في شأنها وجود؟ لأنه قرر فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة من السلف الصالح، من الصحابة، والتابعين وأئمة الدين، ومن سلك سبيلهم.

الطيار، ومريعي الكرمي، وغيرهم.

وأما ترجمته ضمن كتب الترجم، فقد ترجم له أمم من العلماء قد جمعها الشيخان محمد عزير شمس، وعلي العمران في كتاب: «الجامع في سيرة الإسلام ابن تيمية».

(1) هو القاضي رضي الله الدین الواسطي الشافعي قال عنه الشيخ الإسلام: كان من أهل الخبر والدين. مجمع الغنائم 3/164.

(2) معجم البلدان 5/347.

(3) مجمع الغنائم 3/164.
وهذا يخالف ما عليه جمهور الناس فقد دخلت عليهم المذاهب المبتدعة؛ فلذلك ينكر وينكر منه ما يخالف ما عليه.

وقد أبان الله في المناظرة التي كتبها(1) أنه إنه يقرر في هذا الاعتقاد ما دل عليه الكتاب والسنة، وما درج عليه أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين، وأنه في هذه العقيدة يتحرى الألفاظ الشرعية.

وهذه العقيدة متميزة على سائر ما ألفه الله كثير من مؤلفاته في مسائل الاعتقاد مشتمل على ذكر شبهات المفترين، ومناقشتها مناقشة عقلية وشرعية، كما هو ظاهر في "الرسالة التدمرية".

أما العقيدة الواسطية فإنها خالصة، فيها تقرر لمعتقد أهل السنة والجماعة وبيان أصولهم، مع التدليل على ذلك من القرآن والسنة، من غير تعرض لشبهات المخالفين؛ فلذلك كانت هذه العقيدة جديره بالحفظ.

وقد عرض فيها الله لأكثر المسائل التي وقع فيها الافتراق، والتي خالف فيها أهل السنة سائر فرق الأمة.

يقول الله في خطبة هذه العقيدة: "الحمد الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا" هذا الثناء مقتبس من القرآن كما في

(1) مجموع الفتوى 3160
سورة الفتح: 

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رُسُولَهُ إِلَيْهِمْ وَرَبِّي أَلْهَيْكَ وَيَتَمَّ الْحَقَّ لِيَظْهَرُ

على الذين كَانُوا كَفَّارًا وَكَانِيًا إِلَّا بِآيٍّ سُجُمَّدًا} [الفتح]

والهدى هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح،
وهذا جماع رسالة محمد ﷺ.

وْكَفِّرْ بِاللَّهِ شَهِيْدًا}: كفى به مطلعاً على عباده، وأحوالهم

الظاهرة والباطنة.

وفي هذا إشارة إلى دليل من أدلّة صدق الرسول ﷺ، فإن
الإيمان باطلاعه تعالى على أحوال الخلق يستلزم الإيمان بصدق
محمد ﷺ، كما قال تعالى: {سَنَصْرِينَا هَٰؤُلَاءِ فِي الْآفَاقِ وَفِي أُنْفِقِهِمْ
حَتَّى يُبَيِّنَنَّ لَهُمَّ أَنَّهُمْ أَلْحَقُّ أَوْلَمْ يَكُفُّ يَرْيَبُ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدُ
[تُصِّلَ].

فَكُنْيِ دلِيلًا عَلَى صَدِقِ الرسُول ﷺ، وأصدق ما جاء به من
القرآن والحكمة، أنَّه تعالى على كل شيء شهيد {وَكَفِّرْ بِاللَّهِ شَهِيْدًا} [الفتح: 82].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به

وتوحيدًا.

هذه كلمة التوحيد المركبة من نفي وإثبات، من نفي إلهة ما
 سوى الله، وإثبات الإلهية له تعالى وحده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ف "وحده" هذه حال مؤكدة
لمدلول الإثبات "لا الله".
لا شريك لله: هذه أيضًا جملة مؤكدة لمدلول النفي «لا إله إلا الله»
لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا
ووهذا تأكيد بعد توكيد: إقرارًا به وتوحيدًا له في إلهيته، وروبية، وأسمائه وصفاته.
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: وهكذا يجب أن يشهد الإنسان للنبي بأنه عبد الله ورسوله، يجب أن يجمع في الشهادة للرسول بأنه عبد عابد الله مرتب مدبب، ليس بالله، وليس له شيء من خصائص الإلهية، بل رسول من عند الله.
يا أتان في رسول الله إلئكم جميعًا» (الأعراف: 158).
ويهذا هو الصراط المستقيم فيما يجب اعتقاده في الرسول فإن الناس فيه طرفان ووسط، فمن الناس من فرت في حقه فكذبه أو قصر في اتباعه.
ومنهم من غلبه فيه، ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وهذا ما حذر منه في قوله: «لا تطروني كما أطروت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدًا، فقالوا: عبد الله ورسوله» (1).
يعني: لا تبالغوا في مدح ولا تغزوا في.
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»، كما في التشهد، صلى الله عليه، وهذه صفة صلاتنا عليه: أن نسأل الله أن يصلي
(1) رواه البخاري (445) من حديث عمر.
(2) رواه البخاري (831) وعند مسلم (302) عن ابن مسعود.
عليه، كما قال لما قال له الصحابة: "كيف نصلي عليك؟" قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث (1).

فصلتنا على الرسول ﷺ هي: دعاؤنا، وسؤالنا الله بأن نصلي عليه "إني الله وَبَلَوْتُكُمْ أَنْ تَصِلُّوْنَ عَلَى النَّيَّيْنَ كَيْفَ اثْنَانِينَ سُوَّاهُما ۚ سُوِّاهُما أَنْ تَصِلُّوا عَلَيْهِ وَسُوِّاهُما سُوْيِمَا" (الاحزاب).

وحسن ما قبل في هذا المقام: إن الصلاة من الله تثائو على عبده عند الملائكة (2).

ولنبينا ﷺ من ثناء الله أكمل ثناء ثقني الله به على عبد من عباده؛ لأنه ﷺ هو سيد وله آدم، فحظه من صلاة الله، ومن ثقته أوفر حظ ونصيب.

وعلى آله وأصحابه الآل هنا هم أتباعه ﷺ، وعطف الصحابة على الآل في هذا المقام من عطفه الخاص على العام، وقد درج أهل السنة على ذكر الصحابة في الصلاة على الرسول ﷺ خارج الصلاة، أما في الصلاة فيتبقيد بنص ما ورد.

وهذه كله دعاء له ﷺ بأن يصلي الله عليه، وأن يسلم عليه

(1) رواه البخاري (4779) ومسلم (407) عن كعب بن عجرة ﷺ.
(2) أخرجه البخاري عن أبي الحالة تعلقاً مجزوماً به في كتاب التفسير باب قوله "إني الله وَبَلَوْتُكُمْ أَنْ تَصِلُّوْنَ عَلَى النَّيَّيْنَ كَيْفَ اثْنَانِينَ سُوَّاهُما ۚ سُوِّاهُما أَنْ تَصِلُّوا عَلَيْهِ وَسُوِّاهُما سُوْيِمَا" (الاحزاب)، ووصله إسماعيل بن إسحاق المالكي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ص 20 رقم (95) وانظر: "جلاء الأفهام لأبنا القيم" ص
وصلاتنا، وسلامنا عليه بأن نسأل الله أن يصلي، ويسلم عليه،
ومن صفة السلام ما جاء في الشهيد: "السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته"(1).

هذه الخطبة اشتملت على حمد الله، فله الحمد كله، وله
المدح، والثناء كله؛ لأنه المصدر بجميع المحاميد، المصدر
بكل كمال، فلا يستحق الحمد كله، والثناء كله إلا المستحق لكل
كامل، المصدر بجميع نعوت الجلال، وليس ذلك إلا الله وحده،
فهو الذي له الحمد كله، وله الملك كله، ويده الخير كله.

يقول الشيخ محمد: "صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم"
يعني: وسلم الله عليه.

"تسليم" هذا مصدر مؤكد.
"ميزبا" موصولاً بالزيادة مستمراً دائماً.

أما بعد: هذه جملة تؤتي بها للانتقال من المقدمة إلى
المقصود، وكان من هديه أنه يقول في خطبه: أما بعد(2)،
ومعناها عند أهل اللغة(3): مهما يكن من شيء بعد فهو: كذا وكذا.

(1) تقدم نظره ص: 25 هامش رقم (2).
(2) انظر: صحيح البخاري، باب: من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد،
الأحاديث (222-927).
(3) لسان العرب 14/48.
فهذا اعتقادٌ إشارة إلى ما هو حاضر مما سيذكره الشيخ في هذه العقيدة، وبهذا يتبين أن الشيخ قدّر في هذا التأليف إلى بيان اعتقاد الفرقة الناجية في رهبهم، واعتقادهم فيما أمر الله بالإيمان به.

"الفرقة الناجية المنصورة" وصفها بالصفتين: الناجية والمنصورة أخذًا من الحديث المشهور المروي في المسانيد، والسند عن النبي ﷺ: "إِنَّهَاً الْأَمَةُ ۚ سَتَفْرَقُ عَلَى ثلَاثٍ وسِبْعِينٍ فرقةٌ كِلَّها فِي النَّارِ إِلَّا واحِدَةَ، قَيْلُ: مِنْ هُمْ يَا رَسُولُ اللَّهِ؟".

قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم، وأصحابي(1)،

وفي لوح "وهي الجماعة"(2) هذه هي الفرقة الناجية.

فالفرقة المستفيدة على ما كان عليه الرسول ﷺ توصف بأنها الناجية أخذًا من هذا الحديث؛ لقوله ﷺ: "كلها فِي النَّارِ إِلَّا واحِدَةَ".

(1) رواه الترمذي (2441) - وقال: هذا حديث مفسر غريب لا يعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه -، والحاكم 128/1 من حديث عبد الله بن عمرو ﺑ. ورواه الطبراني في الأوسط 8/22 من حديث أنس ﺑ. وقال: لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا عبد الله بن سفيان المندبي، وياسین الزيات.

(2) رواه أحمد 4/267، وابن ماجه (3493) من حديث أنس ﺑ. وأحمد 3/145 وابن ماجه (2992) من حديث عوف بن مالك ﺑ. وصححه شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" 3/420-359، وعلق عليه بتعليق طويل، وذكره الكاتب في كتابه "نظم المتثرّر من الحديث المتواتر" ص 57 رقم (18).
ويهي المنصرورة ل قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك و تعالى 
(1) فهي موصوفة بالنجاة وبالنصر.
والفرقة الناجية المنصرورة هم أهل السنة والجماعة الذين التزموا طريقة الرسول ﷺ، وما علية جماعة المسلمين، واعتصموا بحبل الله جميعًا، وجانبوا الفرقة وأسبابها.
والفرقة، والطائفة معاها متناوب.
ثم بين الشيخ هذا الاعتقاد إجمالًا بقوله:
»وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.
هذه هي أصول الإيمان التي فسر بها النبي ﷺ الإيمان، في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره (2).
هذه أصول الإيمان ستة، فجميع مسائل الاعتقاد راجعة إلى

(1) رواه البيخاري (3241)، ومسلم في كتاب الإمارة (371) من حديث معاوية ﺳﻪ، وقد رواه عن النبي ﷺ جميع من الصحابة، انظر: قطف الأزهار المنثرية في الأحاديث المنثورات، رقم (51) ص 112، ونظم المنثرات رقم (145) ص 151.
(2) رواه مسلم (8) من حديث عمر ﺳﻪ.
هذه الأصول.

إذاً؛ هذا هو اعتقاد الفرقة الناجية بهذه الأصول على سبيل الإجمال، والإيمان بها فرض عين على كل مكلف.

الأصل الأول: الإيمان بالله. ويشمل ثلاثة أمور:

الإيمان به ربا - يعني : مالكاً مديراً منعاً متفضلاً خالقاً رازقاً.

والإيمان به إلهاً معبداً لا يستحق العبادة غيره.

والإيمان به مستحقاً لجميع صفات الكمال، ونوعت الجلال.

فالإيمان بالله يشمل الإيمان بربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته على سبيل الإجمال.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة: كما أخبر الله عنهم في كتابه، أنهم خلقون موجودون، عباد مكرمون، خيار اختيارهم الله، واصطفاهم، وفضلهم، وجعلهم عباداً طائعين خاضعين

وقالوا أتَّصَرَّفَ اللَّهُ وَلَدَّا سَبَحَبُهُ بِلِ عِبَادَ مَكِرُومَاتٍ ۚ أَلا يَسَيَّقَعُونَ بِالقُوَّلِ وَوَمْ بَيْنَ آمِرِيِّهِ وَبَيْنَ مُتَّقِيْنِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ آيَيْمِهِ وَمَا خَلْقُهُ وَلَا يَسَيَّقَعُونَ إِلَّا لَيْتَ آمِرُهُ وَقَدْ مَنَىْ خَشْيَهُ مُتَّقِيْنِ ۚ [الأنبياء].

و في هذا رد على من زعم أن الملائكة بنات الله، فجعلواهن ولداً لله، وقال تعالى: (فإِنَّا أَسْتَجِيبًا لَّأَلْدَيْنِ ۚ وَمَنْ لَا يَسَيَّقَعُ دُونَ رَبِّهِ). [نصت]، وفي الآية الأخرى (إِنَّ أَلَّهَ يَسْتَجِيبُ لَعِبَادِهِ وَيُسَيَّقَعُمُ لَهُ) وله.
والآيات في ذكر الملائكة، وصفاتهم وعبادتهم لربهم، ودوام خضوعهم وتسليمهم كثيرة، فهم عباد، ليسوا آلهة قولهم بِقَلْبِ يَمْنِهمُ
إِنِّي إِلَّا نَيْسَبُهُ جَهَنَّمَ ﺑُكْرَاءٍ كَذَٰلِكَ تَجْرِيُ الْفَتْلِيلُينَ
[[الآية]]، وحاشا أن يقول أحد منهم ذلك فهم مصممون.

والأصل الثالث: الإيمان بالكتب، ويتضمن الإيمان بكل ما أنزله الله من كتب على من شاء من رسله، ما علمنا منها، وما لم نعلم، فيجب أن نؤمن بأن الله أنزل كتب على من شاء من رسله، منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وهو أعظم كتب الله.

والأصل الرابع: الإيمان بالرسل، فيجب الإيمان برسول الله إجمالاً، وأن الله أرسل إلى عباده رسلاً يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويبذلون من عبادة ما سواه، يدعون إلى كل خير، ويحذرون من كل شر.

وقد سمي الله من شاء منهم في كتابه، وذكر أنه قص منهم ما قص، وطوى علم آخرين ورسلاً قد فصصتهم عليه من قبل
ورسلاً لُمْ نَفَصَّلُهُمْ عَلَيْكَ ﻟَوْلَمْ ﺍٰﻟِهَتُ ﺑِسْتَبْكِيَاتِ ﻷ](النساء).

والأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر، ويعبر عنه بالبعث؛ لأن البعث بعد الموت، هو الذي يكون به الانتقال من دار البرزخ إلى الدار الآخرة، فإذا أصل من أصول الإيمان يجب
الإيمان به.

وهذه الأصول ذكرها الله تعالى في كتابه مفرقة، ومجتمعة قال سبحانه وتعالى: "ليس أيها أن تتولوا وجومكم في كل المشرق والمغرب ولكن أيها من عمام الله واليؤوي الآخر والطبيعة والحكمة والبنيين" [البقرة: 177]

وذكر أربعة في قوله سبحانه وتعالى: "إنا آسرل بيتا أنزل إليه من ربي والمؤمنون كل مأمن بإله ومليك وله ورسله لا تفرق بيت أحد من رسوله وقائل سمعنا وعلمنا عفرناه ربي ويلائك المقيم" [البقرة: 68]

والإيمان بالقدر يندرج في الإيمان بالله، وله أدلة مفصلة في القرآن، ومنها قوله تعالى: "إذا كل شعو لله حقت يقدر" [التمور]

ومنها قوله تعالى: "ألا تعلم أنك الله بعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتب إن ذلك على الله يسر" [الحج]

ومنها قوله تعالى: "إِنَّ أَوْاسِمَ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي الأَلْفِ وَلا يُفْسِكُمْ إِلَّا في كِتَابٍ يُقَدَّرُ" [العديد]

ويأتي الكلام على بعض هذه الأصول مفصلا فيما ذكره الشيخ في هذه الرسالة.
مجمل اِعتقاد أَهل السنة والجماعة
في باب الأسماء والصفات

ومن الإِيمان بالله: الإِيمان بما وصف به نفسه في كِتابه،
وِما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تَحريف ولا تَعْطيل، ومن
غير تَكيف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله تعالى ﴿لِيّنَ كِتَابَهُ
شَفِئَ وَفَوْقَهُ أَطْبَقَ أَلْبَصَرَهُ﴾ [الشعراء: 11]، فلا يَنفون عنه ما
وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يَلحدون
في أسماء الله وآياته، ولا يَمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه
سبحانه لا سمي له، ولا كُفوا له، ولا يَد لَه، ولا يَقاس بخلقه
؛ فإنه سبحانه أَعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قِبلاً، وأحسن
حَليّنا من خلقه.

(الشريع)

بعدما ذكر اِعتقاد أَهل السنة والجماعة إجمالاً، شرع في ذكر
اعتقادهم تفصيلاً، فقال: «ومن الإِيمان بالله»

أي: مما يدخل في الإِيمان بالله: الإِيمان بما وصف الله به
نفسه في كِتابه، وما وصفه به الرسول ﷺ فيما صَح من سنته،
والإِيمان بذلك يكون بإثبات ما أَثبته الله لنفسه، وَأثبته له رسوله
، وِبِنفِي ما نفاه الله عن نفسه، وِنفاده عنه رسوله ﷺ.
فالإيمان بهذا يكون بإثبات ونفي.

يقول الشيخ: «من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تشيل».

يؤمنون بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، من غير تحريف، يعني: من غير تحريف للنصوص عن وجهها، ومن غير تحريف للكلمم عن مواضعه، وهو ما ذم الله به أعداءه اليهود. 

{يُحَرِّفُونَ الْكِتَابَ عَنَّ مَوَاضِيْهَـا} [النساء: 44].

والتحريف معناه العام: التغيير، وهو يشمل التغيير اللفظي، والتغيير المعنوي، فالتحريف اللفظي يكون بالزيادة على النص، أو النقص منه، أو تغيير الشكل.

فلا يجوز تحريف النصوص، ولا سيما آيات القرآن، فإنه يجب الالتزام بلفظها، فلا يغير لفظها زيادة ولا نقصا، ولا شكلا.

وذلك سنة الرسول ﷺ، لا يجوز تغيير لفظها بما يستلزم تغيير معناها، فإن ذلك من تحريف الكلمم عن مواضعه، بل يجب إجراء النصوص على ظاهرها.

ولا تعطيل» التعطيل مأخوذ من العطل بمعنى: الخلو، فمعناه: إخلاء الرب عما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وتعطيل أسماء الرب وصفاته، وتعطيل الرب عن صفات كماله؟ إنما يكون بجحدها ونفيها.
فالمعطاة: يصفون ما وصف الله به نفسه، وما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، فيعلمون الرب عن كماله المقدس، يصفون استواءه على عرشه، وينفون حقائق الأديان، كما سيأتي مفصلاً(1).

"ومن غير تكيف" من غير بحث عن كيفية صفات الرب، ولا تعرض لتحديد كنه صفاته، فأهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصف به رسوله، من غير تحريف لنصوص الكتاب والسنة، ولا تعطيل للنصوص عما دلت عليه، ولا تعطيل للرب عما يجب إثباته له، ولا تكيف لصفاته، ولا تمثل لصفاته بصفات خلقه.

إذاً: اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات قائم على الإثبات والتفي، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً - له تعالى عن كل نقص وعيب - بلا تعطيل، خلافاً لأهل الضلال، الذين غلوا في الإثبات حتى شهروا صفاته بصفات خلقه، يقول قائلهم: له سمع كسمعي، وبصر كصري، ويد كيدي، وخلافاً لمن غلا في التنزيه، حتى سلب الله صفات كماله، زعماً منه أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه.

فلهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة بريئاً من التشبيه، وبرئاً من التعطيل، فلا ينفون ما وصف الله به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يحددون في أسماء الله وآياته، فإن الله ذم الملحدين في أسمائه كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَرُدُّونَهُمْ إِلَىٰ ذِي الْجِنَابَاتِ﴾ (5-94:2-6)
الآية: السُّمُمُ قِدْرُوْنَ يُجَاءُنَّهَا رَبُّوا الَّذِينَ يُلْهِدُونَ بِهِ. (الأعراف، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُلْهِدُونَ بِهِ هُمْ لَا يُكْفِنُّونَ عَلَيْهِمَا» [ق 100].)

والإلحاد في أسماء الله يكون ببنفها، أو بنفي معانيها، أو بتسمية الله بغير ما سمى به نفسه، أو بتسمية بعض المخلوقين بما هو من خصائصه.

يقول الشيخ: «لا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يحذرون في أسماء الله وآياته، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه».

كل هذا تأكيد لما سبق، وأن مذهب أهل السنة والجماعة بريء من هذه الأباطيل: بريء من التعطيل، ومن الإلحاد، ومن التكيف، ومن التحريف، ومن التمثيل.

ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ فإنه سبحانه وتعالى لا يُسْمِيُّ له ولا يَدُ له ولا كفو له، وهذا كله متفق في كتابه: {١١٣} [الأنبياء: ١١٣] {٢٢} [العصر: ٢٢]، والسمي، والكفو، والند; ألفاظ متقاربة، كله تفسر: بالمثيل والنظر، فهو لا مثيل ولا نظر له من خلقه ولا سمي، ولا كفو، ولا ند، ولا يقاس بخلقه.

وهو: «أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه».

هو أعلم بنفسه كما قال المسيح: {تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْقِي وَلَا}
٣٧

ولم يعلم ما في نفسه إلا الله، إنه أعلم بالغيب، (المساءلة: ١١٦) فهو أعلم بنفسه.

فالعباد لا سبيل لهم إلى معرفة أسمائه وصفاته إلا ببيانه وتعريفه وتعليمه سبحانه، فهو أعلم بنفسه وبيه، لأن علمه محيط بكل شيء، وهو تعالى أصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه (وَمَنْ أَصْدَقْ مِنْ اللَّهِ حَدِيثَكَ) (التوبة: ٨٧)، (وَمَنْ أَصْدَقْ مِنْ اللَّهِ قِيلَا) (التوبة: ١٢٢).

فإذا كان تعالى هو أعلم بنفسه، وهو أصدق الصادقين، كيف يقذب ما أخبر به في كتابه، وعلى لسان رسوله؟ كيف لا يثبت ما أثبت لنفسه، وأثبت له رسوله؟

فالمعطلة قد كذبوا بما أخبر الله به ورسوله من أسمائه تعالى وصفاته، وكأنهم ادعوا لأنفسهم أنهم أعلم بالله من الله، وأعلم بالله من رسول الله، وهذا من أبطل الباطل، وأسفه السفة، وأعظم الجهل، (وَمَنْ أَصْدَقْ مِنْ اللَّهِ حَدِيثَكَ) (التوبة: ٨٧) (وَمَنْ أَصْدَقْ مِنْ اللَّهِ قِيلَا) (التوبة: ١٢٢).
بِعث الله رسوله في صفاته بالنفي والإثبات

ثم رسله صادقو مُصدِّقونٌ، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال ﷺ: {سُبْحَانَ رَبِّي الْأَلِيِّمَ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ الْعَلِيمُ الْمَكْرُورُ} [اللطف], وسُلَّمَ على الرسلين ﷺ ﷺ لسلامة ما قالوه من النصق والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص [24/2] التي تعدل ثلاث القرآن حيث يقول: {قل هو الله أحد الله الصادق ﷺ ﷺ ﷺ لئن يكيد وليم ويولد ﷺ ﷺ ﷺ} [الخلاص].

وأما وصف به نفسه في أعظم آية من كتابه حيث يقول: {لا إله إلا هو القبوم لا تآخذه سنة ولا تؤْمُّه ما في السموات وما في الأرض من ذا الئذى يشععن عندده إلا بإذنه يعلَّم ما بين أيديهم وما خلقهم ولا يبتغون وسُبَّه من عليله إلا لما شئاؤ وسَيَّر كسبته} (1)

في ب: مصدِّقو ﷺ
لا يقربه شيطان حتى يصحي.

الشرع

بعد ما ذكر الشيخ ﷺ ما يجب في صفاته تعالى، وأن الواجب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وأن هذا من الإيمان بالله، وأن هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات يعتمدون في ذلك على كتاب الله إيماناً بالله، وكتابه، ورسوله ﷺ.

ولهذا قال الأئمة في بعض الصفات: "الابتسام معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب" (1).

فالإيمان هو حقيقة تصديق الله، وتصديق رسوله ﷺ وهو مقتضى الإيمان بالله، ورسوله ﷺ وكتابه.

يقول الشيخ بعد ما ذكر هذا: "ثم رسله صادقون مصداقون" في بعض النسخ "صادقون".

(1) روي هذا الأمر عن أم سلمة ﻷ، ولا يصح عنها. وثبت عن الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن، والإمام مالك رحمه الله.

انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" 3/440-442، ومقتضى الإيمان بالله، ورسوله ﷺ، وكتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" 3/440، ومقتضى الإيمان بالله، ورسوله ﷺ، وكتابه "شرح حديث النزول" 132، والأشهر المشهور عن الإمام مالك ﷺ في صفة الاستواء للشيخ عبد الرزاق العباد ص 84 و 123.
الرسول كلهم من أولهم إلى آخرهم جاءوا في باب الأسماء والصفات - وغيره - بالحق المبين، فقالهم هو الحق، وما جاءوا به هو الحق الذي يجب الإيمان به، والالتزام به.

والمسلم عليهم الصلاة والسلام هم أصدق الناس، وقد عصمتهم الله من الكذب؛ لأنه اصطفاهم لتبليغ رسالتهم، ولا يصفح لتبليغ رسالتهم وتبلغ شرائعه إلا المصدقين.

ثم فيخلصون مصدقون، وهم مصدقون، فهذا تعالى يصدقهم، ويقيم الأدلة، و الخوارج الدالة على صدقهم، وشهد بصدقهم في كلامه: {بسم الله الرحمن الرحيم}، {إِنَّ الْمُتَّقِينَ} {البقرة: 71}.

وهم مصدقون عند الموقفين؛ بل إن أعداء الله الكفرة هم مصدقون للرسول في الباطن كما قال سبحانه وتعالى: {بسم الله الرحمن الرحيم، إن نزل أبا الذي يقولون إنهم لا يلكونون ولكن الذين يقابلونه} {البقرة: 108}. وكما قال عن فرعون وقومه: {وَجَعَلَهُمْ} {المزمور: 95}، فلا يكذب الرسول ظاهرا، وباطنا إلا من لا عقل له.

أما العقلاء فإنهم - وإن جحدوا ظاهرا عنادا، وحسدا، وكبرا، وما إلى ذلك - مصدقون لهم في الباطن، وإن كان هذا
التصديق لا ينفعهم، فمن صدق الرسول في الباطن، وأظهر تكذيبهم؛ فهو الكفور، ولا ينفعه تصديقه في الباطن.
أمامعنى«مصادقون»: المصدر هو: المُنَحَّب بالصدق، والعصادق هو: المُنَحَّب بالصدق.
فالرسول صادقو لأنهم قد أخبروا بالصدق، وهم مصادقو لأنهم متخبرون بالحق، فهم يتلقون علومهم، وما يبلغونه عن الله بواسطة وحيه، ورسوله من الملائكة{إِنَّا لَّنَوَّلُ رَسُولَ كَيْبٍ إِنَّ الْمَكَّةَ عَلَىٰ أَقْطَرٍ} [التكويد].
إذاً؛ فما قاله الرسول في الله هو الحق نفيا وإثباتا. ولصدق الرسول، وأن ما قالوه في رب العالمين هو الحق، قال سبحانه وتعالى: {سَيِّبِنَهُ رَبُّهُ رَبَّ الْيَوْمِ الْأَخَرِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَسْتَمَّ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ} [الشقيقات]. فسبيح نفسه! كما يصفه به الجاهلون، والمفترون، والشركانون، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.
«سبحان» هذه الكلمة تدل على التنزيه، وعلى نفي المعابد والنقائص قال تعالى {سَبِّحْهُمَا أَن يَكُوبَ اللَّهَ وَلَدُّهُ} [النساء: 171]. {سُبْحَانَهُ عَمَّا يَشَّرِكُونَ} [القورنة: 31]. ولسلم على المرسلين، سلام من الله على Рسله وسلم على ألّمرسلين [الشقيقات]. وإنما سلّم عليهم؛ لأنهم أولياؤه الصادقو فيما أخبروا به عنه، المحققون فيما يصفون به ربهم.
ولهذا يقول الشيخ: "ولсалى على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب"، ومن الشرك والأنك.

وللهُ للهُ رَبُّ الْعَلَمِيَّاتِ [الشعراء] ثناء من الله على نفسه بإببات الحمد كله له؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وبدع المخلوقات.

فهذه الآيات فيها تنزيه، وتحميد، وتعمد، وثناء على المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، فالرسل هم الأئمة، وهم القدوة، ولنا فيهم أسوة، وسبيلنا سبيلهم، ولا سيما نبينا خاتم النبئين.

يقول الشيخ: "وقد جمع سبحانه وتعالى فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات".

وهذه قاعدة في باب الأسماء والصفات "الجمع بين النفي والإثبات" معناها أنه موصوف بإثبات النقتاص، والكمالات، وموضوع بنفي النقتاص والآفات، والمحد لا يكون بالإثبات فقط، ولا بالنفي فقط، وإنما يكون بالنفي والإثبات.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن النفي والإثبات الذي جاء في النصوص القاعدة فيه هي: "الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات"؛ فالإثبات يأتي مفصلاً في: تعداد الأسماء، وعداد الصفات، وتعيينها.

أما النفي؛ فيكون عامًا مطلقًا، وهو ما يعبر عنه بالإجمال.
هذا هو الغالب على طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فالرسل جاءوا في صفات الله بإثبات مفصل، وبنفي مُجمل، ولكن قد يأتي الإثبات مجملًا، كما قد يأتي النفي مفصلًا، لكن القاعدة الغالبة هي: التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي. وسيأتي لهذا المعنى مزيد إيضاح عندما نصل إلى شواهد النفي (1)، فيحصل تطبيق هذه القاعدة، وإيضاحها.

وهذا النفي الذي يوصف الله به هو: النفي المتضمن لإثبات كمال، فكل نفي ورد في صفاته سبحانه؛ فإنه متضمن لإثبات كمال ضده.

أما النفي المحض الذي لا يتضمن ثبوت كمال؛ فهذا لم يصف الله به نفسه؛ لأن النفي الذي لا يتضمن ثبوت كمال لا يكون مدحاً ولا كمالاً.

وإذا كان هذا ما جاءت به الرسل فلا عدول لأهل السنة والجماعة عمّا جاء به المرسلون صلوات الله وسلامه عليهم، بل هم مقتفون لأثار الرسول لا سيما خاتمهم الذي له على أمه من واجب الإيمان، والمحبة، والانتباع ما ليس لغيره.

يقول الشيخ: "فلا عدول لأهل السنة عما جاء به المرسلون.

أهل السنة الفرقة الناجحة المنصورة، لا محيدين لهم، ولا عدول لهم عن طريق المرسلين.

(1) ص 115
قال النبي ﷺ بعدما ذكر الأنبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً، قال: «أوَلِيَّةٌ أَلِيِّنِي هَذَا اللَّهُ الَّذِي يُهْدِيَهُمْ أَطْرَافَهُمْ» (الأنعام: 90). فالصحابية والتابعون ماضون على سبيل الرسول ﷺ، قال هذين سِبْلِينَ آمَنَّا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ (بقرة: 108)، وسبيل الرسول ﷺ هو سبيل المؤمنين وَمَن يَتَقَلَّبُ الْآذَانَ يَبْعَدَ مَا نَبِيُّ اللَّهُ ﴿هَذَا وَيَبْعَدُ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ذُؤٍّ لَّهُ مَثَلًا وَتَصْلِينًا جَهَنَّمَۡ﴾ (البقرة: 151). وما جاء به المرسلون في صفاته تعالى، وغيره هو الصراط المستقيم.

قال الشيخ: «فإن الصراط المستقيم، هو الذي يجمع معاين كل طريق ضرّر. والصراط هو: الطريق المستقيم، الموصل إلى المقصود، القريب، الواسع، المسلوك. هذا معنى ما ذكره ابن القيم في بيان خصائص الصراط في كلامه على سورة الفاتحة في مدارج السالكين (1)». وصارت الله مسلكًا; سالكوه هم: المُنْعَم عليهم من النبّيّين

(1) ٣٣/١، وبدائع الفوائد ٢/٤١٦.
الصديقَين والشهداء والصالحين.
وأهل السنة داخلون في طريق المُنَعَّم عليهم حسب مراتبهم في العلم والدين والفضل.
والصراد المستقيم هو: دين الله الذي بُعث به رسوله في كل باب من أبواب العلم: في مسائل الاعتقاد: كالأسماء والصفات، واليوم الآخر، وسائر أصول الإيمان، والشرائع، والأوامر، والنواهي.

وقد دخل في هذه الجملة الشيخ: "وقد دخل في هذه الجملة المشتر إليه - القاعدة - قد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تغيل ثلث القرآن، وهي قوله سبحانه: "فلَوْلَمْ يُؤْسَفُ اللَّهُ أَحَدُ وَلَمْ يَكُونَ رَبُّ أَحَدٍ فَأَحَدٍ" [الإخلاص].

هذه سورة الإخلاص؛ لأنها متضمنة للتوفيد العلمي الخيري المستلزم لتوفيد العبادة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: "والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن"(1). تعدل ثلث القرآن من حيث الثواب، فتلاوتها مرة واحدة تعدل ثلث القرآن.

(1) رواه البخاري (5013) من حديث أبي سعيد الخدري، وبمعناه عند مسلم (811 و812) من حديث أبي الدرداء، وأبي هريرة.
لكن هذا لا يعني الاكتفاء بها عن تلاوة القرآن، فلا بد من تلاوة سائره، وتدبر سائر النصوص، لكن هذا دليل على فضل هذه السورة، وفضل تلاوتها، وذكر بعض أهل العلم (1) أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن ثلاثة أثاث: الأول: خبر عن الله - يعني - خبر عن أسمائه، وصفاته، وأفعاله.
والثاني: خبر، وقصص وهو: خبر عن الخلق: عن الرسل، وأممهم، وبد أخلق، واليوم الآخر.
والثالث: الأوامر، والنهي.
فالقرآن: توحيد، وقصص، وشراعم - أوامر، ونهاي -.

(1) «المعلم» للمازري 1/308-9، و«جواب أهل العلم والإيمان» 17/122 و134، و«فتح الباري» 9/6.
(2) رواه البخاري (6775)، ومسلم (813) من حديث عائشة ﷺ.
ونهو في خبر ثان: "إذن حبيها أدخلها الجنة".1)

وهذه السورة فيها نفي وإثبات، فهناً جارية على القاعدة.

فلنَّ هوَ اللهُ أَحْكَمُ (الإخلاص) [الإخلاص] إثبات

لم يَكِنَّ اللَّهُ وَلَمْ يُولِدَ (الإخلاص) ولم يُكَنَّ اللهُ كَفَّارًا أَحْكَمَ

[الإخلاص] هذه ثلاث جمل كلها دالة على نافي.

وذكرت هذه السورة على أسمين من أسمائه الحسنى: "الأحد، والصمد"، وهذا الأسمان لم يذكرا في غير هذه السورة، فأما اسمه "الأحد" فبديل على وحدانيته، وهو يتضمن نفي الشرك، والشبه فلا شريك له، ولا شبيه، واسمه "الصمد" فسير بأنه الذي لا يأكل ولا يشرب، وهو تعالى لا يأكل ولا يشرب، لأن هذا هو موجب غناه فهو الغني بذاته عن كل ما سواء، والأكل والشرب مفتقر إلى ما يأكل وما يشرب، وهو سبحانه الذي يلبَّم ولن يَظْعَفِرُ (الأنساب 14)، هو الذي يبرز (إذن الله هو أَلْقَرَانَ دُوْرُ الْوَقْوَةِ الْأَلْبَيْنِ) [المذاريات]

وقيل: معنى الصمد: الذي تصدده إليه الخلق في حوائجها، وهذا من لوازم غناه وفقر العباد، "يأتيها الناس أَنْتُ".

(1) رواه البخاري في صحيحه معلقا بضبط الجزم (774م)، ومن طريقه موصولا

الترمذي (29019) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث

عبدالله بن عمر عن ثابت البناني، ثم ساقه من طريق مبارك عن ثابت - وابن

خزيمة 2/229، ابن حبان 792، والحاكم 1/440 وصحبه على

شرط مسلم، كلهم من حديث أنس بن مالك، وانظر "فتح الباري" 2/257.
و جاء عن ابن عباس أنه قال: «السيد الذي قد كمل في سواده، والشريف الذي قد كمل في شره، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسود، وهو الله سبحانه».

هذه صفته لا تبغي إلا له (1).

يعني: السيد هو الكامل في جميع صفات الكمال، فهذا اسمان من أسمائه الحسنى ذكرأ على وجه التعيين، وبالتفصيل والتنسيق عليهما، وهذا من الأئمات المفصل.

وقوله تعالى: «لم يكيل ولم يولد» (الخلاص) لم يلد رد، وإبطال لما نسب إليه المفترون من اليهود، والنصارى، والمشروكون، والفلاسفاء، وغيرهم ممن نسب إليه الولد - تعالى الله عما يقولون -.

ولم يولد (الخلاص) لا أعلم أن أحدًا من الطوائف المميتة بوجود سبحانه قال: إنه وليد، لكن لما نفى الله الولد عنه، أقتضى ذلك - والله أعلم - نفي الولادة عن الله - أي: أن يكون له والد -، فإنه لم يكيل ولم يولد (الخلاص).

(1) تفسير الطبري 15/246، وانظر: فتاوى ابن تيمية 8/149-150
فهو: الأول الذي ليس قبله شيء، فلا بداية لوجوده، والمؤله مُدخّث، وهو: جزء من والده، والله صمد لا تجَرُّ في ذاته، ولم يكن له كفوا أحد، ليس له نظير، وهذا النفي يتضمن نفي الولد، والوالد.

ونفي الكفو يتضمن كمال أحديه، وصمديته.

ولما أثبت لنفسه أنه الأحد الصمد أُكد ذلك بنفي الولد، والوالد، والكلف، وهذا نفي متضمن لإثبات كماله تعالى.


وأشار الشيخ إلى ما ورد في فضلها، وأن من فضلها: أنه ما قرأها عبد في ليلة إلا لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، كما جاء هذا في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأثني علي فجعل يبحث عن الطعام، فأخذته، وقالت: والله.

(1) رواه مسلم (810).

وبقول الرسول صدقة ثبت هذا الفضل، فهذا القول لم يستفده أبو هريرة ﷺ، ولم نستفده من خبر الشيطان، إنهما من تصديق الرسول ﷺ.

(1) رواه البخاري (2311) معلقا مجزوحا به، ووصيلة النسائي في عمل اليوم والليلة (659)، وابن خزيمة في صحيحه 4/91، وانظر: تخریجاً موسعاً للحديث في كتاب "الذكر والدعاء ..." للشيخ ياسر فتحي ٢٩١/٢٩.
والشيطان قد يعلم شيئاً من الفضائل، والعلوم الشرعية التي يمكن أن يخدع بها بعض الناس، فهنا تعلَّل بهذه المعرفة، واتخذ منها وسيلة للخلاص من قبضة أبي هريرة ﷺ.

وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، وهذا من أصح ما ورد في فضلها، فإما أوى الإنسان إلى فإما، فإنه يشعرو أنه يقرأها، فإنه لا يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وورد في سورة البقرة عموماً قوله النبي ﷺ: "إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".

ومن أسباب ذلك أنها مشتملة على هذه الآية العظيمة.

وهذه الآية اشتملت أيضاً على العديد من أسماء الله، وصفاته، ولهذا قال الشيخ: وما وصف الله - أي ورد في هذه الجملة - ما وصف الله به نفسه في أعظم آية في كتابه "لا إله إلا هو"، فاشتملت على إثبات وحدانيته "لا إله إلا هو"، و"هو" هذه كلمة التوحيد، ففي هذا إثبات إلهيته، ونفي الإلهية عما سواء، وهذا تحقيق التوحيد "لا إله إلا هو"، الذي لا يموت. قال تعالى "وَتَوَسَّلَ عَلَى الَّذِي أَلْقَى الْقِبْوُمَ" [النور: 58] "الحي الحياة الكاملة التي لا يعترضها نقص، وكمال حياته يستلزم ثبوت

(1) انظر: "المفاتح الأدنى" للغافقي 2/20-225-260، وتفسير ابن كثير.

(2) رواه مسلم (380) من حديث أبي هريرة ﷺ.
جميع صفاته الذاتية له سبحانه، ومن أسمائه «القيوم» وهو القائم بنفسه الغني عما سواه والقائم بيده، فلا قيام لشيء من الموجودات إلا به، فهو الحي القيوم.

وختمت هذه الآية بسواهات بين آخرين وهما: "العالٍ الاعظيم" ففيها خمسة أسماء هذه الأربعة، والله، وهو الاسم العام لمعاني سائر الأسماء، وسائر الصفات.

وقوله تعالى: "لا تأخذن مني مينة ولي تؤمنوا" هذا نفي، وقوله تعالى: "أنت القيوم" إثبات، فهذه الآية فيها إثبات مفصل، ونفى مفصل.

(لا تأخذن مني مينة): لا تغلبه السن، وهي: النعاس، والوسن، ولا النوم، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور، أو النار لى كشفه لأحرقت سباحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" (1).

وفي قوله تعالى: "لا تأخذن مني مينة وللث نوم" نفي يتضمن تأكيدا لجمال حياته؛ لأن النوم أخر الموت، والبيضة هي بدايات النوم.

فلا تعلَّى: الحي الذي لا يموت، وليانام، ولا ينبي له أن ينام.

(1) رواه مسلم (179) من حديث أبي موسى الأشعري.
قاله تعالى: ﴿لَا تَأْتِي مَيْتًا وَلَا كَيْدًا﴾. هذا نفي أي: لا أحد يشفع عنه إلا بإذنه، وهذا يتضمن كمال ملكه، فِلكُمْمَا ملكه لا أحد يشفع عنه إلا بإذنه، بخلاف المخلوقين، كالمملوك، والكبراء الذين يشفع عنهم مقربهم بغير إذنهم، وينزلون على رغبتهم، وإن كانوا كارهين.

المقصود: أن هذه الآية اشتملت على العديد من أسماء الرّب - كما تقدم - والعديد من صفاته، وقد اشتملت على نفي: ﴿لَا تَأْتِي مَيْتًا وَلَا كَيْدًا﴾، ﴿مِنَ الذَّٰلِكَ الَّذِي يَشْفَعُ عَنْهُمْ﴾، ﴿وَلَا يُحْيِطُونَ يَدًا مِنْ عَلَيْهِ﴾، وهذا لكمال عظمته لا يحيط العباد به علمًا، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ بَيْنَيْنَ آيَتِي وَمَا خَلَفْتُهُمْ وَلَا يُحْيِطُونَ يَدًا مِنْ عَلَيْهِ﴾ [ئف.1]. ومن النفي الذي اشتملت عليه هذه الآية ﴿وَلَا يُوْذَبُهُمْ﴾. 

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْقِبُ كَرِيْسِيَّةَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ جمهور أهل السنة على أن: الكرسي موضوع قدمي الرّب (1). وهو: مخلوق عظيم لا يمكن قدره إلا الله، والعرش أعظم منه، والكرسي قد وسع السموات، والأرض، فهو أعظم من

السموات والأرض.

لا يشتهى ولا يشق على الله تعالى، ولا يعجزه، ولا يكرهه، ولا يثقله حفظ هذه العوالم العلوية، والسفلية فإن الله يمسك السموم والأرض أن تزول وليكن زالها فإن أمسكهما من أحد من بعلابة. إنه كان حيًا عرشًا.

وهو العليم المظالم العليم بكل معاني العلو: ذاها وقذرة وهو العليم الذي لا أعظم منه، والعوالم كلها في غاية الصغر والضائة في جانب عظمته، ومتنا السلت على كمال عظمته ما جاء في قوله تعالى: "وما قدروا الله حق قدريه، والأرض جميعًا قبضت، يوم القيامة والسماوات مطوية بسيئتهما، سبعينين وعشران عما يسفرون" [(الإسراء)].

ثم مضى الشيخ بذكر الشواهد من القرآن على ما وصف الله به نفسه من النفي والإثبات، وسندمي معه مستعرضين لهذه الشواهد، ونقول معها حسب ما يقتضيه المقام، والله المستعان.
جلمة من آيات الصفات

إثبات العلم لله تعالى


الشروع

ومن النصوص القرآنية المشتملة على أسماء الله وصفاته التي فيها النفي والإثبات - مما يدخل في الجملة المتقدمة: «ما وصف الله به نفسه» - هذه الآيات التي منها:

(1) من م، وهي التي شرحها الشيخ، وفي توضيح: [«وَهُوَ الْقَدِيرُ»] [القصيم: 22].
قوله تعالى: «وَتَوَكَّلْ لَّا يَمُوتُ» [النور: 87] "تَوَكَّلْ" استعمال وفوض أمرك إلى الحي الذي لا يموت، فمن تولك عليه فهو حسبه وَمَن يَوْكَّل لَّا يَفْتَرُّ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" [البقرة: 3]، وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة: 23].
والشاهد الحي، فالحي: اسم من أسمائه، والحياة صفة من صفاته.
وقوله: "لَا يَمُوتُ" نفي مؤكد لكمال حياته، فحياته سبحانه.
قاله تعالى: "هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخُرُ وَالْأَكْثَرُ وَالْأَكْمَلُ وَهُوَ يَكْلِفُ شَيْءًا" [المائد: 4].
هذه الآية فيها إثبات أربعة أسماء من أسمائه الحسن.
الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.
وأحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء: ما جاء في دعاء النبي ﷺ الذي كان يقوله إذا أوى إلى فراشه: "لله ربي السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، وربنا ورب كل شيء، فاللهم الحب والنوى، ومنزل التوراة، والإنجيل، والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت أخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر في ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن في ليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغنا من الفقر"(1).

(1) رواه مسلم (2716) من حديث أبي هريرة ﷺ.
فهذا أحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء، الأول: هذا اسم من أسمائه، و الأول: المتقدم على كل شيء، فكل ما سوى الله فإن محدث بعد أن لم يكن.

والله تعالى هو: الأول الذي ليس قبله شيء؛ لأنه لا بداية لوجوده سبحانه وتعالى؛ فهو قديم، و لوظ القيم لم يرد في النصوص فلا يعد من أسمائه تعالى، فلا يقال: من أسماء الله القيم، ولكن معناه صحيح، فيصح الإخبار عن الله فيقال: الله قديم متقدم في وجوده على كل شيء لا بداية لوجوده، فهذا المعنى حق ثابت للرب سبحانه، لكن يغني عنه اسمه الأول، فالآخر من أسماء الله الحسنى.

واسم سببانه الآخر يتضمن دومه، و بقاءه الذي لا نهاية له، فكل مخلوق يفني سببانه تعالى لا يفني كما قال الإمام الطحاوي في عقيدته: "قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفني ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد" (1).

وما كتب الله أن البقاء مثل الجنة والنار، فدومهما، و بقاوهما ليس ذاتياً لهما، بل بياؤهما بإبقاء الله لهما، أما بقاء الرب، فهو ذاتي لا يجوز عليه الفنا، أبنته.

فهذان اسمان دالان على أزليته، وأبديته - يعني - على دوام وجوده في الماضي، والمستقبل.

(1) المقدمة الطحاوية ص 19.
واسمه سبحانه «الظاهر» يعني العالي، والظهور من معانيه
العلو، فهو الظاهر الذي ليس فوق شيء، بل هو فوق كل شيء
(»وهَوَّ الْقَافِرُ فَوَقّ عِبَادِهِ وَهُوَ الْخَيْمُ الْمَلِيمُ« [الأنعام]).
وهو «الباطن» الذي ليس دونه شيء، فبه نافذ لجميع
المخلوقات، وسمعه واسع لجميع الأصوات، وعلمه محيط بكل
شيء لا يحجب سمعه شيء، ولا يحجب بصره حجاب، بصره
نافذ يرى عباده، وعلمه محيط بكل شيء.
وليس معنى الباطن أنه تعالى داخل في المخلوقات، بل هو
بائن من خلقه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته
شيء من ذاته.
وقوله: «وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَزيِّزُ» [الأنعام: 18] إسمان من
أسمائه الحسنن دالان على كمال حكمته، وخبرته، فهو خبير
بثقافة الأشياء، وهو أخص في المعنى من اسمه العلم.
وقوله: «يَلْيَعُمُّ مَا يَلْيَعُمُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَلْيَعُمُ مَا يَصِّبُهُ وَمَا يَلْيَعُمُ مَا يَأْتَهُ» [سَبْأ] كأن هذه الجمل
تفصيل لمضمون اسمه الخبر.
و«يَلْيَعُمُ مَا يَلْيَعُمُ فِي الْأَرْضِ» ما: صيغة عموم - يعني -: يعلم
كل ما يلهم في الأرض: من الأحياء: كالحيوانات التي لها
مساكن تأوي إليها في الأرض، ومن النباتات، ومن الناس، وما
يدخل فيها من الجمادات، كالحياه التي تغور في الأرض.
وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ الْأَرْضِ فَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنَ الْأَمَرِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْ عَنْدِهِ.

يَعْلَمُ هَذَا كُلُّهُ، وَهَكَذَا قُوْلُهُ عَطَالَى: {وَمَنْ يَقْبَلُ مَقَاطِعَ الْقَبَّةِ}.

[السُّلَيْل: 95] عَنْهُ خَزِائِنِ الْغِيبِ الَّتِي أَسْتَأْثَرَ بِعَلْمِهَا، وَمِنْهَا:

الْخَمْسِ الَّتِي لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْعَالَمَاتِ وَبِلَاءُ الْأَلْفِيَّاتِ وَيُنَزِّلُ مَا فِي الْأَرْجَاهِ} وَاقْتُرِ صُدُورٌ تَقْسَمُهَا مَا تَسْكُبُ عَدَدًا وَمَا تَدْرُى تَقْسِيمٌ يَأْتِي أَضْرَبَتْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْخَيْرَاتِ (97) [الفناء] فَهَذِهِ

خَمْسٌ تَفْرَدُ اللَّهُ بِعَلْمِهَا لَا يُعْلَمُهَا مِلْكَ مَقْبُورٍ، وَلَا نَبِيّ مُرْسَلٌ.

رَبَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مَا: صِيَاغَةُ عَامِمٍ؛ أَيِّ: كَلِّ مَا فِي الْبَرِ.

يَعْلَمُهُ اللَّهُ.

وَالْبَحْرُ، أَيِّ: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَحْرِ، عَامًّا يَشْمَلُ مَا فِيهِ مِنْ

الْحِيَائَاتِ، وَالنَّبَاتَاتِ، وَالجَمِـاَدَاتِ الَّتِي لَا يُحْسِنُهَا إِلَّا خَالِقَهَا.

وَمَا تَسْقَطَ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يُحْسَنُهَا وَلَا حَجَّرَ عِنْدَ الْأَرْضِ

وَلَا رُطْلُ، وَلَا بَيْضٌ إِلَّا فِي كِتَآَبِ خَيْرٍ يَشْمَلُ كُلِّ رَطبٍ وَباـبِسٍ، لَكَنَّ

هَذِهِ كُلُّهَا نَكَرَاتٌ فِي سَبَاقِ النَّفْيِ، وَالنَّكَرَةُ فِي سَبَاقِ النَّفْيِ تَمْعَن.

كُلُّ هَذِهِ الْدَقَائِقِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ مَعْلُومَةٌ لِلْرَّبِّ

وَاللَّهُ مَهْيِطٌ بِهَا، وَهِيَ مَثْبَةٌ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ- كِتَابِ المَقَادِيرِ -

(1) قَدْ جَاءَ هَذَا فِي حَدِيثِ أَبِي هِرَبْرَةُ، الَّذِي رَوَاهُ البَعْتَارِيُّ (560) وَمَسْلِمٌ (9).

فكل هذه الآيات دالة على: إثبات علمه، وأنه الموصوف بالعلم المحيط بكل شيء فهو تعالى: العليم، والعلم صفته، وعلمه لا يعوز عنه شيء.

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَأَنْفَسَاكَ نَكُونُ عَلَيْكَ عَلَّةً} {سَبْعَةُ} [32] وفيها دليل على إحاطة علمه بكل صغير، وكبير؛ بالجزئيات، ودقائق المخلوقات خلافة للملاحظة الذين يقولون: إنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها، أو لا يعلم الجزئيات، وإنما يعلم المعاني الكلية.

وفي هذه الآيات رد عليهم.

 بل يعلم ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: {وَلَوْ رَدَّوا لَنَفِنْ سَمَآوَاتُ إِلَى سَمَآوَاتِكَ} [الأنعام: 28] والمعطلة؛ كالجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة ينفون صفة العلم عن الله، وهذا إلحاح في أسماء الله تعالى، وصفاته، وتنقص لرب العالمين، فإذا كان المخلوق يوصف بالعلم، فكيف لا يوصف الخالق، وهو أحق بكل كمال؟
فعلمه تعالى ثابت بالعقل، وبالسمع أي: النصوص الشرعية.

وقد نبه على الدليل العقلي في مواقف منها قوله تعالى:

{لا يعلمون من خلق} [السنن: 14] إذاً، وجود هذه المخلوقات في غاية الإحكام دليل على علمه سبحانه، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، فيؤمنون بما في هذه الآيات من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فيثبتون علمه بالأشياء قبل وجودها، ويشتبون علمه بالجزئيات، ويعتنون بأنه تعالى علماء، وأن هذا الاسم دال على معنى، فهو علم بعلم، والعلم صفته، فسبحان من أحاداث بكل شيء علما قال تعالى:

{هل أعوذ أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحادث بكل شيء علما} [القلقلاء: 12]
توضيح مقاصد السياق الواسطية

إثبات القوة والسمع والبصر والإرادة

وقوله: "إن الله هو الرزق ذو القوة الالبدين" [الزمر: 65].
وقوله: "ليس كثيلهم من الناس، وهو السميع البصير" [النسورى: 68].
وقوله: "ولما إذ دحلت بيتنا فلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله" [الكهف: 239].
وقوله: "ولو ساء الله ما أقسم الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيعة، ولكن أخذوا منهم من وعدهم من كفر، ولما شاء الله ما أقسموا ولكن الله يفعل ما يشاء" [المائدة: 242].

 هذه أيضا جملة من الآيات المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته، وهي داخلة في الجملة التي أشار إليها الشيخ، وهو الآن بصد تقريرها بواحدة، وهي أن الله تعالى: جمع فيما وصف وسمى بنفسه بين النفي والإثبات.
فوصف نفسه بإثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلية، وبنفي الآفات والعيوب والنقائص، فين هذه النصوص القرآنية المشتملة على بعض أسماء الله وصفاته قوله تعالى: "إنَّ الله هُوَ الْرَّزَاقُ دِيَارَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۛ [الرقية 40]. ففي هذه الآية إثبات اسم من أسماء الله الحسنى، وهو الرزاق.

والرزاق: صيغة تدل على كمال الرزق، وكثرة.

فكل ما يحصل للعباد من رزق مادي، أو معنوي من: علم، أو مال، أو أي منفعة فمه سبحانه.

وَسُكَانَ مِنْ دُونِهِ لا يَحْبَلُ رَزْقُهُهَا اللَّهُ يُرْزَقُهَا وَيَزِيدُهَا وَهُوَ الْمُتَمِمُّ الْعَلِيمُ [الزمر 160].

والنصوص المفسرة لهذا الاسم، والمفصلة له كثيرة فهو تعالى: خبر الرازيقين: "وما يكم من ينقم فمَنْ أَنتَ ۛ [الجمارق 36]. فكلما يتقلب فيه العباد من النعم، فهي منه سبحانه هو الذي أعانهم عليها، وأمد Humanities بها.

والله تعالى هو: الرزاق، وما يحصل على أيدي الناس من رزق فهم فيه أسباب فقط.

فالإنسان يرزق أولاده، يكد، ويكدح، ويتفاءل عليهم، قال تعالى: "وَلَا تَنْفِقُوا بِالْحَقِّ قَيْسًا لِّيُعْلِنَ الَّذِينَ كُفٍّانَ ۚ آلِهَةَ نَفْسِهِمْ زَوَّٰرُهُمْ " [البقرة 5] أمر برزقهم يعني: بالإنفاق عليهم.

لكن الرزاق حقيقة، والمطيع حقيقة هو: الله.
وقد ذلقت هذه الآية - أيضًا - على صفة من صفاته، وهي القوة (۷۸) الآية: القوة التي لا تشبه قوى المخلوق، فالمخلوق يوصف بالقوة، قال تعالى: "للّ آلذى خلقكم من ضعيف ثم جعل من بعده ضعيف" (الروم: ۵۴) ولكن ليست قوة المخلوق كقوة الخالق تعالى ؛ فهو القوي، ومن أسمائه القوي، ومن صفاته القوة، فهو ذو القوة المتمين - يعني - الشديد القوة. (۱۰) أولئك يروا أن للّ آلذى خلقهم هو أشد مثبم قوة (النصرات: ۵) فيهج الإمام بذلك، والإيمان بهذه الأسماء له أثره السلوكية إذا علم الإنسان أن كل الخير بيده، وأنه لا منع لما أعطي، ولا معطي لما متع توجه بقلبه لربه في كل حوائجه، فهو الذي لا يأتي بالحسنت إلا هو، ولا يدفع السينات إلا هو، يوجد له ذلك الرغبة إلى الله، ورجاءه، وتوليه عليه في حصول الخير، ومنائف الدنيا، والآخرة.

وإذا علم العبد أنه تعالى: القوي، وأنه ذو القوة - أيضًا - ازداد تعظيما لربه، ورجاء له، وخوفا منه، فقوته لا يقاومها قوة، ولا يعتريها ضعف.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: "إن للّ بنيا يطكبر إن للّ كأن بيئا بعيرا" (النساء: ۸) وقوله: "لست كشيئا مثلك، وفهو السميع 알صبيع" (النصرات: ۱۱) نفي وإثبات لليس كشيئا مثلك، شىء هذا نفي مجمل، نفي للممثل عن الله فلا شيء مثله، ليس شيء في الموجود مثله لا في علمه، ولا في سمعه، ولا في بصره، ولا في قدرته،
ولا في رزقه، ولا في قوته، ولا في عزته {آيتُ كُلٌّ كُلُّهُ}، {لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله وهم السبب فيَّ اللَّهُ}، {فيه إثبات أسمن من أسماء الله الحسنى، فهو السميع وهو البصير.

وفي هذا إثبات لصفتين من صفات الله: السمع والبصر، فهو:

السمع، وهو ذو سمع؛ خلافاً للمعتزلة الذين يفرون أسماءه، أو يعتلون صفاته، كالمعتزلة الذين يقولون: سمع بلا سمع، بصير بلا بصير، وهذا جهل وضلال، وإلحاد في أسماء الله، بل هو سميع بسمع، ومنه، وسمعه واسع لجميع الأصوات {إِنَّمَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ آلاَّ تَسْتَمِعُ الْبَرْحِمُ وَبَقِيَّةُ الْمَـنْبِئَـيْنَ} {الزُّحَرْفِ} {فَمَا يَسْتَمِعُ مِنْ جَوَابِيَّةٍ} {النَّسْرُ} {أَنْ هُوَ رَأِيْهَا وَلَا حَسَنَةٌ إِلَّا هُوَ سَادُشُهُمْ} {المحايدة: 7}، مهما أسر الإنسان في حديثه ومحادثته، ومهما تناجى المتناجون، فالله يسمع نجواهم ويعمل ما جرى بينهم.

وسمع الله ليس كسمع الخلق، سمع الخلق محدود، وموجوب له من الله.

أما سمع الخالق؛ فليس بخلقه، سمعه تعالى صفة ذاتية له لم يزل، ولا يزال سمعاً، ولم يزل، ولا يزال بصيرا، ما زال بصفاته قبل خلقه لم يزداد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، هكذا يقول الإمام الطحاوي في عقيدته (1) فصفاته تعالى أزلية.

والأيمان بذلك له أثر، إذا وقفر في القلب الشعور بأنه تعالى:

(1) ص 3.
سمع بصير؛ أحدث له المراقبة، لكن تضعف هذه المراقبة عند ضعف الشعور والاستحضار لسمع الرب وبصره، أما من استحضر أن الله يسمع كلامه سوف يُحبب حسابا لما يتكلم به؛ لأنه يستحضر أن الله يسمعه، لكن يؤتى الإنسان من غفلته عن إطلاع الله عليه، وسمعه.

وتفصيل صنف السمع والبصر كثير في القرآن.

والله تعالى يسمع كلام المؤمنين، وكلام الكافرين، وكلام الناس العادي، فهُنَّ سَمِيعُ اللَّهِ وَقُولُ أَلَّيْكُمْ فِي رَبِّكُمَا [الحج: 1]. هذا من الكلام العادي تجاور في قضيتها، ويسمع المنتصرين لربهم {فَلَمَّا سَمِعَ اللَّهُ قُولَهُمْ قَالَواْ إِنَّ اللَّهَ كَلِمَتُهُ وَقُولُهُمَا أَشْهَدَاهُ الْجِبَرُىْلُ [الرحمن: 161]}. وسمع كلام الرسل في دعوتهم، وما يرد عليهم قومهم، كما قال سبحانه لموسى وهارون: {إِنَّ مَعَكُمْ أَشْهَدُونَ وَأَرَادُونَ [ط: 46]}. {أَيَا مَعَكُمْ مَتَّعُونَ [الشعراء: 20]}. {لَا تَسْتَعِينُوا بِالْجِبَرِيْلِ وَبِالْذَّيْنَ أَعْلَمُونَ [الحجر: 2]}. بصير وبصر، وبصره نافذ بجميع المخلوقات، فهو السمع البصير، ولما قرأ النبي هذه الآية (1) "وضع إيهامه على أذنه، والسببة على عينه" (2).

(1) أي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَنَّا مَتَّعُونَ} [النبات: 58].
(2) روى أبو داود (4728)، وابن خزيمة في التوحيد ص 42، وابن أبي حاتم في تفسيره 987، وابن حبان (210) من حديث أبي هريرة.
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح 1273/2: أخرجه أبو داود بسنده قوي على شرط مسلم.
قال أهل العلم: يبان أن المراد بالسمع والبصر حقيقةما أنه ذو سمع حقيقة، وذو بصر حقيقة.

ثم ذكر المؤلف الآيات الدالة على إثبات المشيئة والإرادة:

"ولولا إذ دخلت جنتك فلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله" [الكعب: 219]

هكذا يقول الرجل الصالح المؤمن لصاحبه الكافر المغرور بجنته حين سمعه يقول: "ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعية قاسية ولين تودت إلى بني لا حدود حيًا من عينها مقلًا قال للصاغية وهو يحاوله أدرك باليدي خلفك من رأس ثم من ظهر ثم سوقك ليس هذا هو الله ربي ولا آشور أبدا أنا وأنا إذ دخلت جنتك فلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله" [الكعب: 219]

يقول: لو أنك عندما دخلت جنتك تذكرت أنها إنما حصلت بمشيئة الله، وتذكرت أنه لا قوة لك ولا غيرك إلا بالله، وكان الواجب عليك أن تقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أما أن تقول: ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعية قاسية، فهذا كفر وإنكار للبعث، وإنكار لفضل الله، وإنكار لربوبته سبحانه، لأنه هو المنعم المتفضل هو الذي يعني ما يشاء لمن يشاء.

وقوله تعالى "ولو شاء الله ما أفسالأ وَلَكِنَّ الله يفعَّل ما يُريد" {الأحزاب: 85} أخبر الله سبحانه عن نفسه بأنه مريد، وهو فعل لما يريده. "وَلَيْنَ يَرَى اللَّهُ يَصٌحُ الْبَصَرُ وَلَا يَرَى يَصٌحُ الْمَاعِرَ" {الميسرة: 185} و"وَلَيْنَ يَرَى اللَّهُ يَصٌحُ لَكُمْ وَلَا يَرَى يَصٌحُ شَيْءًا مِنْ أَلْبٍ أُولِئِكُمْ" {التوبة: 226} و"فَمَن يَرَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَرَى صَدَرَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ" {الأنعام: 95} فمن صفاته سبحانه الإراده فهو يريده، قال أهل العلم: (1) الإراده المضافة لله تعالى نوان: إراده كونية، وإراده شرعية؛ أما الإراده الكونية، فهي بمعنى: المشيئة، ومن شواهدها قوله تعالى "سَألُوا لَيْنَا يُرِيدُ" {بقر: 61} هذه إراده كونية، كل ما شاء سبحانه أن يفعله فعله؛ لأنه لا معارض له، ولا يستعصي عليه شيء.

ومن شواهد الإرادة الكونية قوله تعالى "فَمَن يُرَى اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ" {الأنعام: 95} يعني: من يشاء الله أن يهديه بشرح صدره للإسلام يوسع صدره، ويقذف النور فيه، ويجعل فيه القبول للحق، فيقبل الحق بانشراح، وسرور، و"وَمَن يُرَى لَيْنَا يَصٌحُ" - نعود بالله - يجعل صدره ضيقا حرجا، ينفر من الحق ويشمئز منه، "وإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَارًى قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِالْأَخِيرِ" {الأسر: 32} والله تعالى يَمْنُ عَلَى ملشيه يهدي ملشيه وأرضعه ويرحمه، ويبسط من يشاء بحكمته وعدله، يعطي ويمنع، يهدي ويضل، ويعز ويدل.

(1) مجموع الفتاوى 8/188، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان 226/21، وشفاء العليل ص: 280.
وأما الإرادة الشرعية ؛ فمتعلقة بما أمر الله به عبادة مما يحبه ويرضاه ومن شواهدها : قوله تعالى: \textit{"إِنَّمَا يَرْضِيُ اللَّهُ الْيَسِيرَ وَلَا يَرْضِيُ الْفَضَّلَاءَ} [البقرة: 185] و\textit{"إِنَّمَا يَرْضِيُ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} [الآثار: 220].
\textit{إِنَّمَا يَرْضِيُ اللَّهُ الْيَهْزَرَ عَنْهُمُ الْيَتِيمُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلِيَطْهَرُ} [الاحزاب: 32].

فهيان إرادتان، قال أهل العلم (1): إن الفرق بين الإرادتين من وجهين:

أما الإرادة الكونية ؛ فإنها عامة لكل الموجودات، فهي شاملة لما يحب سبحانه، وما لا يحب، فكلما في الوجود، فهو حاصل بإرادته الكونية سواء في ذلك ما يحبه الله، أو يبغضه، فكلما في الوجود فهو حاصل بإرادته تعالى الكونية التي هي بمعنى المشيئة، فإنه لا يخرج عن مشيئته، أو إرادته الكونية شيء آخر.

أما الإرادة الشرعية ؛ فإنها تختص بما يحبه سبحانه، فطالعات مرادة لله شرعا، أما المعاصي فليست مرادة شرعا، وما

(1) انظر: ص 68 هاش رقم (1).
يقع من الطاعات؛ كالصلاة مثلاً نقول: هذه الصلاة تتعلق بها الإرادتان: الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية.

وهكذا سائر الطاعات واقعة بالإرادية الكونية، ومتعلقة كذلك بالإرادية الشرعية، فهي مرادة الله كونًا وشرعاً.

أما ما يقع من المعاصي فهي مرادة الله كونًا؛ لأنه لا يقع في الوجود شيء أشبه إلا بإرادته، ومشيئته سببه.

لكن هل المعاصي محبوبة الله؟ لا؛ بل هي مبغضة، وإن كانت واقعة بإرادته.

فالفرق بين الإرادتين من اوجه:

الأول: أن الإرادة الكونية عامة فكل ما في الوجود فهو مراد الله كونًا.

أما الإرادة الشرعية: فإنها إنما تتعلق بما يحب الله.

قال أهل العلم: فتجتمع الإرادتان في إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

الثاني: تنفرد الإرادة الشرعية في إيمان الكافر؛ فالكافر مطلوب منه الإيمان لكنه لم يحصل، فهو مراد الله شرعاً، لكنه غير مراد كوناً، إذ لو شاء الله لا أهدى {وَرَلَّاَهُمَا رَبِّكَ لَأَمَّا مِنْ أَلْوَاهُمَا} [يونس: 99]، وكذلك الطاعة التي أمر بها العبده، ولم يفعلها مرادة الله شرعاً، لكنها لم تتعلق بها الإرادة.
الكونية، إذ لم تعلقت بها الإرادة الكونية لحصلت.

الثالث: أن الإرادة الكونية لا تختلف مراها أبداً؛ أما الإرادة الشرعية فقد يقع مراها، وقد لا يقع، فله إراده الإيمان من الناس كلهم، أراده شرعاً، يعني أمرهم به، وأحب ذلك منهم، ولكن منهم من آمن ومنهم من كفر.

فالإرادة الكونية لا تختلف مراها، أما الإرادة الشرعية فقد يحصل مراها، وقد لا يحصل.

هذا ما يتعلق بالآيات التي ذكر المؤلف، وكلها فيها إثبات الإرادة: إما الإرادة الكونية، أو الإرادة الشرعية.

وهل للمخلوق إرادة ومشيئة؟ نعم، قال تعالى: "وَلِلنَّفْسِ أُلْزِمُتْ عَرْضَ الْأَنْثِيَةِ وَلَمْ يُرِيدَ اللَّهُ أَنْ يَخْتَلِفَ النَّاسُ إِلَّا أَن يَسْتَجِدُوا إِلَى اللَّهِ " (الإسنا: 40).

لكن إرادة المخلوق ومشيئة المخلوق مخلوقة، ومقيدة، وتابعة لمشيئة الله تعالى.

ومشيئة المخلوق قد يحصل مقتضاها، وقد لا يحصل، فقد يشاء الإنسان ما لا يكون، وقد يكون ما لا يشاء، وهذا شأن المخلوق، أمأ الخالق فما شاهه فلا بد أن يكون، وما لا يشأ الوالد يكون أثبتة، لأنه لا يعجزه شيء، ولا يستعصي عليه شيء، كما شاء عن يفعله فعله، وما كَذَّبَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ أَمَّا مِنْ خُلُوٍّ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ إِنِّي كَانَ عَلَيْهَا فَطِيرًا (ناس: 44).
ورأقوله "وأَخْبَرْنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ المَقْسُوتينَ" [البقرة: 195] [وعقَطْنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ المَقْسُوتينَ] [ال ankā: 9] [فَقَمْنَا أَسْتَقْفَّنَّا كَمْ تَأْسِينَمَا] [لِيَنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ النُّبُوَّةَ وَيَحْبُبُ المَجَالَاتِ] [المسدسة: 222] [فَعَلَّهُ اللَّهُ يَقْوِ يَجْمَعُهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ] [المائدة: 41] [فَإِنَّ اللَّهَ يُحْبِبُ الْأَثْلِيِّ الَّذِي يَقْتَلُ وَيَقْتَلُهُ] [السجدة: 31] [فَلِلَّهِ كُلُّ يَجْمَعُونَ اللَّهُ أَنَّ يَجْمَعُهُمْ يَحْبِبُهُمِّ] [التوراة: 21] [وَلَبِينُ مَرْصُوعٍ] [الشرح: 70] [وَهُوَ الْقُوْرُ الْقُوْرُ الْوَلِيدُ] [الشرح: (2)].

وكل هذه جملة من الآيات الدالة على صفة المحبة للرب، فهو سبحانه يحب والمحبة صفة من صفاته، كما قلنا في الفرة، والسمع، والبصر، والإرادة كلها صفات أخرى لله بها عن نفسه، كذلك أخبر بأنه يحب بعض عباده: يحب المحسنين لاحسانهم إلى عباد الله، يحب المقصرين الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم، وما وَلَأ، ويبذل التوابين الرجاعين إليه عن الذنب والتقصير، يحب المتطهرين كما أمروا، يحب المتضنين، يحب

(1) في ب: "أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَّ بِنَعْمَةٍ فَأَنْعَمَّ" [المائدة: 119] وسناتي ص 82.
(2) زيادة من م.
المجاهدين في سبيله، كله إخبار عن الله، فوجب الإيمان بأن من صفاته سبحانه: المحبة، وفي هذا غاية الترغيب في هذه الأعمال.

ومحبة الله للعبد هي فوق ما ينال من الثواب، فالمؤمنون المخلصون أولياء الله يتطلعون للفوز بهذه المحبة أن كنتم تُنبِّئون أنَّا كَأَنَّىً فَأَلْقَعَنَّكُمُ اللَّهُ [ال عمران: 321].

والملخص يوصف بالمحبة، ولكن مع الفرق، فللملحق محبة تليق به، وتناسبه يمكن أن يُعَبَّر عنها: بيميل الإنسان إلى ما يناسبه، أو ما أشبه ذلك، والله يوصف بالمحبة، وليست محبة الخالق كمحبة المخلوق، [ليس كَجَعَلَهُ شَيْئًاٌ وَهُوَ آَلِهُ السِّمِيعُ] [ال فَرْعَوْنَ: 11] لكن محبة الخالق محبة حقيقية لا كما يقول المعطولة من الجمعية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينفون وينكرن حقيقة المحبة(1)، ويقولون: الله لا يحب، ولا تليق به صفة المحبة، ويحرفون ما جاء في النصوص، ويفسرنها: إما بالإرادة، وإما بالثواب، أو إرادة الثواب، ويقولون: يحب المقصرين، يحب المتقين - يعني - يريد أن ينعم عليهم، أو يقولون: يحب المقصرين - يعني - يشيعهم، فينقرون عن الله حقيقة المحبة، وهذا مبنيًّا على أصولهم الفاسدة أن إثبات هذه الصفات يستلزم الشيء، يقعون في النفاق، ويفرون من شيء؟ يقعون في نظره، أو في شر منه.

(1) مجموع الفتاوى 8/356 و10/26.
وأهل السنة والجماعة يثبتون الله كل ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، فيدخل في ذلك إثبات المحبة لله، وأهل السنة يثبتون الله المحبة من الجانبين، فيقولون: إنه تعالى يحب، ويحب الله المؤمنين، والمجاهدين، والمقسطين - كما في الآيات -، ويجب أولياءه المؤمنون كما قال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنَّهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ عِينَانَانَ» (السراة: 44).

وأله سبحانه يختص بمحبته من يشاء - كما ذكر في هذه الآيات -، بل إنه يفضل بعض عباده في هذه المحبة، ولهذا اتخذ من عباده من اتخذه خليلاً ؛ كإبراهيم، ومحمد (صلى الله وسلامه عليهما، وسائر النبئين.

ومن الأدلة على إثبات صفة المحبة لله سبحانه قوله تعالى: "وَهُوَ الْقَبِيرُ الْمَوْدُودُ" (البقرة: 55) ودود من المودة قيل: ودود : كثير المودة لأوليائه، كغفور - يعني - كثير المغفرة، وقيل: ودود بمعنى مودود، أو محبوب، والأخير هو الراجح في تفسير هذا الاسم.

ورجع العلامة ابن القيم (2) إجراءً لهذا الاسم مجرى غفور، وشكر، وما أشبه ذلك من الأسماء الحسن.

(1) قال تعالى: "ثَمَّ أَنَا هُوَ الْحَيُّ الْقَيِّمُ الْأَعْجَمُ" (النساء: 125)؛ وروى مسلم (532).

(2) رواية المحبين ص 46.
إثبات صفة الرحمة لله 

وقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [النسم: 3]، وَسَتُقْلُلُ [الأسـرار: 44] [وقوله: وَرَحَمَتُنَا وَسَيُبْعَتُ كُلَّ نَيَّةٍ] [الأعـراء: 60] (1) كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى نَغْيِهِ الرَّحْمَةَ [النسم: 40]، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] [الصوم: 107]، فَآتِهَا حَيَّاً وَهُوَ أَرْحَمُ 

إثبات صفة الرحمة لله 

الشرع 

هذه الآيات دالة على بعض أسماء الله تعالى وصفاته، وهي مشتملة على إثبات هذه الأسماء: الرحمن الرحيم الغفور أرحم الراحمين، وهذه الأسماء تدل على إثبات صفة الرحمة على ما هو مقرّر في القاعدة المشهورة وهي: أن كل اسم متضمن لصفة، فإن الدلائل على الإثبات، كمثلاً، في هذه الآية، يشير إلى الرحمن الرحيم، فإن بعض آية في سورة النمل بإجماع أهل العلم، قال تعالى: إِنَّهُ مِن شَيْءٍ مَّـنْ شَيْءٌ فَيْسَمُ عَلَى اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ [النسم: 3]، وأما البسملة التي تفتح بها السور ففيها خلاف، قال: إنها آية من كل سورة، وقال: إنها آية أنزلت للفصل بين السور، والدلالة على ابتدائها، وهذا أظهر، أي: إنها آية من القرآن.

(1) زيادة من م.
أنزلت للدلالة على أوائل السور، والفصل بينها (1).

وهذان الإسمان: الرحمن الرحيم قد جاء في مواضيع كثيرة من القرآن مقترين كما في البسملة، وفي الآية الثانية من الفاتحة، وفي قوله تعالى: "وَإِلَهَيْكَ أُلْهَيْنِ إِلَيْهِ وَجَدَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوُّ الَّذِي يُحْمِدُ"

(البقرة).

و جاء مَنْتَفِقٌينْ فذِكَّرُ الرحمن في مواضيع وحده، ورحيم ذكر وحده، أو مع اسم آخر، فالرحيم فُرِئْن باسم آخر كالغفور، والرَّحِيم، وَإِنَّ اللَّهَ إِلَيْكَ رَحِيمٌ تَجْمَّعُ [البقرة: 143]. وَلَا يُعَفِّرُ اللَّهُ عَفُورًا تَجْمَّعٌ [الحديث: 28]. وَهذَا الإسمان من أسماء الله الحسنى.

فهو الرحمن، وهو الرحيم.

والمشهور في الفرق بينهما: أن الرحمن يدل على الرحمة العامة، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

وقال بعضهم: الرحمن - يعني - في الدنيا، والآخرة، والرحيم - يعني - في الآخرة. وهذا قريب من الذي قبله، والحق أنه الرحمن الرحيم في الدنيا والآخرة (2).

و جاء عن ابن عباس أنه قال: "الرحمن الرحيم إسمان رقيقان" (3). يعني: يدلان على الرحمة، وهي معنى في رقعة (4).

(1) المغني 2/151، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 2/26، وتفسير ابن كثير 1/116.
(2) تفسير الطبري 50/5.
(3) رواه البهذقي في الأسماء والصفات ص 56، وضعه ابن حجر في الفتح 359/13.
وتقتضي الإحسان، والانعام، والكرام، ولا يقال: إن هذا تفسير للرحمة؛ لأنها صفة معقوله المعنى، وضد الرحم المقصود، وضد الرحم المذكور.

الرحمة الإهداء: "إني أرسلتكم برسول مبين بخيركم أو إني أسبح
بحمدك وسبحانك عليهم وصبرلاً [الإسراء]، يعلمون من يشاء
ويعطوه من يشاء، وإلهي تقبلون [العنبر]

وفرق ابن القيم (1) بين هذين الاسمين: بأن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقه بالمرحم، فكان الأول: للموصف، والثاني: للفعل؛ فالأول: دال على أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته. أه
والرحمة من صفاته الذاتية فإنه لم يزل ولا يزال متصفا
بالرحمة، وهو موصوف بالرحمة الفعلية التي تتعلق بها مشيئته، و
هي صفة فعلية يرحم من يشاء، فلا يزال يرحم من يشاء كيف
يشاء.

وقد أنكر المشركون اسمه الرحمن، فأنكر الله عليهم ذلك، وكفرهم قال تعالى: "وإذا قيل لهم: استجيبوا لله بعيناً، و_words_omitted_ (النصر)، وقال تعالى: "كذلك أرسلتكم في أمة تحللت من قبلها امحمد، إن لم تنبذوا عليهم الدعاء، وإن كنتم تكنون بالرحمة، فل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلن، وإليه

مكاب [الرعد].

(1) بدائع الفوائد ١٠/٢٧١
إذاً الرحمن الرحيم اسمان من أسمائه الحسنى دالان على صفة الرحمة، وفي بعض الآيات التصريح بصفة الرحمة قال الله: {وَرَحَمَتُ وَسَبَتَ ۖ كُلُّ شَيْءٍ} (الأعراف: 156)، {رَبِّنَا وَسَبِّيتَ سَعْلُ كُلٍّ رَحْمَةً وَعَلَمًا} (طه: 7)، {قَالَ اِلَّهُ مَيْلًا حَسْبَانًا وَرَحْمَةً فَاءْرَاحِمَ} (النور: 24).

والعباد يوصوفون بالرحمة، قال تعالى {لمَّا نُهِيَ عَلِى الْكَفَارَ رَحْمَةٌ} (القصص: 24)، وقال {الراحمون يرحمهم الرحمن} (1). فالعباد يوصوفون بالرحمة، وليس هذا من التشبّه في شيء، فللخلق الرحمة التي تناسبه، وللرب الرحمة التي تناسبه وتلبق به، ليست الرحمة كالرحمة، ولا الرحيم كالرحيم، قال تعالى رحيم {وَإِنَّ آلِنَّا يَكُونُ رَوْفٌ رَحِيمٌ} (الحديد: 9)، وكذلك المخلوق يسمى رحيماً؛ كما قال الله عن النبي ﷺ {لَقَدْ جَآءَ هُمْ رَسُولُ ۖ يَنْفِرُونَ فِيْهِ مَا عَيْشَ ۖ حَيِّيٌّ عَلَيْهِ مَا رَوْفٌ رَحِيمٌ} (النبوة: 33)، وليس الرؤوف كالأموات، ولا الرحيم كالأموات.

فللخلق من هذه الأسماء، وهذه الصفات ما يناسبه، وله

(1) رواه أحمد 1/200، وأبو داود (4941)، والترمذي (1924)، وقال: حسن صحيح، والحاكم 159 واصحبح من حديث عبد الله بن عمر بن العاص، وقوراه بن نيعمة في الاستقامة ص312، وصححه العراقي في الأربعين العشرينية ص135، وحسبه الحافظ ابن حجر في الامام بالأربعين العبجية بشرط السماع ص32، وهو الحديث المسنن بالكرمة. انظر: المناهل السليمة في الأحاديث المسننة ص6.
تعالى ما يناسبه، ويليق بعظمته، وجلاله، وكبريته واهل السنة والجماعة منهجهم في هذه الصفات، وهذه الأسماء منهج واحد: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية، وهذا معنى قول السلف: في نصوص الصفات - أمروها كما جاءت بلا كيف.

يعني: أمروها كما جاءت مثبتين لما تدل عليه، مؤمنين بها غير محترفين لها، ولا مكيفين لما تدل عليه.

فأهل السنة والجماعة يثبتون الله صفة الرحمة على حقيقتها، وأما أهل الكلام أهل البعد، والضلال من الجهمة والمعتزلة والأشاعرة؛ فينفون حقيقية الرحمة (1)؛ لأنهم يقولون: إن الرحمة رقة تعتري من قامت به الرحمة، وهذا لا يليق به سبحانه، فالرقة فيها ضعف.

وإذنا هذا خطأ؛ لأنه تفسير لرحمة المخلوق، فهي التي يمكن أن يعبر عنها بأنها رقة، وانفعال تعتري من قامت به، و لما توهموا من إثبات صفة الرحمة أنها مثل رحمة المخلوق نفوا حقيقة الرحمة، وفسروا إما بالإرادة؛ فقالوا: الرحمة من الله إرادة الإعفاء والإحسان على عباده، أو إن المراد بها: ما يخلقه سبحانه من النعم التي ينعم الله بها على عباده.

(1) انظر: مختصر الصواعق 3/860-888.
نعم هناك رحمة مخلوقة، لكنها غير صفة الرحمة التي هي صفة الرعب تعالى، فالرحمة تضاف إلى الله صفة له، كما في هذه الآيات: {وَرَحِمَتُ مِنْ لَحْبِهِ} [الأعْجَاف: 159], {فَرَءَيْتُ وَسَبِيعَتُمْ كَلِّ شَيْءٍ} [الsqueeze: 7], {قَالَ رَبِّ لَا يَكُونُ تحفظاً} [ يوسف: 44]. فهذه الرحمة هي صفة الرعب قائمة به، كعلمه، وسمعه.

أما الرحمة المخلوقة فإضافتها إليه كإضافة المخلوق إلى خالقه كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: "إنه الله وحده لا شريك له، رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن، والإنس، والبهائم، والهوام، فيها يتعاطفون، وهنا يتراحمون، وهنا تطفو المرحلة على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة".

ومن الرحمة المخلوقة الله ﷺ: الجنة: {وَأَلَّهَمُوهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْ لَحْبِهِ} [ال عمران: 19].

إذا قلت: أدخلني برحمتك فهذه توصل إلى الله؛ فهذه صفة {وَأَيْلَغْنِي بِرَحْمَتِكَ} في عبادك الصالحين [الนม: 19].

وقوله تعالى: {أَيُّهَا الْذَّانِكُونَ تَأْتُوا وَتْعَلَّموا الصَّلَايَةَ} يُحِيِّنَمْ رَبِّهِ [في حمزة] [البقرة: 20]. هذه الرحمة المخلوقة.

(1) رواه البخاري (٢٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له من حديث أبي هريرة.
فالرحبة المضافة لله نوعان:
صفة له سبحانه، و رحمة مخلوقة.

الفأولى: إضافةها إلى الله من إضافة الصفة إلى الموصوف.
والثاني: من إضافة المخلوق إلى خالقه.

قال تعالى - بعد ما ذكر إنزال الغيث بعد يأس من العباد - :
فَأَنتَ لَنَّا أَقْرَأْتُ اللهُ حَكِيمًا بِيَدِ الْأَرْضِ بَعْضُ مَوْعِدَةٍ [الرّوم: 101]، فالخطر رحمةٌ من يُبِيعُه.

فالمقصود: أن هذه الآيات دالة على إثبات ما اشتملت عليه من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، فيجب إثبات ذلك له على ما يليق به، ويختص به بلا تحريفٍ، وصرفٍ للنصوص عن ظاهرها كما يفعل أهل التعطيل، والضلال، ولا تكييف، ولا تمثيل، فالمنهج واحد في كل النصوص هذا منهج أهل السنة والجماعة.

وأما المعطلة فإنهم فنحن حقائق الصفات، ثم يؤولون النصوص، هذا هو الغالب عليهم، ومنهم المفوض الذي يقول: هذه النصوص لا تقول فيها شيئاً، بل نمارها ألفاظاً دون تفسير لها، ودون فهم لمعانها، فهي نصوص لا تدل على شيء، ولا يفهم منها شيء، وكلا القولين - قول أهل التفويض، وأهل التأويل - باطل؛ بل هذه النصوص دالة على معان معقولة، ويفهمها من وقفة الله، فهي تدل على إثبات هذه الأسماء، وهذه الصفات لربنا
 تعالى، وبهذا عرفنا أنه تعالى رحمن، وأنه رحيم، وأن رحتمه واسعة، وأنه وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأنه لم يزل رؤوفاً ورحماً.

ووهذا العلم والإيمان يوجب التوجه إلى الله بطلب رحتمه، ويبعث الرجاء في قلوب المؤمنين، إذا تدبَّر المسلم هذه الآيات تعلق قلبه بره، وقوي أمله ورجاءه فيه، فصار يرجو رحتمه، كما قال الله في صفة المؤمنين: {أَلَيْكَ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ بِغَيْبَتِهِمْ وَيَغْفِرُونَ رَحَمَتَهُ وَيَعْفَفُونَ عَنْهُمْ أَنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُخَذِّرًا} (الإسراء)، وبناء على هذا العلم يضرع المؤمن إلى ربه: اللهم ارحمني، وارحم عبادك المؤمنين، فيدعو لنفسه بالرحمة، ويدعو لإخوانه المؤمنين، وإذا رحمه ربه أنعم عليه بأنواع النعم، وأعظم رحمة يرحم الله بها عبده أنه يوفقه للإيمان، والعمل الصالح، والاستقامة على ذلك.
إثبات الرضا والغضب لله تعالى


الشرع

هذه الآيات اشتملت على إثبات بعض صفات الله، وهي: الرضا، والغضب، والكراهية، والمقت؛ فالله تعالى موصوف بهذه الصفات، فقد وصف تعالى نفسه بالرضا عن بعض عباده: "رضي الله عنهم ورضوا عنه" (السيرة: 116)، والغضب والسخط على أعدائه كما قال تعالى في اليهود في البقرة: "فبأ ربك يغضب على غضب" (بقرة: 90)، وقال تعالى: في سورة الفاتحة "غير".

(1) زيادةً من م، وقد تقدم إلى ص 72 بيان موضعها في ب.
الغضب علَّمهم \( (1) \) [التوبة: 7]، وهم اليهود، وقال تعالى في المنافقين: \( ولَكِنَّ سَكِينَةَ اللَّهِ أَيْمَانَكُمْ \) [ال kursiva: التوبة: 47] فهُم تعالى يكره، وفي الحديث: "إن الله كره لكم قبل وقال، وكثرة السؤال، وإضاءة المال\( 1)\)، وقال: "هَذَا ذِلْكَ كَانَ سَيْمًا، يَعْدَلَ ذِلْكَ مَكْرُوهًا \( 2)\) [الأعراف]. وكذلك وصف نفسه بالمقت للكافرين: \( مَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنفسكم \) [غافر: 10] والمقت هو: أشد البغض، فكما أنه تعالى يحب أولياءه المؤمنين، ويحب المقتسمين، والتوابين، والمتلبرين، ويحب المتوكلين عليه، كذلك يمحى الكافرين، ويغضبهم، ويكرههم.

وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات، ويرونها كما جاءت، يؤمنون بأن الله تعالى يرضى، ويغضب ويكره، ويمقى حقيقة، على ما يليق به، والمخلوق يوصف بهذه الصفات، فيوصف بالرضى رضى الله عنهم ورضوا عنه \( (1)\) [التوبة: 100] في آية واحدة، وليس الرضا كالرضى، ويفوصف المخلوق بالغضب، ولَمْنَ أرْجُعَ مَوْسِعًا إِلَّا قَوْمِهِ غَضِبْنَ أَيْمَانَهُ \( (2)\) [الأعراف: 105]. ولَمْنَأ سَكَّتَ عَنْ مَوْسِعِ الْغَضَبِ \( (3)\) [الأعراف: 154]، وليس غضب المخلوق كغضب الخالق سبحانه، وكذلك المقت في آية واحدة: \( مَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنفسكم \) [غافر: 10]، والمخلوق يوصف

(1) رواه البخاري (2408) ومسلم، كتاب الأفضية (593) من حديث المغيرة بن شعبة.
بأنه يكره (أَبِيُّ أُحَدَّكُمْ أَنْ يُؤَكِّلَ لِحَمُّ أَخِي مِيْتًا فَكَّرْتُمُوهُ)

[الحجرات: 12]

ولم تثبت صفة الخالق كصفة المخلوق، ولا صفة المخلوق كصفة الخالق، فيجب إثبات ما أثبته الله لنفسه مع نفي التمثيل، ونبي العلم بالكيفية، ومذهب أهل السنة والجماعة في نصوص الصفات قائم على هذه الأصول الثلاثة:

1- إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله.

2- نفي التمثيل - أي - نفي مماثلته تعالى لخلقه، وأن صفاته لا تماثل صفات المخلوق.

3- نفي العلم بالكيفية، فصفاته لا يعلم أحد من الخلق كيفتها.

وهل لصفة الرب تعالى كيفية؟

نعم لها كيفية لكن يجب علينا ألا نبحث عن كيفية صفات الرب؛ لأن ذلك قد استأثر الله بعلمه، فلا علم لنا بكيفية ذاته وصفاته.

ولهذا نقول: نفي العلم بالكيفية، و لا نقول: نفي الكيفية.

وقول السلف: تمر كما جاءت بلا كيف - يعني - بلا تكييف لصفاته، وولا بحث عن كيفية صفاته سبحانه.

وأمّا المعطالة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة في هذه
الصفات فإنهم ينفون حقيقة الرضا، ويفسرون بإرادة الإعماق نحو تفسير المحبة، والرحمة.
وينفون حقيقة الغضب، والكرامة، والمقت، ويفسرون ذلك إما بإرادة الانتقام، وإما ببعض المفعولات، وهي: ما خلقه تعالى من العقوبات، يعني: نفس المقت، والعقوبة التي خلقها الله هي الكرامة، وهي الخضب، وهي كذا وكذا، ويدعون أن الغضب- مثلًا- هو: غليان ذم القلب طببا للانتقام، وهذا المعنى لا يليق بالله.
فقال لهم: هذا تفسير للغضب المخلوق، وهذه حقيقة غضب المخلوق، فهو الذي يمكن أن يفسر بأنه غليان ذم القلب، أما غضب الرب سبحانه فليست هذا التفسير، غضب الرب معنى معقول ضد الرحمة من آثاره: الانتقام، وإنزال العقاب بمن غضب الله عليه - نعود بالله من غضب الله -، فيجب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من هذه الصفات.
والإيمان بأنه تعالى يرضي، ويفضل، ويكره، ويمت توجب للعبد خوفا، ورجاء، ويوجب له أن يطلب رضا الله، وأن ترغب نفسه في ذلك، ورضوان الله أكبر ما يمن الله به على أوليائه، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ: "إن الله - تبارك وتعالى - يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فقولون: لبِك رَبنا وسعديك، يقول: هل رضيتهم؟ فقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، يقول: أنا أعطيكما أفضل من ذلك، قالوا:
يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ يقول: أجل عليكم رضواناً فلا أسخط عليكم بعده أبداً\(^1\).

فهذا أفضل ما يعطي الله أولياءه قال الله تعالى: "ورَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ مِّنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامَ...")[التوبة: 22] رضوان من الله يحلى على أوليائه، هو أكبر من نعيم الجنة - أي - أكبر ممّا في الجنة من أنواع النعيم من المطاعم، والمشارب، والملابس، ونحوها.

وإليه تعالى يغضب يوجب للعبد أن يخف من غضب الله، ويستعذ منه، وفي الحديث الصحيح: "أعوذ برضاك من سخطك، وب معافاك من عقوبك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنت على نفسك\(^2\).

فللعلم والإيمان بأسماء الرّب وصفاته آثار على القلب، وآثار على سلوك العبّد تورث المؤقفين من عبّاد الله محبّته سبحانه، وخوفه، ورجاه، والتوكل عليه كل هذا من آثار الإيمان بأسمائه وصفاته.

---

\(^1\) البخاري (6549)، ومسلم (2829) من حديث أبي سعيد الخدري.

\(^2\) رواه مسلم (486) من حديث عائشة.
إثبات الإتيان والمجيء لله تعالى

وقوله: »هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلم من السماء والملتزمة وقضى الأمر« [التوبة: 210].
»هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملتزمة أو يأتي ربك أو يأتي بعض عزمت ربك« [الأنعام: 158].
»هل إذا ذهب الأرض دعا دعا ويبه ربك والملتزمة صفا صفا« [الفجر].
»ووقتم دققًا النّتاء والنعم ونزل الملتزمة تنزينا« [القرآن].

هذه أربع آيات من نصوص الصفات تدل على إثبات صفة فعلية هي: المجيء والإتيان؛ والمجيء والإتيان معناهما مستقير: »هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملتزمة أو يأتي ربك أو يأتي بعض عزمت ربك« أي: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن يأتيهم الله في ظلم من الغمام وذلك يوم القيامة، وهذا اليوم الذي يأتيهم الله فيه يوم عصيب عليهم، ماذا تكون حالهم إذا لقوا الله، وقد كفروا به، ويرسله، وأشركوا به، وأعرضوا عن هداه؟ إنه لموقف ذل، وهمان، وحسرة إذا جاء عذاب هذه حالهم، »هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملتزمة أو يأتي ربك أو يأتي بعض عزمت ربك«، والملائكة
بأوْتَانَ، قال تعالى: {وَبَيَّنَ لَكُمُ الْكِتَابَ صَالِحًا صَالِحًا} [النجم].

وقوله {فَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْيِهِمُ اللَّهُ} [الأعْوَامَ: 158] وكل هذا حاصل سببً {فَيَوْمَ يُؤْتُونَ} [الفِرْقَانَ] والكِتَابَةُ لا يَبْتَغُونَ لِلْمَهِينِ يَقْرَأُونَ بعْضَ مَالِيكَ رَيْكَ [الأنَبِياءَ: 47].

إلى أن قال تعالى: {فَيَوْمَ تُقَلِّقُ أَنْبِيَةَ يَنْفُذُ نُورُ الْكِتَابَةِ نَارً} [النَّبِيُّونَ].

[النَّبِيُّونَ].

والقرآن متشابه يُصْدِق بعضه بعضًا ففي الآية الأولى قال: {فَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْيِهِمُ اللَّهُ} [البَصَرَةَ: 210].

هناك ظلل من الغمام وهي: السحاب الذي الله أعلم بمقداره، وبصفته، أمور غبيبة لا تحبط بها عقول العباد، تنزل الأماكن بأمر الله، وتفعل ما تؤمر به مما يشاء، فالملائكة في الدنيا وفي الآخرة هم رسل الله يُولِّكون بما يشاء سبحانه، ملائكة موقولون بالوحي، بالنظر، بقبض الأرواح، بالجبال... بما شاء، ويوم القيامة يأتون ويفعلون ما يؤمرون {وَلَا يَبْصَرُونَ اللَّهُ مَآ أَمُرَّهُمْ وَيَقُولُونَ} [التحريم: 11].

قال تعالى: {بِلِ الْكِتَابِ الْمُطَّهَرَ} [النَّبِيُّونَ: 25] وقال تعالى: {فَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْيِهِمُ اللَّهُ} [الأنَبِياءَ: 158].

متى ؟ يوم القيامة.

{وَأَوْلَّىْ بَعْضَ مَالِيكَ رَيْكَ} قدي جاء تفسير هذا البعض بطلع الشمس من مغربها، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ.
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيمّثل لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»(1).

فوجب إثبات ما دلت عليه هذه الآيات بأنه يجيء كيف شاء، لا يصلح أن يتخيل العباد كيفية مجيء الرب ونزوله، ولا نفكر في هذا أبداً؛ لأنه لا سبيل لعقل العباد إلى أن يتصوروا كيفية نزوله، وكيفية مجيئه؛ بل ينزل كيف شاء، ويجيء كيف شاء؛ فالعقل قاصرة عن تكيف ذاته، وصفاته، بل هي قاصرة عن تكيف بعض المخلوقات، وهي عن تكيف الرب تعالى وصفاته أعجز، وأهل السنة والجماعة يثبتون ذلك، ويؤمنون به، ويعملون أنه تعالى سيأتي يوم القيامة للفصل بين عباده، والحكم بينهم لبِيجزي العاملين بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، في ذلك اليوم الذي هو يوم الدين.

وأما المعطلة للصفات من الجهمية، والمعتزلة، ومن تبعهم من نفاة الأفعال الاختيارية، فلا يثبتون ما جاء في هذه الآيات(2)، فإن المجيء، والإتيان من الأعمال الاختيارية التي تكون بمشيئته سبحانه، وعنده هؤلاء النفوذ إثبات ذلك يستلزم حلول الحوادث في ذات الرب سبحانه، وهو ممتنع عندهم.

1- رواة البخاري (4235)، ومسلم (157) من حديث أبي هريرة.
وحلول الحوادث من الألفاظ المحدثة التي لم يأت بها كتاب، ولا سنة، وهو لفظ مجمل يحتمل حقا، وباطلا؛ فإن أريد بنفي أنه تعالى لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته ؛ فهو حق، وإن أريد نفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته ؛ فهو باطل ؛ لأنه تعالى أخبر أنه: «فَقَالَ لَيْتَنَا يَدُ ﷺ» [البقرة: 66]، وأنه: «يُعَفِّرُ مَا يَشَاءُ» [الحج: 18]، وأخبر عن بعض أفعاله كاستوائه على عرشه، ونزوله، ومجيئه، فوجب الإيمان بما أخبر به تعالى عن نفسه، فإنه أعلم بنفسه.

ومن يفعل أكل ممن لا يفعل، فلذلك أجرى أهل السنة هذه النصوص على ظاهرها، وأثبتوا ما دلت عليه بلا كيف.

وأما النفاة فمنهم: من يفوض معانيها فلا يفهمها، ولا يفسرها.


والأملاك باليوم الآخر، وما يكون فيه من مجيء الله، والإيمان باليوم الآخر، وله أن يكون بالزين من يلقى عليه وهو عنه راض ؛ فيلقاه مسرورا، ويتلقاه ربه بأنواع الكرامات.
ومن الناس من يلقى ربه، وهو عليه غضبان، نعوذ بالله من ذلك، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، ونسأله تعالى أن يجعلنا ممن يسعد بلقائه، ويكون فائزًا مسورة بذلك، إنه تعالى سميع الدعاء.
إثبات الوجه واليدين والعينين لله تعالى

وقوله: {وَسَبِّهَتْ رُكُبَّةٌ دَوَّرَتْ مَثَلًا} {الرّحمن} {88}.
{القصص: 56}.
وقوله: {فَوَرَأَيْتَ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ لَيْسَ حَيَّاً} {القصص: 56}.
و{تَفْقَهُ}.
{اللهُ يَدُّ الْحَمْلِ مُقْلِولاً عَلَّى أَيْدِيهِمْ وَلِيَمَّا يَا قَاوُلَانَ بُنَيَا مَبْصِرَتِكُنَّ يَفْقِهُ كَفَّ يَكُونَ} {السعادة: 34}.
وقوله: {وَأَصِيرُ لَحَمْلَكَ الْمَسْقُورَ} {الرّحمن} {44}.
{الطوير: 83}.
وعلى ذلك الوجه دُمِّر ۡمَتَّى ۡتَحَرَّى أَمْيَانًا حَرَّةً لَنَّ كَانَ كَفَرَ} {العصر} {32}.
و{أَفْتِنَ عَلَيْكَ (۲۶/۲۳۲) مَهْبَةٌ مَيِّتَ وَقَصْنَ عَلَيْ عَيْنِي} {طه: 29}.

الشرع

هذه الآية ساقها المؤلف شاوه وأدلة على إثبات بعض صفات الرب {هُوَ} فهي من نصوص الصفات، فقدت الآيتان الأوليان على إثبات الوجه له {هُوَ}، والآيتان الأخريان على إثبات اليدين، والاثنان الأخيرة على إثبات العينين له {هُوَ}، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذا كله على ما يليق به سبحانه مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية، يثبتون الوجه واليدين والعينين لله، وأن وجهه تعالى ليس كوجوه العباد، {ّبُعْوَةً} {البيت: ۲۷۳} العباد لهم ووجه، وليس وجه الخالق كوجه أحد من الخلق، ولا يعلم العباد كيفية وجهه كما لا يعلمون كيفية ذاته،
وهكذا يثبت أهل السنة اليدين له تعالى - تصديقاً لخبره - يدين يفعل بهما، ويخلق ما يشاء، وليست كأيدي العباد، ولا يعلم العباد كيفهما.

وهكذا أهل السنة يؤمنون بأن الله عينين يرى بهما كما في الآيات {عَرَضِيَّ يَبْنِيَّنَا} {القصص: 14}؛ و{أَخْرَجُ بَيْنَكُم مِّن رَّبِّكُمْ تَأْيِيِّبَّ} {الزمر: 44}؛ و{فَلْصُنِّعَ عَلَى عِينَيْنِ} {طه: 239}.

وأهل الضلال الذين أصلوا أصولهم الباطلة، ومنها: أنه تعالى لا تقوم به أي صفة بل هو ذات مجردة، فهلاء ينفون حقيقة الوجه، واليدين، والعينين، ويزعمون أن إثباتها لله شبيه فينفون عن الله الوجه، فليس الله وجه عندهم، ولا يدان يفعل بهما، ويخلق بهما، ولا عينان، ينفون هذا كله، وهذا رد لما أخبر الله به ورسوله ﷺ، ويسلون في هذه النصوص - كما تقدم(1) - إما طريقة التفويض يقولون: هذه النصوص تقرأ، ولا يندبر معناها، ولا يفهم منها شيء، ولا تدل على إثبات هذه الصفات له ﷺ تقرأ ألفاظاً فقط، ولا يوقف عندها.

وآخرون: يتأولون هذه النصوص ففي صفة الوجه(2) - مثلاً - يقولون: {وَيَقِلَ صَبْحُ رَبِّكَ} {البركة: 27} الوجه هذه كلمة زائدة صلة ليس لها معنى، المعنى: ويقلي ربك. فيصبح حذفها أولى بالكلام - تعالى الله عن ذلك -، أو المراد بالوجه: نفس الذات.

(1) ص: 91 و 911.
(2) انظر مختصر الصواعق 3/ 992.
فيبقى وجه ربك يعني: ذات ربك، أو الثواب ويبقى ثواب ربك، وهذه من تأويلاتهم الباطلة السحجة، ولا موجب لهذا إلا أصلهم الباطل: وهو نفي صفات الرب، فلما أصلوا الأصل الباطل لا بد أن يقفوا من هذه النصوص موقفا يدفعون معارضتها لمذهبهم الباطل فيحرفونها.

وهكذا اليدين يؤللونها بالقدرة، أو النعمة(1)، وهذه تأويلات تختلف سياق الكلام، وليس لهذه التأويلات أصل من لغة، ولا شرع، ويكون قوله تعالى: ﴿ما مَثْلُكَ أَنتَ لِيَلَّا حَقَّقْتُ يَدَّ عِيدًا﴾ [النساء: 75] يعني: بقدرتي على زعمهم، وهذا يرده أن الله تعالى له قدرة، ولا يقال: لله قدرتان. بل قدرة تامة لا يعجزها، ولا يستعصي عليها شيء.

وتعالى - تعالى - ليست نعمنا، بل نعم كثيرة لا تحصى.

ولو كان معنى قوله تعالى: ﴿ما مَثْلُكَ أَنتَ لِيَلَّا حَقَّقْتُ يَدَّ عِيدًا﴾ [النساء: 75] يعني: بقدرتي لما كان لآدم خصوصية، فآدم كبيره، الكل مخلوق بقدرته.

وهكذا يتأولون العينين بنفس البصر، أو الرؤية - عند من يثبتها - كالأشاعرة يثبتون البصر، والرؤية؛ لأنها بمعناهما، أو قريب من معناها، ولكنهم لا يثبتون العينين له سباقه، وأما أهل السنة فمجمعون على إثبات هذه الصفات، وقد دل على إثبات

(1) انظر: مختصر الصرف تع. 946/3.
هذه الصفات الكتاب، والسنة، والإجماع.

قال تعالى: ﴿كل مَنَ عَلَيْهَا فَأَلَّهُمْ﴾ (الرحمن).

يخبر أن كل ما على هذه الأرض سيفنى، ويذهب: من نبات، وحيوان، ثم يبعث الله الموتى من قبورهم بعدما يفنيهم جميعًا ﴿وَبِبِكَلِّ شَيْءٍ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: 27)، وهكذا قوله ﴿وَلَيْنَوَّهُ ﴿القصص: 88 ﴾كل شيء هالك، وذاهب، ومتى: الإنسان، والجن، والملاكية الكل ﴿إِلَّاَ وَجَهَةٍ﴾ (القصص: 88 ﴾، وتُدَلُّ هباتان الآيتان على إثبات الوجه له تعالى، وتدل على بقائه، فهو الباقى الذي لا يفنى كما يفنى غيره، له البقاء والدؤام، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، فلا يجوز عليه الفناء، ولا يجوز عليه الموت هو الحي الذي لا يموت، والقوي الذي لا يضعف، والقدير الذي لا يعجز.

وليس لقائل أن يقول في قوله ﴿وَبِبِكَلِّ شَيْءٍ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: 27): إن الآية إنما تدل على بقاء الوجه، فتحتاج إلى تأويل كما توهم هذا بعضهم، فلا يتوهم هذا إلا جاهل بدللات الكلام، فكل عاقل يعرف أساليب الكلام، ولا سيما اللغة العربية يدرك أن معنى قوله: ﴿وَبِبِكَلِّ شَيْءٍ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: 27) أنها تدل على بقائه تعالى، وعلى أن له وجه، ولا تدل بظاهرة أبدًا على أن البقاء لوجه فقط، هذا فهم ساذج، وسقيم، وساقط.

والتأويل هو: صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر، أو:
عن احتمال راجح إلى احتمال مرجوح.

فسأل: هل هتان الآيتان تحتاجان إلى تأويل؟

بحيث نقول: إن ظاهرهما أن البقاء لوجهه فقط! أعز بلال

هل هذا ظاهرهما؟

لا ليس ظاهر الآيتين هذا؛ بل ظاهرهما أنه الباق٢٧ 


فأفاد التركيب إثبات البقاء له تعالى، وإثبات الوجه له،

ولن يفيد أن البقاء مخصوص، أو خاص بالوجه دون ذاته، تعالى

الله عن فهم الخاطئين الغالطين.

فدلت الآيتان على أن له وجوهاً، وقد وصف وجهه 

بالجلال والإكرام: {زَيْكَ وَزَيَّكَ ذَوِ اللَّهِ الإِكْرَام} [الرُّسُولُ]

فوجهه موصوف بالجلال والعظمة والكبرياء،

وبالإكرام، فهو تعالى الذي يكرم عباده، وهو المستحق من عباده

أن يكرمهم بطاعته، ويثقوا، ويتعظيمه، وإجلاله ثناء عليه،

وتمجيدا له، وتعظيما له، وتسنيها له عن كل نقص، وعيب.

وهو تعالى يوصف بالجلال والإكرام كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرََ} [الرُّسُولُ]

كما تدل الآيتان على أن كل عمل لمغفر الله فهو باطل {كُلُّ شَيْءٍ هَلَٰكَ} [القصص: ٨٨] فإذا كان كل شيء ذاهب، وأن البقاء ل
وهد، فهور الذي يبقى، ولا يغنى «كل شيء هالك إلا وجهه».
فإن ذلك يتضمن أنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواء،
وأن كل عمل غيره فهو فان هالك ذاهب و«земан يت ماإن ما عِلَّلَوِيَنَ» 
[المحزون] ولا يبقى إلا ما كان خالصاً لوجهه «والقيقات الصليحة خير عند ربي كثرًا وخير أمالًا».
[الكهف: 46].

قلوه تعالى «ما تعلم أن تسجد» [الغافر: 70] توبين من الله لإليس
عندما امتنع عن السجود لأدام. «ما تعلم أن تسجد لي أخليت بهذل».
أمر الله تعالى فضل آدم حيث فضل بفضائل: خلقه بيده من بين
سائر المخلوقات، ونفخ فيه من روحه، وعلمه اسماء كل شيء،
واستغاد له الملائكة.

وكل الموجودات هي خلقه سبحانه خلقها بقدرته، ومشيتته،
وأمـره «إِنَّا قَوْلُنَا لَيْتَ»، وإذا أردته أن تقول الله كن فيكون
[النحل] وآدم خلقه الله بمشيتته، وبأمره، ولكن خصصه بأن خلقه
بديه تعالى كيف شاء، والله يجعل بيديه ما شاء، وياخذ بيده ما
شاء كما ثبت في الصديقين عن النبي ﷺ أنه قال: «يطوي الله
- عز وجل - السماوات يوم القيامة ثم يأخذن بيده اليمنى، ثم
يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أي المتكبرون؟ ثم يطوي
الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين
المتكبرون؟»[1].

(1) البخاري (٢٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٨) واللفظ له من حديث ابن عمر.
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة.
تصبير للرسول ﷺ، وثبت لقبه على أذي أعدائه.
ومن كان الله يراه، ويرعاه، ويهفظه، ويهربه فإنه لا خوف عليه، كما قال تعالى: "وَتُوبِّهِ عَلَى الْمَهِيْدِ الْمَجِيدِ أَلَّا يَرْكَبَ جَيْنَ تَقُومُ وَتَنْبَكَ فِي الْأَسْجَنِينَ إِنَّهُ هُوَ الْعَيْبَ الْمُلَمِّدُ"  يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ  
[الشعراء].

ويقول أهل السنة (1): إن الله عينين، وإن كان لفظ العينين لم يرد في القرآن، ولم يصح به حديث فيما أعلم، وإن ذُكر فيه حديث لكن في ثبوته نظر (2)، لكن أهل السنة فهموا من كلام الله، وسنة رسول الله ﷺ أن الله عينين كما يدل عليه مفهوم ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَك وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْرُورٍ أَلَا إِنَّ النَّبِيِّ يُصِيبُ الدَّجَالَةَ أَعْرُورَ عَيْنَ الْيَمِينِ كَانَ عِنْبَةً طَافِقَةً" (3).

ولا يجوز الخروج عن سبيل المؤمنين فسبيل المؤمنين هو هذا.

(1) مقالات الإسلاميين ص 211، 212، ويمن تلبس الجهادية 272، 273، ومجموع الفتاوى 174، والصواعق المرسلة 1: 254-262.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل رقم (508)، والعقيلي في الضعفاء 7/ 20 من طريق إبراهيم الخوزي، عن عطاء بن أبي رباح سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ الرَّحْمَنَ لاَ يَأْتِ فَيْنَاءً".

(3) البخاري (2439)، ومسلم (169) من حديث ابن عمر ﷺ.

(4) البخاري (2439)، ومسلم (169) من حديث ابن عمر ﷺ.

من كان له يدان يقال: أخذ هذا بيده، ولا يدل إفراز اليد على أنه ليس الله إلا يد. إذا قوله: "وَلَيَضْرِبُوا فِي بَيْتٍ فَرَعْنَ"([ف: 39] لا يدل على أنه ليس الله إلا عين، ولا يفهم من كانت فطرته نقيمة سليمة من الشبهات، ووساوس الشيطان من هذا الكلام أنه ليس الله إلا عين واحدة حاشياً. وهكذا قوله تعالى "فَجَبَرْتُ يَعْمَلْهَا آيِتَيَا"(القدر: 14) هذا الأسلوب لا يدل على أن الله أعينه، كما أن قوله تعالى «مَا عَمِلْنَاهَا آيِتَيَا»(يس: 71) لا يدل على أن الله أيدي كثيرة، والحقيقة أنه لولا وجود بعض الأفكار، والوساوس، والتساؤلات لما كان هناك داع لهذا التوقف، لكن هناك إلقاءات شيطانية تكلم بها من تكلم بها من أهل البعد، وتكلم بها من تكلم من جهال الناس.

إذا "فَجَبَرْتُ يَعْمَلْهَا"(القدر: 14) لا يدل على أن الله أعيناً، لأن من قواعد اللسان العربي أن المشي إذا أضيف إلى الجمع، أو
بيعة الجمع فإنه يذكر بلفظ الجمع، كقوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» [المائدة: 38]، والسارق والسارقة هل تقطع لهما أربع أيدٍ؟ يدان من السارق، ويدان من السارقة؟

الجواب: لا، بل من السارق يد، ومن السارقة يد.

وهكذا قوله تعالى: «فَلَوْ رَكَّزْتُ قُلُوبَكُمْ» [التحريم: 4] للمرأتين قلوب؟ أم قلبات؟


ولا يجوز التوقف في هذا ألبته، لا يتوقف بهذا إلا جاهل بما عليه السلف الصالح، فيجب الإيمان بكل هذه الصفات على ما يليق به سبحانه، فلا تشبه صفة من صفات صفات المخلوقين فين كُتِبُهُمْ شَيْءًا» [البراءة: 11] لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا عن العباد كيفية شيء من هذه الصفات.

إلا تُنقِّرَ فيما لا سبيل إليه، فهذا من العبث الهوس، نؤمن بأنه تعالى ذو سميم، ذو بصر، فهو سميم، وسمعه واسع لجميع الأصوات، ذو بصر واسع نافذ لجميع المخلوقات، وأن الله:

(1) رواه البخاري (5267)، ومسلم (1474) من حديث عائشة.
تعالى عينين تليقتان به حقيقة يرى بهما كيف يشاء، كما أن له يدين حقيقة، كما أن له علماً وقدرة، وحياة حقيقة كل ذلك للرب تعالى على ما يليق به، يختص به لا يماثله شيء من صفات خلقه.
إثبات السمع والرؤية والقدرة والعزة

وقوله: "قد سمع الله قولٌ إلى تجليك في روزها وتنصكي إلى الله وله سمع تجاوز كما" [المتنجلة: 1], "قلت سمع الله قولٌ إلى تجليك قولٌ" [الجسر: 81], "أَلَيْسَ الْهَيْبَةُ لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ بِهَا وَتَبْقِيُ بِهَاِ، فَكِسْطَبَنَّ آنَا لَا تَسْمَعُ B.

(1) تنمية الآية من B.
لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم أحد من العباد كنه هذه الصفات، بل ذلك مما استأثر الله به، وهذه الصفات التي اشتملت عليها الآيات، منها من الأسماء: السميع، وال بصير، والعفو، الغفور، والقدير؛ كلها أسماء ثابتة لله، وكل اسم من هذه الأسماء متضمن لصفة من صفاته لويست كما تقول المعتزلة: إنها مجرد أعلام محضة، لا تدل على معان. لا بل هي أسماء تدل على صفات، فهو تعالى: السميع، وهو يسمع أحوال العباد حسناً، وقيل: قد سمع الله قول أَلِيِّ ثم تجلَّكَ في رِ조َاهَا([المجادلة: 1]) المرأة التي ظاهر منها زوجها، جاءت تجادل النبي، وتشتكي حالها، وعيالها إلى الله، وقد كان الظهار في الجاهلية طلاقا تحرم به المرأة، وليس لهذا حلال؛ ولكن الله أنزل هذه الآيات في شأنها، فأبان تعالى أن الظهار ليس طلاقاً، (1) زيادة من م.
ولا تحرم به المرأة، ولكن تجب فيه الكفارة، وأن الظهور منكر من القول وزور، وجاء في قصة هذه المرأة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إنني في جانب البيت، وإننى ليخفى علي بعض كلامها، وتقول: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات". والمرأة تجادل الرسول ﷺ، وعائشة قريبة منهم يخفى عليها بعض كلامها، والله العلي الأعلى يسمع كلامها.

(2 سمع الله) (قد) تفيد التحقيق، (سمع) كلامها حين مجادلتها الرسول ﷺ، ثم علل سبحانه ذلك بقوله: "إِنِّي سِيمَعُ بِصِرِّي".


---


(2) المختارة إلى الشباي المقدسي 10/12 من حديث ابن عباس، وانظر: العجاب في معرفة الأسباب 2/684، ولياح التقول 50.
في ضمن هذا الإخبار التهديد.

(أَلَمْ يَسْتَبْكِلَّ اللَّهُ وَبُلْوَاءُهُ وَأَقَرَّبَ الْأَقْرَبَاءَ وَأَنْزَلَ مَرْضِيَّةً) [الْحَجَّ] فيه تهديد، كما أن من هذا القبيل ما جاء في قوله تعالى مهديا للمكذبين بالرسول: «إِنَّا بَشَرُّ أَلَّا تَسْمَعُوا قَدْ كَانَتِ الْخُطَايَا نَقْصَانَ الْأَقْرَبَاءَ» [الْحَجَّ]. 

الله يسمع سرهم، ونجوهم، وسنجريهم على ما يدور في هذا السر والنجو، فهذا يسمع كلام المتمائمين على رسل الله، والمتناجين بالإثم والعدوان، والرسول الملائكة الموكلون بكتابة الأعمال تكتب، إذا هذه الأقوال الخفية التي يستمر بها أهلها، هي مسموعة للرب، ومكتوبة بأيدي الحفظة الكرام الكاتبين، وكذلك من هذه الآيات قوله تعالى: «إِنِّي مَعْمِكُمَا آسَمَعْ وَآتَيْتُ» [طه: 46].

هذا خطاب من الله لموسى وهارون لما أرسلهما الله إلى فرعون وفرعون طاغية -، وهما بشر نحافة، قال الله تعالى: «آذَّنُوا إِلَى فِرَعُونَ إِنَّهُ طَغِينٌ»، فقولاً لم يُنفقُ الْأَبْنَاءُ اِلَّا أَنْ يَتَدَكَّرَ أَوْ أَنْ يَسْتَبْكِلَ.» [الْبَكْرَةَ: 86]. فلا مأخوذ من إني معمة، أسمع وأرى ورد من جمل قولهما بوعدهما بمعيته لهما، وابنله يسمع ويرى ما يدور بينهما، وبين فرعون وقومه، وفي هذا وعد ووعيد، ولكن جانب الوعد أظهر؛ لأنه جاء خطابا لموسى وهارون: «إِنِّي مَعْمِكُمَا آسَمَعْ وَآتَيْتُ»، ومن صفاته
 تعالى: الرؤية، فهو جميع بصير.

واسمه البصير ليس اسمًا مجردًا عن المعنى؛ بل اسم يدل على أنه تعالى ذو بصر نافذ لجميع المخلوقات، والله تعالى ينوع الأدلة على إثبات صفة الرؤية (إِنَّ مَكْسَمًا أَسْمَعْ وَأَرَى) (الشعراء) وَبَيْنَ عَلَى الْمُرْتَبِيْنَ الرُّحُمِ (اللَّ�دِّ) يُرْتَبُكَ جَنًّا تَقُومُ (الشعراء) والله تعالى يرى ما يجري بين الرسل، وأعدائهم المكذبين، يرى العباد في مساجدهم، ومحاربينهم، يراك أيها العبد، فاحذر أن يراك ربك حيث نهاك.

وفي ذكر السمع والرؤية في هذه المواطن تثبت لقلوب الرسل، وأتباعهم، وتقرب لعزمات العبادين، فإذا استحضر العبد - وهو يعبد ربه - أن الله يراه، فهذا مقام من مقامات الإحسان:

"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"(1).

ومن الآيات الدالة على الرؤية قوله تعالى: "وهكذا أمحلوا قُسَّيْكُمُ اللَّهُ عَسَّرَكُمْ وَرَسَولَهُ وَالْمُؤْمِنَينَ" (التوبة: 6). وفي هذا تهديد للمنافقين بأن ما تعملون سيرة الله، ويراه الرسول، ويراه المؤمنون، وفي آية قبلها "فَمَنْ أَمَرْنَا بِالْمَلَائِكَةِ إِلَيْكُمْ إِذَا جُعَلْتُمْ إِلَيْهِمْ قَلْ لاَ تَسْتَنْدِرُوا أَنَّ نُؤْنِيَ لَهُمْ قَدْ بَيَاءًا الله بِنَصِبِهِمْ وَشَرِيرًا اللَّهُ عَلَى مَكْسَمٍ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنْينَ" (التكوير). هذه صريحة في المنافقين، فالله يرى أعمال المؤمنين من:

(1) رواه البخاري (50)، ومسلم (9) من حديث أبي هريرة ﷺ، ومسلم (8)

من حديث عمر ﷺ.
صلاتهم، وصدقاتهم، وحجهم، وجهادهم؛ ويرى أعمال الكافرين من: شركهم، وظلمهم، وعدوانهم، وجرائمهم، يرى هؤلاء وهؤلاء.

ومن الصفات التي اشتملت عليها هذه الآيات المتقدمة:

صفة المكر، والكيد، والمكر والمكر الّذي معناهما متقارب، وكذلك الممّلَحَ: وهوّ مَّثْرَدٌ لِّلْجَهَابِلِ [الزُّيْد: 13] يعنى: شديد المكر بأعدائه من: الكافرين، والمنافقين؛ فمَّن مَّكَرَ اللَّهُ به فهو المغلوب؛ ولهذا قال ﷺ في الكافرين: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِّينَ﴾، وفي قوم صالح: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُونَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَمْكُرُونَ﴾ [النسل]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَمْكُرُونَ كِيَّدًا﴾ [التقارير] فَالله يكيّد الكافرين، والمنافقين، ويمكر الله بهم، وهو خير الماكرين، والعباد يمكرون ويكيدون، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد، ولكنه تعالى يمكر بأعدهائه حقيقة، ويكيدهم حقيقة.

والمكر، والكيد: تدبير خفي يتضمن إياض الضرر من حيث يظن النفع، فالمال الذي يريد أن يمكر يظهر الحجة، ويظهر الإحسان، وهو يتخذ ذلك وسيلة للإيقاء بخصمه وعدوه.

والمكر من الناس منه: المحمود والمذموم، فإذا كان على وجه العدل؛ فهو محمود، وإذا كان على وجه الظلم، والعدوان؛ فهو مذموم، فمن المحمود: المكر مجازاة، أو
المكر بالكفار بالتدابير الخفية للإيقاع بهم، هذا كله من أنواع الجهاد في سبيل الله، فـ 'الحرب الخذعة' (1).

لكن المكر بالمؤمنين غير حكى؛ ظلمٌ وعدوان.

أما مكر الله، فهو كله محمود، وعدل، وحكمة، هو تعالى يمكر بالكافرين مكرًا حقيقاً، ويدير تديراً خفياً، يوصِّل به العقاب من حيث يُظن الإيَّام، وشاهد هذا قوله تعالى: {والذين كَذَّبوا يَبْلِغُونَ مَسْتَرَجَاتِهمْ مِنْ حَيْثُ لَا يُبْتَغُونَ} (الآمرف: الاستدراج) هذا هو المكر، وقال تعالى: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ نَزَالًا مِّنَ السَّمَاءِ وَكُلٌّ مِّنَ الْمَشَارِعِ مُّضَيٌّ هُمْ وَكُلٌّ مِّنَ الصُّدُورِ حُرُطُونَ} (العصر: 46) إملاء الله للكافرين هو من مكره بهم. {فَخَلَتْ نَفْسَهُمْ وَلَمْ يَبْدِداً إِيَّاهَا وَلَمْ يُعْلَمَ نُيُسُونَ} (العصر: 46) مما يشتهون، ويفرحون به {كَيْذَا فَرَحُو بِهِمْ} (الأنعام: 44) أليس هذا مكرًا؟ يفتح الله عليهم أبواب المسرات، والنعم، والخيرات، ويسحب عليهم ما يشتهون حتى إذا فرحوا بما أوتوا أحل بهم السماحة {أَخْذُهُمْ بِقَتْرَةٍ إِذَا هُمْ مُّيَلَّوْنَ فَقُطِعْ دَايَرَ الْقُوَى اِلَيْبَنِينَ} (الأنعام: 44) إياً والله مكر. والآن ما تتمنى به أمم الكفر من الحضارة القائمة، والرقي والتقدم:

(1) رواه البخاري (1320)، ومسلم (1739) من حديث جابر.

110

توجه مقاصد الحقائق الواسطية
المادي والسلطان والقوة على سائر أمم الأرض، هذا - والله - من مكر الله بهذه الأمم الطاغية، فهم يعيشون في مكر من الله، فهذه الفتوح المادية أدت بهم إلى الاغترار، والزهو، والغطرسة، والكبرياء، والسلطان، والظلم ... هل اتفقوا بهذه الحضارة؟ لا والله، بل ازدادوا بها إثما، «إن الله ليملح للظلماء حتى إذا أخذه لم يفلته» (1).

فالواجب على المسلمين ألا يغترووا بما يعيشه الكفار من مظاهر عز، وتقديم، ورقي، وعلوم، ومعارف، وعلى المسلمين أن يسعوا فيما ينفعهم، لكن من غير أن يعجبوا بالكافرون، أو يعظموهم، أو يسيروا في ركابهم، أو يقلدوهم في التوافه، وفيما يضر، ولا ينفع.

المقصود: أن هذا من مكر الله، ومن مكر الله بالمنافقين أن شرع قبول علانيتهم. فمن أظهر الإيمان، وأبطن الكفر، فقد أمر الله أن نقبل علانيتهم، ونترك سربرته، فبين المنافق أن نفاقه قد راج على الله، وأنه بهذا قد خذع الله أُكَذَّبَ اللهُ وَأَلَّذِينَ كَذَّبُوا وَمَا يَعْلَمُونَ [التوبة].

ومن الصفات التي اشتملت عليها هذه الآيات المتقدمة

(1) رواه البخاري (686)، ومسلم (288) من حديث أبي موسى الأشعري.
صفة: الاعفٌو، والقدرة، ومن أسمائه تعالى العفو، والقدير، قال تعالى: "لا يُجبِبُ اللهُ الْجَهَّرَ بِالْعِوْمَٰلِ إنَّهُ عَفُوٌّ عَلَى مَثَلِهِ" (النساء). في هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله تعالى العفو والقدير، وكل اسم متضمن لصفة، فمن صفاته: العفو والتجاوز عن السيئات، وإزالة آثارها، ومن صفاته: القدرة.

والعفو إنما يكون كمالا إذا كان مع قدرة، ولهذا قرن الله بين هذين الاسمين العفو والقدير، فعفوه تعالى لا عن عجز، بل مع كمال القدرة.

وهكذا قوله تعالى: "لا يُعْفِنَانَ آن يُعْفِنَانَ رَبِّنَا لَا تَكُرْ وَلَا تَعْفَوْنَ رَبِّي" (الثور: 22) في إثبات اسمين من أسمائه، وهما: العفو، الرحيم.

والعفو صيغة تدل على كثرة مغفرته للذنوب، فهو سبحانه:

العفو، والعفان، وهو غافر الذنب.

وهو الرحيم ذو الرحمة الواسعة، الذي لم يزل موصوفا بالرحمة، وفي هاتين الآيتين ترغيب في العفو، والرحمة، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عنه الله عزه، ومن غفر غفر الله له، "ويلUbuntu ولصفعوا أنا أنتوه أن يُعْفِنَانَ رَبِّنَا لَا تَكُرْ وَلَا تَعْفَوْنَ رَبِّي" (الثور: 22) "إِنَّنَا نُبِئُدُوا خَيْرًا أو نحُفُوهُ أو نُعْفَوَّا عَنْ سَيِّئٍ فإنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًا عَدُوًا."

[النساء] ومن سنة الله في الجزاء أن يجازٍ كلا بجنس عمله،
من الصفات التي ورد بعض الأدلة، والشهود عليها:
العزة، فمن صفاته تعالى العزة، والعزة تفسر بالقوة، والغلبة، ومن أسمائه العزيز، فله العزة جمعا بكل معانيها، وهو الذي منه العزة، فيزع من يشاء، ويذل من يشاء، وقد جعل العزة الحققة للرسول، والمؤمنين، [وَلَهُ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ] (المتنافلون: 8).

(1) رواه أحمد 2/171، والترمذي (3513) - وصححه -، ابن ماجه (3850)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (874) - وقال: مسند -، والحاكم 1/360 من حديث عبادة بن بريدة عن عائشة، وقال الدارقطني والبيهقي: لم يسمع من عائشة. سنن الدارقطني 4/36، والسن� الكبرى 7/118، وصححه النووي في الأذكار ص 277، ابن القيم في إعلام الموقفين 4/298.

(2) رواه البخاري (4141)، ومسلم (270) من حديث عائشة.
وكلما كان حظ الإنسان من الإيمان أكبر كان حظه من العزة، والنصر، والنجاة أوفر، فاسم العزيز يدل على صفة العزة، فليس اسما محضا مجردا خاليا عن المعنى.

وقال عن إبراهيم: {مَعَذَّركَ لَأَخْفَىْ مِنْ أَحْيَانِكَ} [سورة البقرة: 82] فاقسم إبراهيم بعزة الله، وهدد آدم، وذريته بالإغواء، نعوذ بالله من إبراهيم، وجنوده من شياطين الإنس، والجنا.

فلله تعالى الخالصة على كل شيء {إِنَّ الْيَتَّنَ يُحَادِثُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ} [الأنفال: 67] كتب الله لأُيُبَيْشَ أَنَا وَرَسُولِي إِذَّ أَقْدِمْ عَيْنَيْ عَيْنِيْ [المجادلة: 48] وهو سبحانه العزيز - أي - الذي لا مثيل له، فله تعالى العزة بكل معانيها على أكمل وجه، فإن كان المخلوق قد يسمى عزيزا، كما قال تعالى: {قَالَ الْأَمْرَاتُ الْمَرْيَمُ} [يونس: 51]، فله عزة تناسبه، وليس العزيز كالمعزز، ولا العزة كالأعز، ف سبحانه الله العظيم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وله المثل الأعلى.
نفي النقائص عن الله كالطوف والولد والشريك ...

وقوله: «ثوابك أنتم ربك في الجنة والآخرة» [الرعد: 67].
وقوله: «أعداء وأصدقاء لي الدنيا» قال تعالى: "ما بين لا يسجد لله وليست له الشريك» [البقرة: 22].
وقوله: "وللمؤمنين من يجد من دون الله أنتادا وأنتم تفاضلون" [البقرة: 116].
وقوله: "وئين الفضول له المباه يلر يبصوال وليه ستبيع في السلك ولم يك كله لوه في الأرض لله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [النور: 26].

وقوله: «ذكر الله نزل القرآن على عبيده ليكون العليم النفس» [البقرة: 1].
وقوله: "ما أخذ الله من شيء لا يسبحون الله عما يصبرون» [الإسراء: 7].
وقوله: "قل إنما حرم ربك الفواجش" [النحل: 65].
وقوله: "لا تظلمون" [الصين: 27].
ما ظهر بينها وما بطن وإليكم وابنكم يعيش الحق ويأولوا بإنيم لا يبلى
أيه سلطنتكم وأن أقطعوا على نياخذ ما لا تعلمون (الأعراف).

الشرع


هذه الآيات تتضمن وصف الله بنفي تلك النقائص عنه سبحانه، فالله موصوف بالإثبات وبنفي، ومن صفات النفي التي يوصف الله بها تعالى أنه منزه عن: الولد، والوالد، والكفء، والند، والشريك، والولي من الذل.

قوله تعالى: وقية الرب ولي يأولوا إنيم لا يبلى (الأعراف: 111) في نفي الولد، ونفي الولد نجده في القرآن كثيراً كما في هذه الآيات التي فيها التنديد بالذين ينسبون إليه الولد، وذلك لأن كثيراً من الأمم نسبوا إليه ذلك - تعالى الله عمما يقولون، فاليهود قالت: عزرار ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، ومشركون العرب.
قالوا: الملائكة بنات الله ، ولها كثر التنديد بمقالتهم: "أَفَأَمَّتَ أَنَّى مِنْكُمْ إِلَّا فِي صِدْرُهَا؟[النجم].

وكل من أشرك مع الله غيره فقد جعل له مثلا، وجعل له نداً; ولهذا أنكر الله عليهم ذلك (فلك تقضموا يَوْمَ الْأَنْدَادَ) [البقرة: 22] لا يتعلموا له أشباحاً، ونظرة؛ فإنه لا نظير له، لا يتعلموا له أنداداً في العبادة، فإن الهل الحق الذي لا يستحق العبادة سواء، فلا مثيل له في ذاته، ولا في صفاته، ليس كمثله شيء.

وهذه الآيات الغالب فيها النفي، وإن كان فيها إثبات، لكن الشيخ شفيع ساقها للاستشهاد بها على الصفات السلبية، فلله تعالى موصوف بنفي النقائص، والعيب، كنفي الشرك، في القرآن (لا شريك لله) [الأعوام: 163]، (سَبِحْنَ اللَّهَ عَلَى عَمَّا يُشْكُرُونَ) [الطور: 42] ونفي الولد، والصاحبة (ما أَتَّقُنَّهَا وَلَا وَلَداً) [الجَنِّ: 3] (أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَلَدٌ وَلَدٌ وَلَّدَ نَفْسَهُ) [الأعوام: 101]

ونفي المثل (فَهَلْ يَضَرُّوا اللَّهَ أَمَّامَ أَنَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّهُ لَا يُضِلُّونَ) [النحل: 3] (أَنْ سَيَكِثَ غَيْرُ اللَّهِ سَيْتَ مَثْلَهُ) [الشورى: 11]، (وَيَرْبَوْنَ آنَاسٌ مَّنْ يَتَسَيَّدُونَ مِنْ ذُوْنِ اللَّهِ أَنَّى أَنَادَاْ يَجْعَلُونَ مُكَحَّبِ اللَّهِ كَمَا كَحَبَّ آدَمَ) [البقرة: 175]

فذم الذين اتخذوا من دون الله أنداداً في المحبة يحبونهم كحهم الله.

والسماي، والندا، والكفو، أو الكف، والملل; كلها ألفاظ.
متقاربة تفسر بالمثل، والشبه، والشيء، والنظير، فإنه لا
سمي له، ولا كفوه له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، وأنفي هذه
النقائص يستلزم إثبات الكمال، وتحريره به، فهو المتفرد
بربوبيته، وإلهيته، وأسمائه، وصفاته، وما أخذه الله من ولاء وو
سُبُحْ مَعْلُومٌ مِنْ إِلَهٍ أَيْ إِذَا أَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ [السموت: 91]؛
نفى الولد، ونفى الإله، لكان مع الله إله آخر لكان للإله خلق،
ولانفرد، وذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض،
ولكنه ما نم إلا إله واحد، هو الإله الحق، وكل ما يعبد من دون
الله فهو معبد بالباطل.
فليس في الوجود إله حق إلا الإله الواحد، وله خلق إله.
لا إله إلا هو الرحمن الرحيم [البقرة: 163] ووما أرسلنا من
قيل على من رسول إلا يُوحى إلى إله أن لا إله إلا أنت أنت قابض
الإيام، لا إله إلا الله: أصل دين الرسول كلهم من أولهم إلى
آخرهم، لا إله إلا الله: نفي لإلهية ما سوى الله، وإثبات
الإلهية له تعالى، ولا يتحقق التوحيد إلا بذلك بإثبات الإلهية
له، ونفى الإلهية عما سواه، ثم تخصصه بالعبادة، وعبادته
 تعالى وحده، وترك عبادة ما سواه [واعبدو الله ولا تشركوا
شيئا] [التسمية: 32].
قوله تعالى: [نور أنتم ربك الرحمن: 78]
تبارك: هذه الكلمة تدل على التنزية، والتقديس، تنزيه الله
 تعالى، وتقديسه عن كل النقائص، والعيب من: الشركاء,
والأنداد، والأولاد.

وفيها: الدلالة على أنه تعالى ذو الخير، والبركة. والبركة: هي الخير الكثير، وهو الذي يبهد الخير، وهو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلية.

وتبارك: تدل على أن بركته تعالى ذاتية ليست مكتسبة، أما المخلوق فإنه في بركة، فهي بركة موهوبة.

قال الله عن عيسى: «وَجَعَلْنِي مُبَارِكًا» (مرأة: 31)، فالعبد يكون مباركاً، ولا يقال في العب: إنه تبارك، لا تقل: بلان تبارك، كما يجري على ألسنة بعض الناس يقولون: تبارك علينا يا فلان، أو تبارك هذا الشيء، تبارك هذه السلعة، أو هذه الدار... هذا غلط، والصواب أن تقول: هذه سلعة مباركة، وهذه دابة مباركة، وسيارة مباركة، وهذا شيء مبارك، وما إلى ذلك(1).

فالتبارك فيما شاء من خلقه، أما الله تعالى فبركته ذاتية له، فهو الذي يوصف بأنه تبارك، يقال: تبارك الله أحسن الخالقين، تبارك الله رب العالمين، تبارك الذي نزل القرآن على عبده.

(1) وهذا اختيار الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمهما الله، فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم 207/1، وأضواء البيان 291/2.
فَانْذَكِرْ (تَبَارَكَ) لا تَضَافِ إِلَّا إِلَى الَّهُ، أَو إِلَى اسْمَ مِن أَسْمَاهُ،

وَتَقْدِيمٌ (۱): أن القاعدة فيما يوصف الله به من النفي: أن يكون مجملًا لا مفصلًا، و هذًا هو الغالب، وقد يأتي النفي مفصلًا؟ فنفي الكفء، والند، والسمي، والمثل؛ كل هذا من قبّل النفي المجمل؟ لأنه نفي مطلق عام، فلا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهذا نفي مجمل.

أما نفي الولد، ونفي النوم، والسنة، ونفي الصاحبة؛ فهذا من النفي المفصل.

وكل من يوصف الله به من النفي، فإنه متضمن لإثبات كمال، فنفي السنة، والنوم، يتضمن إثبات كمال حيائه، وقيمته.

ونفي الضلال، والنسيان ¡la يَبْيِلَ رُيْبَيْ وَلا يَنْسَى¡ (۹۷: ۲) يتضمن إثبات كمال علمه.

ونفي الغفلة عنه تعالى ¡وَلَنْ تَفْغَلْ عَنْهَا قَوْفَكَمْ سَبْعَ طَرَابِيقَ وَمَا كَأَنَّهُ عِنْ أَهْلِهِ غَفَلَيْنَ¡ (السَّوْمَرْ، وَمَا رَبِّكُ یَغْفِلْ عَنْهَا مَثْلَكَ¡ (۹۷: ۲) يتضمن كمال علمه، فلكلام علمه سبحانه لا يغفل.

ونفي الشريك يتضمن كمال تفرده في روبيته، وإلهيته؟ فهو الواحد، وهو الأحد، وهو الإله الذي لا شريك له ¡اللَّهُ

(۱) ص: ۴۲
وأن تُنْعِمَُ ياُلِيُّهُ [الأعراف: 33] ولعل هذا هو الشاهد، فتحرم الشرك بالله يتضمن نفي الشريك كما أن قوله تعالى:
"فَنَّذِكَّرْنَا لَدَيْهِمْ رَبَّكَ (النَّبِيَّةِ) 22] نهي عن جعل الأنداد الله؛ لأنه لا ند له، فلما كان تعالى لا ند له حرم على عباده أن

ومن الآيات التي ساقها المؤلف قوله تعالى: «قل إنما حرمنا»

فَوَاحش الفعارات المنكرة البالغة في القبح غايته، وتسفيحها، وتساقبها الفطر السليمة، والعقل المستقيمة، والبغي: ظلم الخلق.

جَنَّةُ الْفَوْقِيْشِ كَمَا ظَهَرَ بَيْنَ بَيْنَ وَمَا بَيْنَ [الأعراف: 33]
يتخذوا له أنداذا؛ لأنما يتخذونه أندادًا، وشركاء هي ليست
أنداذا، ولا شركاء إلا في زعم المشركين وظنهم، وإلا فهي
مخلوقات مربوبة ناقة عاجزة.

المقصود: أن هذه الآيات ساقها المؤلف استشهادا على أنه
 تعالى: موصوف بالإثبات، والنتي، وأن الله جمع فيما وصف،
 وسمى به نفسه بين النفي، والإثبات، فنجد بعض الآيات فيها
إثبات، وبعضها فيها نفي فقط، وبعضها يجمع الله فيها بين
النتي، والإثبات، وكل إثبات فإنه يتضمن نفي ضده.

إثبات العلم يستلزم نفي الجهل، والنسين، والضلال،
والغفلة، ونفي هذه الأشياء يتضمن كمال العلم، وهكذا نجد أن
أساليب القرآن في وصفه تعالى متنوعة كثيرا، مجملة، ومفصلة،
ونصوص الصفات هي أكثر ما في القرآن.
إثبات استواء الله تعالى على عرشه


الشرع

يتتابع الشيخ سوق الشواهد القرآنية على إثبات صفاته، فذكر النصوص الدالة على صفة استواء الله على عرشه.

(1) سرد آيات الاستواء من م، ولم ترد في ظ. ب.
وأي أن ذكر استواء الله على عرشه جاء في هذه المواضع السبعة في كتاب الله.

وقال أهل العلم: 
(1) العرش: معناه في اللغة: سرير السُلك، أو سرير الملك، والمعنى واحد.
والمراد بالعرش في هذه الآيات: عرش الرحمن، وهو سرير مخلوق، وهو أعلى المخلوقات، وأعظمها، ولا يقدر قدره إلا الله، ولا يحيط العباد بعظمته هذا العرش، وقد وصف الله العرش بأنه: عظيم (١٠٠) إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وكريم (١٠١) إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْحَكِيمِ، ومجيد (١٠٢) قَدْ أَلْقَى مَلَكَ السُّلَيْمانِ، [الشعراب، المؤمنون: ١١٦].
وفي هذه الآيات التي ساقها المؤلف أخبر الله فيها عن استواءه على العرش، ومعناه كما جاء ذلك عن السلف(٣): علا، وارتفع، واستقر على العرش.

استوى سبحانه على العرش استواء يلبق به، ويخصه، لا يشبه استواء المخلوق.

هل المخلوق يوصف بالاستواء على غيره؟ نعم ليستوا على 

(١) لسان العرب ٢٦/٣١٣.
(٢) هي قراءة الحمزة، والكسائي وخلافهما. التسير ص ٢٢١، والنشر ٢٣٩/٢.
(٣) قال ابن القيم في الكافية الشافرة ص ١٢٠: قس عبارات عليها أربع، فلهما عبارات عليها أربع، وفي استقر وقد علا وكذلك أر، وكذلك قد صيدًا الذي هو رابع.
لا تذكرنا يعمرت نورك [الزخرف: 14], فإنما استوين أنت ونحن معك على الله في أحسن الله وترأوا من الغور الطورين [المؤمنون], واستوين سفينة نوح وأستوين على النور [معرد: 44].

واليس الاستوين كالاستوين؟ فاستوين الله على عرشه ليس كاستوين المخلوق بل استوين يخصه، ويلي به، ويناسبه. ولا يعلم العباد كنهه، فيجب أن يثبت ذلك الله مع نفي مماثلة لصفة المخلوق، ونفي العلم بالكيفية، لكن الاستوين معانه معلوم كما قال الأئمة، قال الإمام مالك (1) لما قال له رجل: كيف استوين؟ قال: الاستوين معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعوة.

أي: معانه معلوم في اللغة العربية؛ لأن الله أنزل هذا القرآن بلسان عربي مبين، وأمر عباده بتدره القرآن، وذم المعرضين عن ذلك.

فمعنى استوين: علا، وارتفع، واستقر، كيف شاء. نعلم معنى ذلك، لكننا لا نعلم كيفية ذلك.

والإيمان به واجب.

لأن أصل الإيمان هو: الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله، فالإيمان بالقرآن والإيمان بالرسول يقتضي التصديق بكل ما في الكتاب والسنة من الأخبار.

(1) تقدم تخرجه ص 29.
والسؤال عنه بدعّة؛ لأنه تكلف، وسؤال عما لا سبيل إلى العلم به.

وإننا نلاحظ أن آية الله أَلْرَحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ (يٰ) فيها الإخبار بأنه استوى على العرش، لكن منى؟ الله أعلم، لم تدل الآية على ترتيب هذا الاستواء، أو وقت هذا الاستواء، لكن سائر الآيات فيها ذكر خلق السماوات والأرض، وطبع الاستواء على ذلك بحرف (ثثم)، فهي تدل على أن استواءه على العرش بعدما خلق السماوات والأرض، وهذا في كل الآيات الستُّمُّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» استواء الله مخصوص بالعرش، فلا يقال: إنه تعالى استوى على السماء، فضلاً أن يقال: استوى على الأرض؛ بل استوى على العرش الذي هو سقف المخلوقات، فهو أعلى المخلوقات وأعظمها، والله تعالى فوق جميع المخلوقات، ويلزم من استواه على العرش عليه فوق جميع المخلوقات.

واهل السنة مجمعون على إثبات هذه الصفة، وأهل البديع من: الجهيمة، والمعتزلة، والأشاعرة هذه الطوائف الرئيسيّة، ومن دخل مدخلهم كالرافضة؛ لأن الرافضة اتبعوه فصاروا معتزلة، وكذلك الزيدية الذين دخلت عليهم أصول المعتزلة، الكل ينقول صفة الاستواء، ومنهم من ينفي حقيقة العرش أيضاً، ويقول: المراد بالعرش: الملك، استوى على العرش يعني: استولى على
الملك، فيفسرون الاستواء بالاستيلاء، والعرش بالملك، وقد يكتفي بعضهم بتأويل الاستواء إلى الاستيلاء بصرف لفظ الاستواء إلى الاستيلاء، وهذا تحريف للكلمة عن موضعه.

أما العرش فقد دلت النصوص على أنه مخلوق متميز عن سائر المخلوقات وصف في القرآن بأنه: عظيم، وكريم، ومجيد. وجاء في السنة أنه: ذو قوائم (١)، وجاء في القرآن أنه محمول {الذين يجعلون العرش ومن حوله يسخرون يحمون دينهم} [غافر: ٧] هل يصح أن تكون: الذين يحملون الملك؟

هم من جملة ملك الله؛ فلا يستقيم هذا التفسير الذي هو في الحقيقة تحريف.

وتفسير الاستواء بالاستيلاء أيضاً فاقد من جهة اللغة، ومن جهة الشرع، فإنه لا يعرف في اللغة، استوی: بمعنى استوی، ولا دليل لهم عليه إلا بيت قاله الآخطل النصراوي (٢):

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق (٣)

(١) روي البخاري (٢٤١٢) من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: لا تخبروا بين الأنباء؛ فإن الناس يصوعون يوم القيامة، فآكرن أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش. الحديث.
(٢) غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراوي، أبو مالك، كان هو وجرير والفرزدق أشعر أهل زمانهم. تاريخ دمشق ١٠٤٨/٨.
قالوا: إن هذا معناه استولي على العراق. وليس هذا صريحا، استوى بشر على العراق، يعني: علا على عرشه، صار سلطانا عليه، وهذه عمدتهم.

و- أيضا - من جهة المعنى، لا يصح، فإن الاستيلاء يشعر بأنه كان قبل ذلك غير مستول عليه، وأنه صار مستوليا عليه بعد أن لم يكن، أو يشعر - أيضا - بالغالبة (1).

المهم أن المعطلة، ومن سلك سبيلهم يفرون حقيقة الاستواء، ويفسرون والاستيلاء، وأهل التأويل منهم.

أما أهل التفويض؛ فقولون: هذه نصوص يجب أن نمرها ألفاظا دون أن يفهم منها معنى، ودون أن تفسر أي: تقرأ ألفاظا جوفاء، لا تنتمي، ولا يعقل لها معنى، وكلا القولين باطل - قول أهل التفويض، وأهل التأويل -.

فالاستواء يجب إثباته لله، ويجب أن نؤمن بأنه تعالى مستؤ على العرش، وأنه استوى عليه بعد خلق السماوات والأرض، والعرض مخلوق قبل ذلك قال النبي ﷺ: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء" (2).

-----------------
(1) أبطل العلامة ابن القيم زعمهم من اثنين وأربعين وجا. مختصر الصواعق 2/888
(2) رواه البخاري (7418) من حديث عمران بن حصين، وانظر شرحًا موسعًا لهذا الحديث في مجموع الفتاوى 18/210-244.
وفي الحديث الآخر عنه: «كتب الله مقام الخلاق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء». (1)

ونصوص الاستواء نوع من أنواع أدلة علوه تعالى على خلقه التي سيذكر الشيخ منها نماذج في الشواهد التالية.
علو الله تعالى وصعبيته لعباده

(1) زيادة من م.
بتوجيه مقاصد الحقيقة الواسطة

[التبرع] {رآسياً: إن الله مم أضحينه} [الأنفال: 44].

{حكم دون فكره، فإن الله، إن الله وُلد أن يدغدغ في ذات سخريه} {ابن عطية} [القصبة: 44].

الشرع

جملة من هذه الآيات تدل على علوي تعالى، و أملة علو الله تعالى على خلقه أنواع كثيرة جدا في القرآن، و السنة، أرسلها العلامات ابن القيم إلى أكثر من عشرين نوعاً (1)، كل نوع تحته أفراد من الأدلة، فمثلا:

من أنواع أدلة العلم:

1- التصريح باستواء الله على عرشه، هذا نوع، وتحته سبعة أملة.

في القرآن، كلها فيها تصريح باستواء الله على عرشه.

التصريح برفع بعض المخلوقات إليه قال تعالى: {قل رفعه الله إليه} [النساء] وقال تعالى: {إذ قال الله يعيش إلى مثوى يرزاه} [ال عمران: 55].

التصريح بصعود بعض المخلوقات إليه {إله يصعد الكليم} [تأذ: 10]. وعرض بعض المخلوقات إليه {تنْج المثنيخة ونْرجح إليه} [المختار: 4]. وقال تعالى: {لذكر الأمر}.

ومن السادة إلى الأرض ثم يعرج إليه {السجدة: 5}.

(1) الكافية الشافية ص 103، و إعلام الموقئين 281، و ذكر في الصواعق المرسلة 4/ 1340- 1280: ثلاثين طريقة عقلية تدل على علوه تعالى على خلقه.
4- التصريح بفوقيته تعالى على عباده ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادُهُ﴾ (الأنعام).

5- التصريح بالفوقية مقررة بين ﴿يَعْلَمُونَ رَبَّهُمْ يَفْقَهُونَ مَا يَوْمَئِنَّ﴾ (النحل).

6- التصريح بأنه في السماء، وهذا في القرآن في موضعين، قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَحْسِبُ يَكْمَلَ الْأَرْضَ فَلَمَّا يَكْمَلَ أَنْ يُرِيَّلْ عَلَيْكُمْ كَانُاً فَسَتَغْفِرُونَ﴾ (الملك).

7- إخباره تعالى عن فرعون بأنه قال لهامان: ﴿أَبَنِي صُرُّيَّةَ لَعَلَّيَ أُبَلِّغُ الآيَةَ أَسْبَبُ السَّمَاءِ فَأَتَّلِعُ إِلَىِّ إِلَهِيَّ مُوسَى﴾ (غافر: 36-37).

ووجه دلالة هذه الآية على العلو: أن فرعون تظاهر بأنه يطلب إله موسى في السماء، مما يدل على أن موسى قد أخبره بأن إلهه في السماء، فذهب الطاغية يقول لوزيره همامان: ﴿أَبْنِي صُرُّيَّةَ لَعَلَّيَ أُبَلِّغُ الآيَةَ أَسْبَبُ السَّمَاءِ فَأَتَّلِعُ إِلَىِّ إِلَهِيَّ مُوسَى﴾ يعني: الذي يزعم أنه في السماء، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الله في السماء.

8- التصريح بوصف العلو ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادُهُ﴾ (البقرة: 255).

العلي: اسم من أسمائه، فله العلو بكل معانيه، ولله الفوقية
بكل معانيها: ذاتاً، وقدراً، وقهرًا.

وغيرها من أنواع الأدلة (1).

وأنكر المعطلة علما ذاتاً (2). وعلما القدر، وإن أثبتها لفظًا فما
أثبتها في الحقيقة؛ لأن من نفيا صفات الرب تعالى، ونفياً اسماءه.

فما أثبت الله علما القدر، وهم قدروا الله حق قدرونهم (الenantiam: 91).

فالعلوم الذي فيه نزاع بين أهل السنة، وطوائف المبتعدة، هو
علم الذات، فأهل السنة يؤمنون بما دلته عليه هذه النصوص من
أنه في العلوم، فوق جميع المخلوقات، فهو سبحانه عال بذاته.
فوق جميع المخلوقات، فهو العلي الأعلى (سُبُحَّ ارْحَابَ الْآخِلَ)
(الأعلى).

وأما أهل البديع - نعوذ بالله من الضلال، وزين القلوب -
فيقولون: إنه ليس في السماء، ليس في العلوم، بل هو في كل
مكان، حال في المخلوقات، وبوئلاء هم الخُلُولية الذين رد
 عليهم الإمام أحمد، وقال: إن قولكم يستلزم أن يكون الله في
أجسامكم، وأجوافكم، وأجواء الخنازير، والحشوش (3).

وكيفي بهذا تنقصنا لرب العالمين؟ فلله أعلى وأجل من أن

(1) انظرها مع كلام الأئمة في: كتاب العلمن للذهبي، واجتماع الجيوش
الإسلامية ص 95 -آخر الكتاب، وانظر: ص 131 من هذا الكتاب هامش
رقم (1).

(2) انظر: مختصر الصواعق 3/99.

(3) الرد على الجهمية والزندقة ص 144.
تحيط به مخلوقاته، وأن يحويه شيء من مخلوقاته، بل هو العلي العظيم، العلي فوق كل شيء، العظيم الذي لا أعظم منه، فلو كان حالا في كل مكان لما كان هو العلي، ولما كان هو العظيم مطلقاً.

وهؤلاء الضلال عمدوا لهذه النصوص الكثيرة، فحرفوها كما حرفوا نصوص الاستواء، أو فوضوا، فقد يقولون: "بل رَفَّعَ أَنَّهُ إِلَيْهِ" [البقرة: 158]: رفع الله عيسى إلى محل عظمته، وسلطانه؛ هذا من نوع تحريفاتهم، و"تَزَجَّرَ النَّطَّاقُ وَالرَّجُلُ إِلَيْهِ" [المختصر: 45] إلى محل عظمته، وسلطانه؛ وسلطان الله في كل مكان.

وقوله تعالى: "أَمِنتَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ" [المؤمن: 17] يقولون: أمنت من في السماء أمره!

وأمر الله سبحانه وسلطانه نافذ في كل شيء.

فؤولن النصوص بنحو هذه التأويلات السمية.

النصوص دالة على أن من العباد، ومن المخلوقات ما هو عينده: "إِنَّ الْأَنْبَاءَ يَكُونُونَ لَكَ لا يُسَمِّيْنَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَسْلِمُونَ، وَلَهُ مُسَجِّدُونَ " [الأعراف: 10] هؤلاء الملائكة المقربون.

فعندهم: أن الله في كل مكان، والملائكة لا تخرج إليه، ونسبة كل المخلوقات إلى الله نسبة واحدة ليس بعضها أقرب إلى الله من بعض.

وكفى بهذا تنقصا لرب العالمين، وتخلاصا بكلمه حيث
يصرف عن وجهه، ويحرف عن مواضعه، ويُدعى أن كل هذه النصوص ليست على حقيقتها بل هي مجاز.

إذا؛ يجب الإيمان بأنه تعالى له العلوي بكل معانيه، والفوقية بكل معانيها، وأنه تعالى فوق جميع المخلوقات، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم، فتقول: إنه تعالى فوق جميع المخلوقات، وأنه العالي على جميع المخلوقات؛ ولكن لا تقل: إنه استوى على جميع المخلوقات، فالاستواء مختص بالعرش، وأما العلو فإنه على جميع المخلوقات.

والفرق بين العلو والاستواء:

1- أن العلو طريق العلم به: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة. والاستواء طريق العلم به: الكتاب، والسنة، والإجماع.

والاستواء دليل على العلو.

2- الاستواء متعلق بالعرش؛ فلا يقال: مستو على السماء الدنيا – مثلاً. وأما العلو فهذا تعالى عال على كل شيء، تقول: الله فوق العرش، وفوق السماء، وفوق عباده، وفوق كل شيء.

3- الاستواء صفة فعلية تتعلق بالمشيئة، فلله استوى على العرش حين شاء، وقد أخبر أنه استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض، وهو مستو بذاته تعالى.
وأما العلو فهو صفة ذاتية؛ فالعلو لا ينفك عن ذاته، فله العلو المطلق دائما وأبدا\(^1\).


ما يعثور من ثواب ثلاثة إلا هو دايعه، ولا حسنة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو ماهر، أي ما كناه، ثم بياضهم.

يَمَّا عَيْبَلَ يَوْمَ الْقِبَادَةِ إِنَّ اللَّهَ يَكْفِي عَلَيْهِمْ [المجادلة: ۷].

والمعية في اللغة العربية تدل على: مطلق المقارنة، والمصاحبة، ولا تستلزم اختلاط، ولا مجازة، فوصفه تعالى بأنه مع عباده لا يدل على أنه حال في المخلوقات، كما زعم المبطلون الغالطون: أن هذه الآيات تدل على أنه في كل مكان مع عباده، معهم في بيوتهم، ومعهم في سائر ما يكونون فيه.

هذا فهم خاطئ، هو سببائه في السماء، في العلوي، مستو على عرشه، وفي نفس الوقت هو مع عباده يسمع كلامهم، ويرى مكانهم وحركاتهم وسكناتهم، ويعلم سرهم ونجاهم، لا يخفى

---

(1) نحوه في "شرح حديث النزول" ص: ۳۹۵.
عليه شيء من أمرهم.
ولا يعني ذلك أنه مع التجوز الثلاثة والأربعة ... في المكان الذي هم فيه، وأنه متصل بهم، ومن فهم أن الله تعالى حال بين أولئك التجوز داخل السقف الذي هم تحته؛ فهو جاف الطبع، جامد العقل، فاسد الفهم - تعالى الله عن ذلك علوا كيبراً، وعمى يظهنه الجاهلون - فذلك من ظن السوء بإلهان.

وهذه المعية عند أهل العلم، يسمونها المعية العامة؛ لأن الله تعالى الناس كلهم "ومع مكتمل أنف ما كتمان" [[المكتبة: 4]]، "ما يحضر من جوهر ثلاثة إلا هو رايفهم ولا حسنة إلا هو سادهم".

ومن قال من السلف إنه تعالى معهم بعلمه؛ فهو حق، إنما قال ذلك؛ لبيان أن مقتضاها: العلم، والسمع، والبصر، وقال الإمام أحمد: "إن الله تعالى بدأ آية المعية بالعلم، وختنه بالعلم"(1).

فمعنى أنه معهم أين ما كانوا يعني: معهم بعلمه، وهو فوق السموات.
وأما المعية الخاصة؛ ففي الآيات الأخرى، كقوله تعالى:

(1) الرد على الجهمية والزناة ص 154.

هذه معايَقة خاصة، ومعيَّة الخاصة تتضمن ما تضمنهمعنى العامة من: العلم، والسمع، والبصر؛ وتزيد: بالنصر، والتُّأييد، والرعاية، وتضمن حفظهم، وكلاءهم.

والخلاصاً أن المعيَّة المضافة إلى الله نوعان (2):

معيَّة عامة، ومقتضاها: العلم، والسمع، والبصر.
معيَّة خاصة، ومقتضاها الخاص: الحفظ، والنصر، والتأييد، والعناية، والرعاية منه لأولئك.

فالمعيَّة العامة، عامة للبر والفاجر، وأما الخاصة، فهي خاصة بالمرسلين، والمؤمنين، والمتقين، والمحسنين،

(1) رواه البخاري (3653)، ومسلم (2381) من حديث أنس عن أبي بكر ﺑ.
(2) منهج السنة 8/372، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان 254/2، ومجمع الفتاوى 122/449/11.
والصابرين، وهكذا.

وأهل السنة والجماعة يثبتون المعية له تعالى على ما يليق به، ويعمّرون بأنه لا منافاة بين علوه، ومعيته، فهؤلاء عال في دنوه، قريب في علوه، ولا تعارض بين النصوص الدالة على علوه، والنصوص الدالة على قربه، ومعيته.

وأهل الضلال يعارضون بينها، ولا حظوا كيف حرفوا نصوص العلو، وحملوا نصوص المعية على ظاهرها عندهم، وليس ما فهموه هو ظاهرها، كلّاً، لكنهم فهموا نصوص المعية، وحملوها على ظاهرها عند ذي الفهم السقيم، والذنون الجاف الجامد.

وأول سبباته مع عباده أين ما كانوا، لا يخفي عليه من أحوالهم خافئة، علمَ الله في كل مكان محيط بكل شيء، والله تعالى فوق مخلوقاته «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ أَنَّا آتَيْنَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قِيَارًا وَأَنَّ اللهَ قَدَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا كَانَ» [القلاع: 12].

(1) وانظر: ص 191 فهناك فصل خاص لتقرير هذا المعنى.
إثبات صفة الكلام لله تعالى

وقوله: {ومن أصدُق من الله حديثا} [النساء: 78]، {ومن أصدُق من} {الله قولكم} [النساء: 122]. {وذكَرَ حَتَّى رَبَّكِ صِدَقًا وَعَدلًا} [الأنعام: 110]. {وَرَكُم مَّلِيِّنَةٌ} [التوبة: 144]. {وَمِنْهُمْ مِنْ كُلِّ الله} [البقرة: 239]. {ولَمْ يَجَّلَ مَوْسِعًا لَّيِّقينَا وَلَعَظَمَهُ رَبَّهُ} [الأعراف: 341]. {وَوَذَّاقَتْنِي مِنْ جَانِبِ الْفُلُوجِ الْأَلِيمِ وَقَرَّتِي شَيْئًا} [الشعراء: 52]. {فَرَأَى} [النマー: 145]. {فَوَادْنِهِمْ رَّسُولَ اللهُ أَلَّا أَنْتَ تَكُنَّ عَلَى نِِّيْكَ أَنتَ} [الأعراف: 227]. {فَوَدَّنَّاهُمْ بِفِي قَلْبِ أَن شَيْكَةِ الذِّينَ كُنُّوْذُنَّ رَزَعُونَتُ} [المطفأة: 22]. {فَوَدَّنَّاهُمْ فِي قَلْبِ مَاذَا أَجْعَلَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ} [المطفأة: 23]. {فَوَأَنَّ أَحَدَ الْمَشْرِكِينَ أَسْتَجَازَكَ أَنْ تَسْمَعَ كُلَّ الله} [التوبة: 2]. {وَقَدْ كَانَ قَرِينٌ مَّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كُلَّ الله أَنْ يَمْكُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ ما عَقَدُوهُ} [المطفأة: 276]. {فَبْيَدَتْ أَنْ يَبْدِيَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ الله مَزَائِفًا} [النマー: 10]. {وَأَنْتَ مَ أَوْلُو إِلَيْكَ مِنْ سَيْكَابِ رَيْكِ} {لا مَيْلٌ لِكُلِّ مِنْهُمَا}.

(1) في ظ و ب: {كلمات بالجمع، وهي قراءة نافع، وابن كشیر، وأبي عمرو، وابن عامر، التيسير ص 101، والنشر 226/2.}
الشرح

هذه الآيات ساقها الإمام ابن تيمية للإستدلال بها على إثبات كلام الله: وأن الله يتكلم، ويتكلم، وقال، ويقول، والنصوص القرآنية الدالة على إثبات صفة الكلام كثيرة جداً.

وأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه هذه النصوص بأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء بما شاء، وكيف شاء، لم يحدث له الكلام، بعد أن كان غير متكلم، فوصف تعالى بالقول فهو يقول، وأيضاً، يتكلم، ويوصف بالمناداة، فهو ينادي، وينادي، ويتكلم: كلاما يسمع منه شاء من عباده، وكلمه بحرف وصوت، يعني: بكلمات وحروف، فكلمه تعالى حروف وكلمات، وسور وآيات، فيجب إثبات صفة الكلام له، مع نفي مماثلته تعالى للمخلوقات، فكلمه، وتكلمه ليس كلام أحد من الخلق ليش له شفاعة.

وإن كلامه تصعق منه الملائكة، "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها تخضعنا لقوله":(1) أي: تعظيمًا له سبحانه، ولبعض ما يسمعون من وقع كلامه، ولكن إذا شاء كلم عباده، وجعل لهم القدرة والقدرة على سماع كلمه، أو يكلملهم كيف شاء كلامًا تحتمله قواهم، كما كلم موسى، ونادي الآلهتين: "وَأَنْامِهِمَا رَبُّمَا أَنْهَيْتُمَا عَنِ الْشَّجَرَةِ" (الأعراف: 22).

(1) رواه البخاري (4701) من حديث أبي هريرة. 41
فكلامه صلى الله عليه وسلم مسموع يسمعه من شاء من عباده، وأهل البدع المعطلة، ومن تبعهم يتغون الكلام عن لله، ويقولون: إنه لا يتمكِّم، ولا يكلم، وأن هذا يستلزم التشبيه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - فنفوا حقيقة الكلام عن الله بمثل هذا التلبس الذي هو من وحي إيليس البهيد العدو المبين.

وماذا يقول هؤلاء الضلال عن القرآن؟

يقولون: إنه كلام مخلوق خلقه الله في الهواء لا في محل، وعبر عنه جبريل، أو خلق كلاما في الهواء، ونقله جبريل، وبلغه.

المهم أنهم يقولون: القرآن مخلوق، كذلك ما يكلم الله به من شاء من عباده مخلوق، فيقولون: إذا أراد الله أن يكلم أحدا خلق كلاما، ومن ذلك خطاب الله لموسى وكلامه له، زعم الجهمية والمعتزلة: أن الله خلق كلاما في الشجرة هو ما قصه الله علينا في القرآن ونذى منه جنب أطوار الآيات وقوته نجماً (62) [النساء]، هل أنتَ حديث موسى (9) إذ تأذنت ربي بإلوا لأنت ملكٌ فوقوت (43) [التّنزيّرات] ومما قَضِّه الله من ذلك قال له: (9) هل أنتَ حديث موسى (10) إذ رأى نارا فقال لأهله: أتراك إلى ملك فأنت بأي يد تبقى على النار هدى (11) فقلَّم أن تُؤْلَى بمرض (9) إِنَّمَا يَدْرِكُكَ رَبُّكُ فَأَمْلِعَ نَعْمَانك إِنَّكَ يَلَوْانَ الْمَقْدُوسَطَ لِي وَإِنَّا أَحْيَانَكَ فَاتَّقِنَ لِمَا

(1) انظر: مذاهب الناس في كلام الله في: مجموع الفتوى 12/162، والكافية الشافوية 49، ومختصر الصواعت 1302/13، وص 197 من هذا الكتاب.
قولوا: إنني أنا الله، لا إله إلا أنا، أنا فأعلم وآتي بالصدد، لست في سiology 
[من]، إلى آخر ما قصه الله علينا من خطابه، وكلمة 
لكل من الله موسى عليه الصلاة والسلام، فعندهم أن هذا الكلام 
الذي سمعه موسى كلام مخلوق خلقه الله في الشجرة، لا أنه 
كلام قائم، ولا أن موسى سمع كلام الله من الله، وهذا 
مع أنه تحريف للكلام عن مواضيعه، فإن نفي الكلام عن الله 
غاية في التنقص لرب العالمين، فإن الكلام كمال، فالذي يتكلم 
أكمل من الذي لا يتكلم، والله ينذكروا. 
عندما وبلغ بني إسرائيل 
على عبادتهم العجل، ذكر أن العجل لا يتكلم، فكيف يعبدونه 
وأنت تتكلم؛ فقوم موسى من بعده من مكثيفي عجلة جسدًا لله، خوار أثر 
يرى أنه لا يتكلمهم ولا يهددهم، سببلاً، أرحمدهم وصحواً، ظلماً، وفي الآية الأخرى: (فأخرج لهم عجلة جسدًا لله) 
(الإسراف)، وفي الآية الأخرى، (فأخرج لهم عجلة جسدًا لله، خوار، فقالوا: هدى الله موسى و全能的 موسى سنة) أفلا يرون أن الله يرجع 
إليه، ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا [من]، فجعل من 
الدليل على بطلان إلهية العجل أنه لا يرجع إليهم قولاً، ولا 
يرد عليهم جوابًا، ولا يتكلم. 
وقد دل على إثبات صفة الكلام هذه الآيات، وغيرها، 
والسورة أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى، 
والزبور على داود، والقرآن - الكتاب المصدق لما بين يديه 
من الكتب - على محمد؛ كلها كلام الله، منزلة من عند الله. 
قال الله تعالى: (وأحد من المشركين استأجر الله حقي)
يسمعُ كلامٌِ اللهِ [البقرة: 2] وقال تعالى: {أنعمْنَا عليكُمْ وقد كُنتُمْ نسيًّين} [النساء: 76] فهُوَ كلامٌ اللهِ، وإضافة القرآن إلى الله من إضافة الصف إلى الموصوف؛ كعلمه، وسمعه، وبصره، وحياته، وجهه، وديه.

والمعطلة نفاة الكلام يقولون: هذا القرآن مخلوق، وهذا ما أنكره عليهم أئمة الإسلام، وحكموا من قال: القرآن مخلوق.

وصبر الذين امتحنوا في أمر القرآن، ليقولوا بأن القرآن مخلوق، وعلى رأس هؤلاء الإمام أحمد إمام إمام أهل السنة الذي امتحن بالضرب، والسجن؛ يقول: القرآن مخلوق، فأي يأبي على الجهمية، وصبر على أذاهم (1)، فلا غرو أن حاز ذلك اللقب إمام أهل السنة، فرحمه الله وسائر أئمة الهدي.


(1) انظر: ذكر محنة الإمام أحمد، لحنبل بن إسحاق، ومناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي ص 432، وسبيس أعلام البناء، 232/11.
وشرائطه، وأوامرها، ونواهيه، كلها عدل "زنّت كَمْت رَبِّكَ صَدًى وَعَدلاً لا بَيِّنَ جَاءَكَ وَهُوَ السَّمِيعُ الَّطِيْعُ (الإسعام)"، ولكلمات الله نوعان: كلمات كونية، وهي: ما يُكون به الكائنات، كما قال: "إِنَّمَا قُوْلُهُمْ إِنَّا أَرَانَّ نَطْلُ لَهُ كُنْ فِي كُونَ (النحل)", كما قال لليهود العتاة المتمردين: "فَلَا عَنْهَا عَنْ مَا هُوَ عَنْهُمْ فَلَا هُمْ كُونُوا قَرِيْدًا حَسِينَاتٍ (الأعراف)".

وكلمات شرعية، وهي: كلامه الذي أنزل على رسوله، وهي: كتبه، وأعظمها، وأشرفها القرآن، فالقرآن كلامه، وكله من كلماته الشرعية.

وكلماته الكونية، والشرعية كلها كلامه، ليس شيء منها مخلوقاً؛ ولذا جاء التعود بكلمات الله في غير ما حدث (٢) كحديث "أُعِبَذ بِكَلَمَاتِ اللهِ النَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" (٣)، فاستدل

(١) مجموع الفتاوى ١١٠/٢٧٠ و٢٢٢، وشفاء العليل ص: ٢٨٢ .
(٢) كحديث ابن عباس قال: كان النبي يدعو الحسن والحسين ويقول: "إِنَّ أَبا كَمَا كان يَعْوَذ بِهَا إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ أُوْزِعَ بِكَلَمَاتِ اللَّهِ اثْنَا عَشَرُ (٣٧٠) وحديث: عبد الله ابن عمر أن رسول الله كان يعلمهم من الفروع كلمات: "أُوْزِعَ بِكَلَمَاتِ اللَّهِ النَّامَاتِ مِنْ غَضْبِهَا، وَشَرِّ عِبَادِهَا، وَمِنْ هُمَّازَاتِ الشِّيَاطِينِ، وَأَنَّ يَحْضُرُونَ (٣٥٢٨) وقال: حسن غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٢٥) و(٢٩٧)، وصححه الحاكم.
(٣) رواه مسلم (٢٧٠٧) و(٢٧٠٩) من حديث خولة بنت حكيم، وأبي هريرة.
العلماء يمثل هذا على أن كلام الله غير مخلوق.


كلها فيها إضافة القول إلى الله، ومنها قوله تعالى "وَكَمَّا أَنَبَّأُ مُوسَىً" ([التو�템: 164]. كلمة: خاطبه بكلام؛ بأخبار، وأوامر. ونتدينه من جانب الطار الأيمن وفرزته بينها [المنزلة].

الله تعالى نادي موسى، وناجاه.

النداء هو الخطاب بصوت رفيع.

والمناجاة: الخطاب بصوت خفي.

فموسى هو كليم الله، وهو نجي الله، فالتعب تعاني موصوف بالمناداة والمناجاة، والعباد يوسف بالكلام، والتكلم، وبالمناداة، وبالمناجاة، ليست المناداة كالمناداة، ولا المناجاة.
كالمناجاة، ولا التكليم كالتكليم، وهذا كله في القرآن (إِنَّ الَّذِينَ يَبْنُونَكُنَّ مِن وَرَأَيْهِمْ أُحْسَنُوهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [الحج: 72] (إِذَا تَجَهَّمَ الرَّسُولُ فَقَدْ وَقَعَ بَيْنَ يَدَيْ جَهَازُ صَدْقَةٍ) [المجادلة: 12] (إِذَا تَجَهَّمَ الرَّسُولُ فَقَدْ وَقَعَ بَيْنَ يَدَيْ جَهَازُ صَدْقَةٍ) [المجادلة: 9]، ولالمذكور ولمعاصب الرسول ونجوا بالبر والتقف (المجادلة: 9).

المقصود: أن كل ما يوصف الله به من ذلك، ليس مثل ما يوصف به المخلوق.

وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسى تَحْكِيمًا [النتف: 114]، كلم الله: بالرفع فيعال، وموعيًا مفعول هو المتكلم، وتلكمًا مصدر مؤكد يرفع ويذاع احتمال المجاز.

والمعطاه يحرفون هذه الآية - لكن هيهات! - يقولون: وكلم الله، ويكون على تحريرهم التكليم من موسى الله، يعني: موسى كلم الله (1).

ولو كان الأمر كذلك فهل يكون لموسى خصوصية؟ لا، كل أحد يمكن أن يكلم الله، أنت تكلم الله، وتناديه إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه ينادي ربه (2) الداعي يكلم ربه يقول: يا رب، يا رب، لكن خصوصية موسى في أن الله كلفه، ولا يستطيع مبطل معطل أن يبطل هذه الآلهة يقول: وكلم الله؛ لأن كلام الله محفوظ في الصدور، وفي المصاحف ولا يأتيه

(1) بيان تأسيس الجمهية 2/12، والنصوص المرسلة 2/37.
(2) رواه البخاري (1214)، ومسلم (551) من حديث أنس.
لا يُحَبِّبُ اللَّهُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ ما لَهُ مُثَلَّا، إِلَّا أَن يَفْتَحُ لَهُمْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَأَن يَقْبَلَ نَفْسَاهُمْ إِلَى فَيْنَاءٍ. فَمَنْ كَانَ لَهُ مُثَلَّا، يَتَشَارَكُ فَيْنَاءُهُمْ مَعَ هُمْ. (البقرة: 136)

وَهَذِهِ التَّكْلِمَةُ لِلَّهِ أَنَّهُ كَانَ مَنَادِيًا، وَمَنَاجِيًا، كَمَا فِي آيَةٍ سُورَةِ مَرْيَمَ: "وَنَذَّرْنِيُّ مِنْ جَنِينِ طُورِ الأَلْبَاعِ وَقَرْنِيْنِ جَيْبًا، فَلْيُرُوِّيَنِيْنِ" [البقرة: 71]. فَأَمَّا اللَّهُ الَّذِي نَذَّرَنَا لَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: "إِنَّمَا أَنَا لَأَنتِي، وَلَسْتُ يُمِينًا لِلَّهِ" [البقرة: 187].

فَلَمْ أَصْبِحَ أَنتِ الْأَنتِي، وَلَسْتُ يُمِينًا لِلَّهِ. (البقرة: 187)

فَهَلَّ تَعَايِنُنَا نَادِيَ مُوسَى، وَنَادِيَ الْأَبْوَابِ، آدَمَ وَحَوَاءً، فَمَنْ قَبْلَ لَمْ يَصْبِحَ، وَخَلَافًا أَمَّرَهُ اللَّهُ، وَاتَّبَعْنَا مَا نَهَاهُ عَنْهُ. (البقرة: 71)

فَذَا الْجَبَرَ وَيْلَهُمْ أَن تُهْكُمْ عَنْ يَلِكَ الْجَبَرَ، وَأَلْوَانُهُمْ تَقَارِيرُ لَهُمْ تَحْتَ وَرَقَاءِهِمْ. (البقرة: 136)

فَإِنْ تَبِينَنَّهُمَا عَلَى عَبْدِكَ الْمُلْكَ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ أَنتِ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ أَنتِ. (البقرة: 136)

فَهَلَّ تَعَايِنُنَا نَادِيَ مُوسَى، وَنَادِيَ الْأَبْوَابِ، آدَمَ وَحَوَاءً، فَمَنْ قَبْلَ لَمْ يَصْبِحَ، وَخَلَافًا أَمَّرَهُ اللَّهُ، وَاتَّبَعْنَا مَا نَهَاهُ عَنْهُ. (البقرة: 71)

فَذَا الْجَبَرَ وَيْلَهُمْ أَن تُهْكُمْ عَنْ يَلِكَ الْجَبَرَ، وَأَلْوَانُهُمْ تَقَارِيرُ لَهُمْ تَحْتَ وَرَقَاءِهِمْ. (البقرة: 136)

فَإِنْ تَبِينَنَّهُمَا عَلَى عَبْدِكَ الْمُلْكَ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ أَنتِ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ أَنتِ. (البقرة: 136)

فَهَلَّ تَعَايِنُنَا نَادِيَ مُوسَى، وَنَادِيَ الْأَبْوَابِ، آدَمَ وَحَوَاءً، فَمَنْ قَبْلَ لَمْ يَصْبِحَ، وَخَلَافًا أَمَّرَهُ اللَّهُ، وَاتَّبَعْنَا مَا نَهَاهُ عَنْهُ. (البقرة: 71)

فَذَا الْجَبَرَ وَيْلَهُمْ أَن تُهْكُمْ عَنْ يَلِكَ الْجَبَرَ، وَأَلْوَانُهُمْ تَقَارِيرُ لَهُمْ تَحْتَ وَرَقَاءِهِمْ. (البقرة: 136)

فَإِنْ تَبِينَنَّهُمَا عَلَى عَبْدِكَ الْمُلْكَ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ أَنتِ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ أَنتِ. (البقرة: 136)
في المصاحف؛ كله كلام الله.

لكن كلام الله يسمع ممن؟ يسمع من المقارئ، فقوله تعالى: {له يسمعُ فيمَّ نَادِهِ} 

[التوبة: 89] يسمعه إما من: الرسول ﷺ، أو من بعض المؤمنين.

أما الذي سمع القرآن كلام الله من الله؟ فهؤلاء جبريل ﷺ، لأنه هو الموكل بالوحي {وَالْمُوَلَّىٰ عَلَىْ رَبِّهِ مِلْكَ الْأَلْبَابِ} 

[الشعراء: 78] فجبريل الروح الأمين سمع كلام الله من الله، ومحمد ﷺ سمع القرآن من جبريل، والصحابه سمعوا القرآن من الرسول ﷺ، ويسمعه بعضهم من بعض، وهكذا.

والآيات الكثيرة المتقدمة التي جاءت بأساليب، وＡالفاظ مختلفة كلها تدل على إثبات كلام الله ﷺ.
ثبوت نزول القرآن من الله سبحانه تعالى

"إن هذا القرآن يُقتَصّ علّه بنِي إسْرَئِيل" (النساء: 26)، "وهذا كتب آزْلَتْه مَبَارِك" (الأنعام: 92)، "أو أرسل هذا القرآن على بَيْلَة" (يمين: 21)، "وإذا بُدِّلَت آيَة مَحْكَاتِنا جَاءتْ وَلَدَا عَلَمْتُمُ مَن يَأْتِي بِمَثْقَالِ غُدُودٍ مَا يُؤْتِهُ أَيْنَ أَنتُمْ تَعْلَمُونَا؟" (التيّارات: 11).

"فَنَّالَهُ جَزَىٰ الْفَتْحَاتِ مِن رَبِّكَ بِهِ مَا لَمْ يَكُونَ بِهِ مِنْ عِبَادَتِنَا" (الรกب: 28). 

"وَلَا تَمَنُّوا قَلْنَا إِنَّا عَلَمْتُمُ الْعُجَمَيْنَ" (الذئاب: 42) وهكذا ليس أَسْأَلَ عَنْكَ مِثْقَالٌ مِمْضَىٰ [الحل].

الشعر

هذه الآيات فيها إِخْبَار عن القرآن بأنه منزل من عند الله، والآيات التي فيها الإِخْبَار عن نزول وتنزيل وإنزال القرآن كثيرة جداً "إن هذا القرآن يُقتَصّ علّه بنِي إسْرَئِيل" [النساء] والقرآن يوصف بأنه يقصص، وإن يبشر، وينذر، ويهدي، كلهما قد جاءت في القرآن "إن هذا القرآن ينهى ليَهِي أَقْوَامٍ وَيُبْيِّن الشِّرْكَاءَ الَّذِين يَعْمَلُونَ الصَّبْحَاتَ فَاذْكُرْ أَنَّ مَا أَجْرَىٰ" [الأسراء: 4] و"فَلَوْلَا يَعْمِسُونَ بِالْأَخْرَجِ أَنشَدُتا لَهُمْ عَذَاٰبًا أَلِيمًا [اللهเสร: 17]، فَالقرآن يوصف بأنه يقصص، لا إِشْتَماله.
على القصص كأخبار الأنبياء مع أمهم، وعلى ما فيه من الأوامر، والنواهي، كل هذا يقصه على العباد "إنه هذا القرآن يقضي على بني إسرائيل أكثر الأديان هم فيه تحيطتهم" [النمل]. هنا جاء التوقيع ببني إسرائيل، كما قص عليهم ما قص من أمر المسيح، ومن أمر ما حرم عليهم "وعلى الذين كفروا حرمتنا سكن في جزء من القرآن" (الأنعام: 146) الآية.


فهذه الآيات التي فيها الإخبار عن نزول القرآن من الله يستدل بها على أن القرآن كلام الله منزل منه سبحانه، ويسدل بها على علوه تعالى ؛ لأن النزول إنما يكون من العلو، فهي تؤكد الأمرين جميعا.
إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة

وقوله: " genders: فَلِيُّوْمِينِ أَتِّيَتَكَ أَنَّا نَكَبُ ۛ إِلَى رَبِّكَ كَبِيرٌ" [التكبيرة]، وعلى آلِبِكَ بُطُورَنَّ [المطوقين]، "لَذَينَ أَحَسَسَتُانِ لَكُلِّ نَبِيٍّ رَبَّهُمَا". [طه: 22]، "لَمْ يُصِبْنَنَّهُمَا وَلَدِيًّا مَرَيْمًا" [ق]. وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثيرًا من تدبير القرآن طالبا للهدى منه، يبين له طريق الحق.

الشرع

وهذه الآيات ختم بها المؤلف ما أورده من النصوص القرآنية الدالة على إثبات صفات الله الرب، وهي النصوص الدالة على إثبات رؤية العبد لله تعالى، وهذه مسألة كبيرة ضل فيها كثير من الطوائف، ووفق الله للحق فيها - وغيرها - أهل السنة والجماعة، ومسألة الرؤية داخلة في مسائل الصفات.

والمعطولة يقولون: إنه تعالى لا يرى. (1)

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بما ذل عليه الكتاب والسنة: من أنه تعالى يرى بالأبصار، يراه من شاء من عباده، وقد دلت النصوص على أن المؤمنين يرون يوم القيامة في الجنة، وفي عرّضات القيامة، ومن هذه الآدلة: قوله تعالى: " genders: فَلِيُّوْمِينِ أَتِّيَتَكَ أَنَّا نَكَبُ ۛ إِلَى رَبِّكَ كَبِيرٌ".

(1) مجموع الفتناري 8/256 و10/295، ومنهاج السنة 315/20، حادي الأرواح ص 326.
توضيح مقاصد المفهمة الواسطة

163

إلى زيها تأثرة (33) ناضرة: بهية حسنة مشرقة، وهي: وجه
أولى الله المؤمنين يوم القيامة.

إلى زيها تأثرة (33) من النظر بالبصر، يعني: تنظر إلى ربها
بأبصرها.

ونظر: يأتي معتدياً (بنفسه)، وذلك معتدياً ب(في)، ومتهدياً
(بالي) (1)؛ فالمعتدي بنفسه بمعنى الانتظار قال تعالى: "هل
ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلله من السماء والملك، فبقي
الأمر وإلى الله ترجع الأمور (34) [البقرة]، هل ينظرون إلا أتوب؟" 
[الأعراف: 33] بمعنى: هل ينتظرون هؤلاء الكفار إلا تأويل ما
وعدها به.

والمعتدي ب(في)، بمعنى التفكير: أولئك ينظروا في منكؤت
السماء والأنجاس (الأعراف: 65)، يعني: أولم يتفكروا؛ كما قال
 تعالى: "أولم يتفكروا في أنفسهم" (الروم: 8).

أما المعتدي (بالي)، فهو بمعنى: نظر العين، تقول: نظرت
إلى كذا، يعني: بعيني، كما قال تعالى: "أقرئ نظروا إلى السماء
فوقهم كيف بجيئها ورميتها وما لها من فرج؟" (34) [القلم]
هذه الآية: "بزييزت تأثيرها إلى زيتها تأثيراً (33) للقيامة" هي
أدل دليل على إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى.

(1) حادي الأرواح ص: 337
ومن الأدلة: ما توعد الله به الكفار المكذبين بقوله: ﴿لَكَّ رَأَيْنَآ عَلَى قُوْمِهِمْ مَا كَانُوا يَكْبِرُونَ ﴿۱۱﴾تَأْخِذُوهُ عَنْ رَيْبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ﴾۱۲﴾فَمِمْضِى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾۱۳﴾فَمِمْضِي أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾۱۴﴾الملتنيين، فتهدى الكافرين بحجبهم عن ربهم؛ يدل على أن المؤمنين بخلاف ذلك، وأنهم يرون الله سبحانه، فلو كان المؤمنون لا يرونه لما كان بينهم وبين المكذبين فرق، ولو كان تعالى لا يرى ألبس كما تزعم المعطلة؛ لما كان في هذا الوعيد فائدة؛ لأن الرؤية على قولهم مستحيلة؛ فالكل محجوب.

ومن الأدلة القرآنية على إثبات الرؤية: قوله تعالى: ﴿لَيْلِيْنَ أَحْسَنَالْمُقَدِّسَةَ وَزِيَادَةً﴾[بقر: ۳۶]، وقوله تعالى ﴿عَلَّمَهُمْ كُلًاٖ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[بقر: ۳۷]، وقد جاء تفسير: الزيداء(۱)، والمزيد(۲) بأنه: النظر إلى وجه الكريم. ﴿لَيْلِيْنَ أَحْسَنَالْمُقَدِّسَةَ﴾: الجنة، وزيادة عظيمة هي نظرهم إلى


وجهه الكريم، وفي الدعاء المأثور: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم» (1). نسأله تعالى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.

هذه أظهر الآيات التي يستدل بها على إثبات رؤية العباد لربهم، وهذه أدلة أخرى منها قوله تعالى: "قد تُديسَكُمُ الآبَصَارُ" (الأنعام: 103)، والمعططة يتمسكون بهذه الآية، ويقولون: لا تدرك الأبصار: لا تراهن الأبصار، ثم يحرفون الآيات الأخرى، وهذه الآية التي يجتنبون بها على نفي الرؤية، هي حجة عليهم؛ لأن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، فمعنى قوله تعالى: "قد تُديسَكُمُ الآبَصَارُ" (الأنعام: 103). أرأى: لا تحيط به الأبصار؛ لكمال عظمته، ونفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية من غير إحاطة، إذ لو كان لا يرى مطلقاً لما كان نفي الإحاطة - وهو المعنى الخاص - فائدة. فنفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية، من غير إحاطة.

فكان الآية التي يستدل بها المعططة على نفي الرؤية دليلاً عليهم لا لهم (2).


(2) منهاج السنة 3/217، وبيان تلبيس الجهمية 1/53/2، وحادي الأرواح ص 333.
ولعل الإمام ابن تيمية تعمد هذا الترتيب وتحراه، وهو أنه ختم هذه النصوص التي أوردها من القرآن على إثبات صفات الرب، مما يحقق للعباد معرفتهم برهم، فنحن عرفنا ربنا بأسمائه وصفاته، وذلك بما أنزله في كتابه، وبلغه رسوله ﷺ فيحصل للعباد في هذه الحياة العلم برهم، لكنه علم من غير إحاطة ﴿ولا يُجْعَلُونَ ﷺ علماً﴾ [٧: ١١٠]، ففي الدنيا العباد لا يرونهم، ويوم القيامة يرونهم، فيجتمع لهم العلم الذي في قلوبهم، والرؤية له تعالى بأبصارهم، فكان الإمام ابن تيمية في إيراد هذه الآيات في هذا الموضع ينبه إلى أن رؤية العباد لربهم غاية لهم فتوق نحوهم إلى النظر إلى وجه الكريم، بعد أن عرفوه في الدنيا بأسمائه، وصفاته، كما علمهم، فإنه تعالى يتلمم هذا لأولئك يوم القيامة، ويكشف الحجاب لهم؛ فينظرون إليه، وذلك غاية نعيمهم، فلا يلتفتون إلى شيء مع نظرهم إليه ﴿١﴾.

وفي النهاية يقول المؤلف: «وهذا باب واسع»، يعني النصوص الدالة على أسماء الرب، وصفاته، وأفعاله، مما يورث العلم بالله، باب واسع، من تدبر هذه النصوص ؛ تبين له طريق الحق، فتدبر القرآن هو سبيل العلم النافع، وهو الطريق لمعرفته المعرفة الصحيحة ؛ فإن العقول لا تستقل بمعرفته، غاية ما تحصله العقول المعرفة الإجمالية، أما معرفة أسماء الله، وصفاته على التفصيل، فلا سبيل للعقل إلى ذلك، وإنما طريق العلم في

(١) سبأني الكلام على الرؤية - أيضًا - في ص ١٧٧.
ذكر بعض أحاديث الصفات

إثبات النزول والفرح والضحك والعجب والقدم

ثم سنة رسول الله ﷺ؛ فالسنة تفسر القرآن وتبيينه، وتدل عليه، وتعبر عنه، وما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك.

مثل قوله ﷺ: «ينزل ربي إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلاث الليل الآخر، يقول: من يدعاوني فأجيب له؟ من يسألي فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟». متفق عليه (1).

وقوله ﷺ: «يا أشد فرحًا بتوية عبده من أحدكم براحته...». الحديث متفق عليه (2).

وقوله ﷺ: «ياضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة». متفق عليه (3).

---

(1) البخاري (1145)، ومسلم (786) من حديث أبي هريرة.
(2) البخاري (12709) ومسلم (27474 و2744) من حديث ابن مسعود، وأنس.
(3) البخاري (2826)، ومسلم (1890) من حديث أبي هريرة.
ذلك هو ما جاءت به الرسول.
فرحهم الله الإمام ابن تيمية على هذه العناية العظيمة، فقد
يقول بعض الناس: إنه أسهل وأكثر، لكن المقام جدِّير بالعناية،
فنصوص الصفات في القرآن ليست محدودة قليلاً في موضع، أو
اثنين، أو ثلاثة، بل هي كثيرة جدا، فهذه الآيات التي ساقها هي
قليل من كثير.
فاقرأ أي سورة تجد فيها من إثبات أسمائه، وصفاته،
وأفعاله.
وانظر السورة الجامعَة لمضمون القرآن كله سورة الفاتحة،
وكيف أنها صدرت بـ{ الحمد لله رب العالمين }
{ الرحمن الرحيم ملكي يوم القيامة } هـ هذه الآيات
الثلاث، فيها جماع اسماء الرَب، وصفاته، لكن على سبيل
الإجمال.
وفي قول الشیخ "من تدبر القرآن طالبا للهدى منه" تنبيه إلى
أن الانتفاع بالقرآن، وحصول المعرفة، وظهور الحق لا يحصل
بمجرد التدبر، بل لا بد من صحة النية، وسلامة القصد، وذلك
بأن يكون القصد من التدبر طلب الهدى، والفرقان بين الحق
والباطل.
وقوله: "عجب رينا من فتوط عباده [القرآن 28/1] وقرب غيِّره (1)، ينظر إليكم، أزلي (2)، قنطيين، نظلال يضحك يعلم أن فرجكم قريب، حليت حسن (3)."

وقوله: "لا تزال جهنم يُلقى فيها، و تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها [رجله (4)] - وفي رواية: عليها قدمه ، فينزيوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط. متفق عليه (5)."

وقوله: "يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يآمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار. متفق عليه (6)."

وقوله: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه (7)."

---

(1) في ب: خيره.
(2) في ب: أذين.
(3) رواه أحمد 4/11، و ابن ماجه (181) من حديث أبي رزين. بلغت: "ضحك..."، ورواية: "رضح...")، وروايات: "روى...")، ورواية: "قلمه عند البخاري (848/4)، ومسلم (848) من حديث أحمد بن الحنبلي.
(4) زيادة من: م.
(5) البخاري (848) ومسلم (848/6) من حديث أبي هريرة.
(6) البخاري (848) واللفظ له، ومسلم (848) من حديث أبي سعيد الخدري.
(7)
ترجمة] 

وقوله في رقيه المريض: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض; كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوننا وخطائنا؛ أنت رب الطيبيين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوضع". رواه أبو داود (3). وقوله: "ألا تؤمنون وأنا أмин من في السماء". رواه البخاري وغيره (4).

وقوله: "والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش (5)، وهو يعلم ما أنت عليه". رواه أبو داود والترمذي وغيرهما (6).

(1) زيادة من: م. 
(2) تقدم تخرجته في ص: 148. 
(4) رواه البخاري (1351)، ومسلم (1064) من حديث أبي سعيد الخدري. 
(5) في م: والعرش فوق السماء والله فوق العرش ... حديث حسن رواه أبو داود وغيره. 
(6) رواه أحمد 1/ 206، وأبو داود (4723) والترمذي (3260) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (193) وابن خزيمة في التوحيد ص 101، والحاكم.
وقوله للجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة. رواه مسلم
وقوله: "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت". حديث حسن.
وقوله: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبقغن قبص وجهه ولا عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه". متفق عليه.

وقوله: "اللهم رب السموات السبع، ورب العرش

RULES 2/412 و500 - وصحته، وتعقبه الذهبي - من حديث العباسي،
وصحته الجوزجاني في الأباطيل 79، وقوام ابن تيمية في مناظرة الواسطية 123/2، وابن القيم في تهذيب السنن 7/92. وشيخ الإسلام
ذكر الحديث بالمعنى.

1 مسلم (473) من حديث معاوية بن الحكم.
وقال ابن كثير في تفسيره 9/8: غريب.
3 رواه جميع من الصحابة بألفاظ مختلفة في الصحيحين وغيرهما، ولم أجد بهذا اللفظ، وأقرب لفظ له حديث جابر في صحيح مسلم (338)، وأما الشاهد منه فرواه البخاري (404)، ومسلم (547) من حديث ابن عمر، والبخاري (405) من حديث أنس.
العظيم، رينا ورب كل شيء، فاللحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن؛ أعوذ بك من شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وانت الآخر فليس بعدك شيء، وانت الظاهر فليس [28/2] فوقك شيء، وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغنتي من الفقر». رواه مسلم(1).

وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر: «إيها الناس. ازيحوا على أنفسكم؛ فإنيكم لا تدعون أصم ولا غائب، إنما تدعون سمعا قربا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحله». متفق عليه(2).

الشعي

تقدم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الررب، وأسمائه أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصف به رسول الله ﷺ إباتا، وفيا. فيشبون له ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشمل. وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ إباتا، لا تشبه، وتنزيها بلا تعطيل.

(1) تقدم تخريجه في س: 56.
(2) رواه أحمد 4/2004 واللفظ له، و البخاري (2992)، ومسلم (2704) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.
وتوضيح مقاصد القضية الواسطية

ومضمون هذا أنه يجب الإيمان بما جاء في القرآن من أسماء الرسول وصفاته، وما جاء في السنة الرسولية، ولهذا لما أورد الإمام ابن تيمية كثيراً من النصوص القرآنية المتضمنة لكثير من أسماء الله وصفاته - مما يدخل في القاعدة المتقدمة (1) -، وهي: «أنه موصوف بالإيثاب والنفي» - أتباع ذلك بذلك بعض النصوص النبوية المشتملة على بعض أسماء الرسول وصفاته.

إذا السنة هي الأصل الثاني في الاستدلال، ومعرفة ما جاء به الرسول فإن الله أطلق على نبيه الكتاب والحكمة، الكتاب هو القرآن، والحكمة هي: سنة الرسول، فكلاهما وحي، كما قال: 

{لا يُطلق عَلَى النَّبِيِّ إِلَّا وَحْيٌ مَّعْنَى} [العنبر]

فكل ما يُبَلَّغ النبي عن الله سواء كان كرآناً، أو سنة- فإنه وحي أوحاء الله إليه، وكل منهما منزل كما في قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ ﷲ‏ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لم تَكُنْ تَعْلَمُ} [النبأ: 113]

فيجب الإيمان بكل ما أخير الله به في كتبه، أو أخير به الرسول في سنة، كما يجب العمل بما أمر الله به في القرآن، والانتهاء عما نهى عنه سبحانه، وكذلك ما أمر به الرسول، أو نهى عنه، فإنه يجب العمل بأوامره، ونواهيه، وطاعته في أمره ونهيه.

(1) ص: 42.
إنكار السنة مطلقاً، ودعوَي أَنَا لِسَنَا مُكُفِّينَ إِلَّا بِالقُرآنُ كُفْرٌ، وضَلَالٌ، ومخالفة للقُرآنٍ؛ فإنَّ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّرَ بِاتِباعِ الرسُولِ ﷺ، وطاعته.

قال الشيخ ﷺ: «فالسنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه» المراد بالسنة في هذا السياق: سنة الرسول ﷺ، وهي: أقواله، وأفعاله، وقراراته، هذا هو المراد بالسنة إذا قيل: الكتاب والسنة. فسنة الرسول القولية، والفعلية، والتحريرية؛ تبين وتفسر القرآن، وتدل عليه وتعبر عنه، والأغلب على سنة الرسول ﷺ أنها بيان.

ومن السنة ما يتضمن أخباراً، وتشريعات ليست في القرآن، قال الله تعالى ﷺ: «إِيَّبْيِنَّكُمْ وَزُبُرٌ وَأٌوَّلًا إِلَىٰ الْآيَةِ الْيَكْسَرُ لَخَبِيرُ إِلَىٰ أَيُّاهَا الْمُتَّقُونَ» [الحجر] الذكر: القرآن.

فالرسول ﷺ قد فسر القرآن وبينه، ففسر ما أشكل من ألفاظه، وكثير من ألفاظه يعرفها المخاطبون باللسان العربي، كما روي عن ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: 1- يُعرَفه العرب من كلامها، ويفسير لا يعذر أحد بجهله، ويفسير علمه العلماء، ويفسير لا يعلمه إلا الله(1).

فالرسول ﷺ بين القرآن، فالسنة فيها تفصيل ما أجمل في...

(1) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره 1/34، من حديث أبي الزناد عن ابن عباس وهو متقطع؛ لأن ابن عباس مات بالطائف، وأبو الزناد المدني صغير دون التمييز. تهذيب الكمال 162 و14/482.
القرآن، وتقييد المطلق، وتخصيص العام؛ فأحكام الصلاة التفصيلية: صفتها، أفعالها، أقوالها، مواقيتها، أكثرها إنما تجده في السنة، وأحكام الزكاة: أنصبة الزكاة، الأموال التي تجب فيها الزكاة، والحج كثير من أحكامه إنما عرفت تفصيلا بسنة الرسول ﷺ، وهذا الموضوع وتفصيله يطول الحديث عنه.

المقصود: أن ما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحيحة التي تلقاها أهل العلم والمعرفة- أهل الشأن، وهم أهل الحديث- بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك.

يعني كما يجب الإيمان بما وصف الله ﻭه نفسه في كتابه، يجب الإيمان بما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحيحة، التي تلقاها أهل العلم بهذا الشأن بالقبول.

يجب الإيمان بها، سواء كانت من قبل المحتاج، أو الآحاد، فأهل السنة والجماعة يقبلون كل ما صح عن النبي ﷺ.

أما أهل البعد (1) فإنهم بناء على أصولهم الفاسدة في نفي صفات الر부 سبجانه - يردون نصوص الصفات، إما بحجة أنها آحاد، والآحاد يزعمون أنه لا يحتاج بها في العقائد.

وإن كانت متوارطة قالوا: إنها ظنينة الدلالة لا تفيد اليقين، فهم يدفعون هذه النصوص، ويردونها زاعمين؛ إما أنها لم تثبت، أو أنها ظنينة الدلالة.

هذا وهم ليسوا من أهل هذا الشأن فلا يميزون بين صحيح

(1) مجمع الفتاوى 1973/ 157
ولا ضعيف، ولا بين متواتر وآحاد.
أما أهل السنة والجماعة فإنهم يصفون الله بكل بما وصفه به الرسول ﷺ مما صح عنه ﷺ في الأحاديث التي تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول، ويؤمنون بذلك، وهذا هو الواجب، كما يجب الإيمان بما في القرآن.
وقد أورد الإمام ابن تيمية في هذا الفصل أمثلة لهذه الأحاديث، فمنها ما دل على صفات قد دل عليها القرآن كالتكلم في قوله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان".(1)
أو العلم كما في قوله ﷺ: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء".(2) هذا مثل قوله سبحانه: "أينم مًن في السماء؟ [الملك: 16] وقوله ﷺ: "لليجارية أن آن الله؟ قالت: في السماء".(3)
أو إثبات بعض الأسماء مع تفسيرها، كالأول والآخر والظاهر والباطن، كما في حديث أبي هريرة ﷺ في الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به يقول: "الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم، ربي ورب كل شيء - إلى قوله: اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك

(1) تقدم تخرجه في ص 148.
(2) تقدم تخرجه في ص 160.
(3) تقدم تخرجه في ص 161.
شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»(1).

أقول: إن كل هذه الأحاديث إنما دلت على مثل ما دل عليه القرآن، فتكون هذه الصفات قد تطابقت عليها دلالة القرآن، ودلالة السنة، فتكون ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع أهل السنة والجماعة.

وهذه النصوص - أعني تلك النصوص التي قد دلت على مثل ما دل عليه القرآن - ستكون فيها بهذه الإشارة.

وتأمل ما أوردته الشيخ من النصوص الدالة على صفات لم يأت ذكرها في القرآن، وألاحظ أن الإمام ابن تيمية قد قدم هذه الأمثلة وساقها تباعاً، وهي هذه الأدلة:

حديث: النزول، الفرح، الضحك، حديث القدّام، فهذه الصفات إنما ثبتت بالسنة، فليس في القرآن ذكر لهذه الصفات فيما أعلم.

فأول ذلك قوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلاث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(2).

ووهذا الحديث رواه جمع غفير من الصحابة، وعده أهل العلم من المتوارث، فقد توأتمت السنة عن النبي بإثبات نزول الرب

(1) تقدم تخريجه في ص 56
(2) تقدم تخريجه في ص 108
تعالى في آخر الليل (١).

لذلك أهل السنة والجماعة يثبتون النزول الإلهي ويؤمنون به، مع نفي مماثلته لنزول الخلق، ونفي العلم بالكيفية، يقولون: إنه تعالى ينزل حقيقة، ونزوله سبحانه يتضمن ذنوا وقربا، وإذا قلنا: ينزل حقيقة، فلا يعني أنه ينزل مثل نزول العباد، بل ينزل كيف شاء، والنزول معلوم، والكيف مجهو، لا كما يقول المعطلة: ينزل رحمته، أو أمره، أو ينزل ملك (٢).

فهذا من التحريف الذي ينكره أهل السنة والجماعة، ويرفضونه، والله قد ذم اليهود لتحريف الكلم عن مواضعه، وهذا منه.

فالرسول ﷺ يقول: "ينزل ربينا«، والأصل: أن يحمل الكلام على الحقيقة، ويؤكد الحقيقة قوله: "فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟" ... وهذا يمنع من احتمال المجاز.

هل يجوز أن يقول الملك، أو تقول الرحمه: من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له؟ فأهل السنة مجمعون على أن النزول من فعل الرب تعالى، وأنه هو الذي ينزل حقيقة، لا كنوزنا، ولا يقاس به، ونزل الالله.

١ انظر: الأحاديث الواردة في ذلك في كتاب النزول للإمام الدارقطني، ونظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني ص ١٩١ رقم (٢٠٦).

٢ شرح حديث النزول ص ١٣٨، ومختصر الصواعق ٣/١٠٠٠.
 تعالى صفة فعالة تكون بمشيتي.

والمعطاة يلبسن علی الجهال، ويقولون: هذا يتضمن أن الله يزول عن مكانه.

فهذه من الشبهات التي يشبهون بها على الأغبار، ولهذا قال بعض الأئمة: إذا قال لك الجهمي: أنا أکثر برب يزول عن مكانه.

فقال: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء(1).

ما أحسن هذا الرد المفحم: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

ينزل كيف شاء، واستوى على العرش كيف شاء، ويجيء يوم القيامة للفصل بين عباده كيف شاء، فعلًا لما يريد.

أما إذا قيل: إنه لا ينزل، لا يجيء، لا يتكلم ... فهذا تعجز وتنقص للرب سبحانه، فلذا يفعل أكمل ممن لا يفعل.

وكذلك القول في الفرح، والضحك، فيجب الإيمان بالفرح والضحك، أن الله يفرح، وفرحه تعالى يتضمن محبته بما يفرح به، ورضاه به، وعنه.

يفرح كما في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن النبي ﷺ.

(1) القائل هو الإمام الفضيل بن عياض ﷺ. انظر: خلق أعمال العباد ص17، والإبانة لابن بطلا (الرد على الجهمية) 3/2055، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة 2/502.
ظفح مفاهيم الحقيقة الواسطية

(1) يفرح حقيقة، لكن لا كفرح العباد، إذا فستنا فرح العباد بأنه: لذا وسرور بالمحبوب أو نحوه، فهذه صفة المخلوق، فاللذة لا تضيفها الله، لكنه فرح يتضمن المحبة.

وقوله: «الله أشد فرحًا بتوية عبده». هذا يتضمن أن الله يحب توبة النادرين، بل يفرح بتوية النادرين، فالفرح إذا صفة يجب إثباتها له تعالى، وأنها لا تماثل فرح المخلوق، ولا نعلم كنهها، وكيفيتها.


وإذا كان العلم بالكيفية مستحيلا، فلا يجوز التفكر فيه، كالتفكير في كيفية نزول الله، أو فرحه، أو ضحكه؛ لأنه لا

(1) تقدم تخريجه في ص 158.
سبيلاً إلى أن تعلمها، فلا تفكر ولا تتخيل، بل آمين وأثبت ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية.

وأما الحديث الرابع: فهو حديث قال عنه الشيخ: إنه حديث حسن، رواه الإمام أحمد وغيره، وهو حديث طويل، والشيخ اقتصر على الشاهد، كما اقتصر على الشاهد في الحديث الثاني.

قوله ﷺ: "عجب ربنا من قنوط عباه وقرب غيروه، ينظر إليكم أزلين قنطين، ففيه يضحك يعلم أن فرجكم قريب" (1).

الشاهد منه في هذا المقام: "فيه يضحك" وفيه دلالة على إثبات صفة العجب، و الضحك، و النظر، لكن العجب والنظر ثابتان في القرآن كما تقدم، وإن كان العجب لم يمر في الشواهد التي ساقها المؤلف لكنه ثابت.

ومن الأدلة القرآنية على إثبات العجب قوله تعالى: "عَجَبَتْ وَيُثْرَرَتْ (الشامات) في قراءة صحيحة سبعية (2)، فالضمير في "عَجَبَتْ" يعود لمن؟ إلى الله تعالى، كما دل على صفة العجب قوله تعالى: "وَإِنَّ عَجَبٌ فَعَجَبُ قَوْمِهِ أُذُنَا كَأَنْ تَرِبَ أَمَا أَنَّى لَهُ خَلَقُ جَبِيلٍ" (الزمر: 5).

ووهذا الحديث - كذلك - من الأدلة على إثبات صفة

(1) تقدم تخرجه في ص 109.
(2) هي قراءة حможة، والكسائي، وخلف العاشر، التيسير للدلاني ص 186، وسراج القارئ للقاضي ص 334، النشر لابن الجزري 2/356/2.
العَجْب، فهو تعالى يوصف بالعَجْب على المنهج المقرر: "إِثْبَات
مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية".
وليس عجبه - تعالى - لجهله بالأسباب، فهذا شأن
المخلوق الذي يعجب - أحيانا - لجهله بالسبب، كما يقال:
(إِذَا ظهر السبب بطل العجب) هذا في عجب المخلوق، أو في
بعض عجب المخلوق.

"من قنوط عباده" القنوط: شدة الياس.
"ينظر إليكم أزلين" والأزُل: الشدة، والأزُل: هو الذي قد
بلغت به الشدة حدا بعيدا، واستولى عليه اليأس، فالأزُل والقَيْط
معناها متقارب.

"ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك بعلم أن فرجكم
قريب" مع قرب الفرُج، وقرب تغيير الله للأحوال من الشدة إلى
الرخاء، من القحط إلى الخصب، في هذا الظرف الله تعالى
يعجب لهذه الحال، فيظل يضحك كَيف شاء، فإن العباد إذا
طالَت عليهم الشدة استولى عليهم اليأس، واشتد، وآل بهم الأمر
إلى القنوط، كما قال تعالى: "اللَّهُ أَلَّمْ يُسَلِّمُ أَلَّهَمُ أَيْتُمُّ سَحَابًا
فيسبطُهُ في السماَءُ كَيْفُ يَشْأُهُ وَيَمْلِكُهُ مَثْلًا فَتَرَى الْوَدْدُ يَخْفُجُ مِنْ خَلْيِهِ
فَإِذَا أَصَابَهُ بِمَذِيبٍ أَمَّنْ يَسْتَبْيِعُونَ وَإِنْ كَانُوا مِن
قَبْلِ أَن يُبْلِكُوا عِلْمَهُ مِنْ يَقِيِّهِ لَمْ يَسْتَبْيِعُونَ قَانُونَ إِلَى مَاتِرِكَ حَمَّتَ آلِلِهِ
كَيْفَ يَهِي الأَرْضُ بَعْدَ مُوْهُبَا إِنَّ ذلك لَسْتَيْنِي النَّبِيُّ وَهُوَ عَلَيْ كُلِّ شَيْءٍ"

وفي هذا الحديث إثبات الرجول، والقدم له، وأهل السنة يثبتون الله ما جاء في هذا الحديث على حقيقته، كما يثبتون سائر الصفات، كاليدين والعينين له، ويقولون: إن له تعالى قدمين، كما جاء في الآثر المشهور عن ابن عباس في تفسير الكرسي: أنه موضوع القدمين. أي: قدمي الرب.

والقول في القدمين واليدين واحد، لا مجال للتفرقة، وأهل السنة لا يفرقون، وأهل البدع لا يفرقون! كيف ذلك؟ أهل البدع ينفون كل هذه المعاني، كما ينفون حقيقة نزوله.

(1) تقدم تخرجه في ص 159.
(2) السنة لعبد الله بن أحمد/1301، وصحبه ابن خزيمة في التوحيد ص 107، والحاكم 2/82، والضياء في المختارة 2/110، وقال العلامة الأزهرى في تهنيب اللغة 1/13: الصحيح عبد الله بن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره، عن عمار الدهني، عن مسلم الطيبي، عن سنيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: "الكرسي موضوع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره". وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، وليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار. وانظر: فتح الباري 8/199، وانظر: ص 53 من هذا الكتاب.
وإستواه، وينفون حقيقة الفرح، والضحك، والعجب، وينفون اليدين، والعينين، والوجه، والقدم، ينفون ذلك كله؛ لأن مبدأهم أن إثبات الصفات لله يستلزم التجسيم، والتشبيه، وما أشبه ذلك.

 ثم إن كانت نصوصا قرآنية لا يمكن أن يدفعوها بعدم الثبت، يقفون منها - كما تقدم - (١) أحد موقفين:

إما التفويض بأن يجروها ألفاظا من غير تدبر ولا فهم لمعناها، زاعمين أنها لا يفهم منها شيء.
أو التأويل بحملها على معان بعيدة.

أما الأحاديث (٢) فالأمر عندهم فيها أوسع، فإنها إن كانت آحادا قالوا: هذه آحاد، ودفعوها من أول الأمر دون أن ينظروا فيها، أو يحكموا على منتها بتقويض أو تأويل.

إذن كانت متواثرة وقفوا منها موقفهم مما جاء في القرآن، كالجمهوية، والمعتزلة، والأشاعرة، هذه الطوائف تتفق على نفي هذه الصفات التي دلت عليها السنة الصحيحة عن النبي ﷺ، كما نفوا ما جاء في القرآن.

فبالنسبة للفرح، والضحك يمكن أن يفسروه بالرضاء، ثم الرضا له تفسير معروف عند نفاية الصفات وهو: إرادة الإحسان.

(١) ص: ٨١ و١٢٨.
(٢) انظر: ص ١٦٥.
وأو نفس الإنسان بما يخلقه الله من النعم.
ويفسرون الغضب: بإرادة الانتقام، أو هو نفس الانتقام بما يخلقه الله من العقوبة.

أما الرجل فالذين يؤدلون يقولون: المراد بالرجل الجماعة من قول العرب: رجل من جراد، فالمراد جماعة من أهل النار.
لا تزال جهنم يلقي فيها حتى يلقي الله تعالى عليها جماعة من أهل النار، وفوجا كثيرا حتى يغطيها ويلاءها بها.

وهذا خلاف ما فهمه السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وخلاف ما يدل عليه السياق، ثم إن رواية «عليها قدمه توضح، وتدعف هذا التحريف.

ومضمون هذا الحديث قد جاء أصله في القرآن: 

قُلْ: يَبْنِي عَبْدَ اللَّهِ فِي ُهْلِ الْيَوْمِ ۖ حَلَّ مِنَ الْمَيْزِيدِ {٩َ٦}.

فهذة الآية شاهدة لما أخبر به الرسول ، وكلام الله، وكلام رسوله يصدق بعضه بعضًا، لا تزال جهنم يلقي فيها يعني أهلها، «فَمَا أَلِقَ فِيهَا فَجَعَلَهَا سَفَاطًا حَرَّتُهَا أَلْلَهُ يَبْنِيَدُ نُورًا» [الملك: 8], أهل جهنم يلقوون فيها إلقاء، ويطرحون طرحا، «فَأَهْلُ يَلِينَ فِي الأَنَارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِينَ عَليْهَا يُوْمَ الَّيْتِمَةَ» [الخصط: 40].

قدمه فينزوي بعضها إلى بعض) أي: تنضايق فتمتئ، وتقول:
"قط قط"، يعني: يكفي يكفي، نعوذ بالله من النار.
وفي هذا تحقيق لوعده؛ فإنه قد وعد الجنة والنار
بملتهما؛ إذ قال للجنة: "أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وقال
للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكن واحدة منكما
ملوها"(1).
فإذا دخل أهل
الجنة يبقى فيها فضل، فهي واسعة مع كثرة من يدخلها من عباد
الله، ومع ذلك يبقى فيها فضل، فينشئ الله لها أقواما، فيسكنهم
الجنة برحمته(2)، أما النار فإنه لا يعذب بها إلا المستحقين
لعذابه، نعوذ بالله من عذاب الله.
فالمقصود: أن هذه الصفات التي تضمنتها هذه الأحاديث كلها
إنما ثبت بالسنة، وليس في القرآن - فيما أعلم - ما يدل عليها.
أما ما بعد هذه الأحاديث إلى آخر ما أورده الشيخ، فكلها قد
دلت على صفات دل عليها القرآن: كالتكلم، والعلم، والمعية،
والسمع، والرؤية، وإثبات بعض الأسماء: كالأول، والآخر،
والظاهر، والباطن، والسميع، وغيرها، والله أعلم.

(1) رواه البخاري (850) ومسلم (2846) من حديث أبي هريرة.
(2) هذا جزء من الحديث الذي تقدم تخريجه في ص 159: "لا تزال جهم يلقى
فيها..."
رؤية المؤمنين لربهم سبحانه، ووسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق

وقوله: "إنكم سترون ربيكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها [فافعلوا]". متفق عليه.

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله عن ربه بما يخبر به.

فإن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثل.

بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله، بين أهل التعطيل الجهمية، وبين أهل التمثيل المشهبة.

وهم وسط في باب أفعال الله بين القدرية، والاجبرية.

وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية: من القدرية وغيرهم.

(1) سقطت من ب.
(2) رواه البخاري (485)، ومسلم (133) من حديث جرير بن عبد الله.
وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتنزة، وبين المرجئة والجهمية.
وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض وبين الخوارج.

الشعل

لاحتَظ أن المؤلف ختم أحاديث الصفات بحديث الرؤية، كما ختم ما أورده وذكره من آيات الأسماء، وصفات بالآيات الدالة على رؤية الرَّب تعالى، تدرك أن الشيخ تعمد هذا الترتيب، وكأنه إشارة إلى أن الرؤية هي التي ينتظرها المؤمنون، وهي محققة للمؤمنين الذين آمنوا بالله، وما أخبر به في كتابه، وأخبر به رسول الله ﷺ مما وصف الله ﻷه نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

أحاديث الرؤية من الأحاديث المتواترة(1)، فرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب، وبالسنة المتواترة، وإجماع الصحابة، ومن تبعهم بإحسن، وهم الفرقة الناجية(2).

يقول الشيخ: «إلى أمثال هذه الأحاديث» يعني: هذه نماذج، وإلا فأحاديث الصفات التي بُيّن فيها الرسول ﷺ أسماء ربه، وصفاته، وأفعاله كثيرة جدا لا حصر لها.

فإن الفرقة الناجية المنصورة - أهل السنة والجماعة - يؤمنون

(1) انظر: رؤية الله للدارقطني، وحادي الأرواح ص ٣٣٧، ونظم التنافر من الحديث المتواتر ص ٢٥٠ رقم (٢٠٧).
(2) تقدم الكلام على الرؤية في ص ١٥٢.
توضيح مقاصد الحقيقة الواسطية

بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، لا يفرقون بين ما جاء في القرآن، وما جاء في السنة؛ بل يؤمنون بهذا كله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، كما تقدم ذكره.

يقول الشيخ عن الفرقة الناجية إنهم: "وسط في فرق الأمة" الفرقة الناجية هي الوسط في فرق الأمة، والوسط: العدل الخيار، كما أن هذه الأمة وسط في الأمم، قال الله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَسَطُّا [البقرة: 143] أي: عدولا خيارا، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، ولا تقصير، ولا تجاوز، اعتدال، واستقامة، والوسطية تحقق الاستقامة، والاستقامة هي: لزوم الصراط المستقيم، فلا انحراف هنا، ولا هناك، كما أن الأمة المحتمية التي تحقق لها الإيمان بالله ورسوله، ولم تأت بما تخرج به عن الإسلام وسط في الأمم، وإن كان لبعضهم ذنب وأخطاء، وعند بعضهم بدعا.

لكن ما دام أنه قد تحقق لهم الإيمان ظاهرا وباطنا، ولم يأت أحد منهم بما يخرج به عن الإسلام، فإنه من الأمة المحتمية التي بُثت لها هذا الوصف بحسبها، فكل من كان أتم استقامة كان حظه من الوسطية بحسب ذلك.

المقصود: أن الشيخ يقول: "إن الفرقة الناجية - أهل السنة."
والجماعة - وسط في فَرَق الأمة، كما أن الأمة وسط في الأمم، ثم يفصل ذلك في مسائل يقول: "فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التتعطيل الجهمية، وأهل التتمثيل المشبهة"، أهل التتعطيل ينفون صفات الرب، ويعطلون الرب عن صفات كماله، ويعطلون النصوص عما ذلت عليه من الحق، وشرهم الجهمية إذ ينفون الأسماء والصفات، ويدخل فيهم المعتزلة، فإن لفظ الجمعية إذا أطلق يتناول المعتزلة، ويقابلهم أهل التتمثيل، الذين يمثلون صفات الرب بصفات الخلق، يقول أحدهم: له يد كيدي - تعالى الله -، وسمع كسمي، وبصر كصري، وهكذا، فهو أهل التتمثيل.
وكلا المذهبين ضلال وكفر، كما قال الإمام نعيم بن حماد(1) "كنعك: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه"(2).

فأهل السنة يثبتون الله ما أثبته لنفسه بلا تعطيل؛ خلافا

---

(1) نعيم بن حماد الخزاعي، الإمام العلامة، صاحب التصانيف. كان صلبا في السنة، شيدا على الجهمية، روى عن ابن المبارك، والفضل، وابن عيينة، وغيرهم. روى عنه يحيى بن معين، والبخاري، وأبو داود، وغيرهم. قال الخطيب: إن أول من جمع المسند وصنفه نعيم. توفي عام 627 هـ.

(2) تاريخ دمشق لأبن عساكر 22/163 ، والعلو للجهني 1093/2.
لمعطلة، فإن المعطلة غلوا في التنزيه، وزعموا أنهم ينفون الصفات عن الله حذراً من التشبه، فغلوا في التنزие، فأفضى بهم ذلك إلى التعطيل، وفروا من تشبهه، فوقعوا في تشبه أقبح.

وقولنا: بلا تشبهٍ معناه ينزهون عن النقائص والعيوب خلافاً للمشبهة، أعني: أهل التمثيل الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن المعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنناً لأن نفي جميع الصفات يستلزم نفي الذات.

والمشبه الذي يقول: الله سمع كسمعي، وبصر ك بصري، ليس هذا هو الله الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواء.

فأهل السنة وسط يثبتون الله الأسماء والصفات، وينزهونه عن كل ما لا يليق به إثباتاً بلالا تشبه، وتنزيهاً بتعطيل، فهذه وسطيتهم، فكانوا بريئين من الإفراط والتفرط، وسائر الانحرافات والضلالات التي وقع فيها من خالفهم.

ثانياً: وأهل السنة وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية.

الجبرية يقولون: لا فعل للعبد، بل كل الأفعال أفعال الله، فالعبد لا فعل له، والله هو الفاعل لكل شيء.

وعلى مذهب الباطل الخبيث يكون الله هو الفاعل لأفعال
العبد، بمعنى أنه هو الموصوف بها، فهو المصلي، والصائم، والأكل، والشراب... ونحوها.
فلا فعل للعبد عنهم، ولا إرادة ولا مشيئة، وحركاته لا اختيار له فيها، بل مثله مثل الريشة في مهب الريح، وحركته كحركة الأشجار، وحركة المرتعش، والعروق النابضة.
ويقابلهم القدرة، ومنهم المعتزلة، ينفون القدر، والجبرية يثبتونه، لكنهم يغلون في الإثبات.
وأما القدرة فيراد بهم - في الغالب - النفاة الذين يقولون:
إن الله تعالى لا يقدر على أفعال العبد، بمعنى: أن العبد يخلق فعله، فتصرف دون مشيئة الله، ودون قدرته، فهذا لا يقدر أن يجعل هذا مؤمناً وهذا كافراً، ويجعل المطيع عاصياً أو العاصي مطيعاً، أو الكافر مؤمناً أبداً.
فالعبد يفعل بإرادته المحضة المطلقة المنقطعة عن مشيئة الله، وعن قدرة الله، فينفون عموم المشيئة، وعموم الخلق.
وأهل السنة والجماعة بين ذلك، وسط في أفعال الله، فيقولون: إنه تعالى خالق كل شيء، فجميع ما في الوجود خلقه، فهو تعالى خالق السماوات والأرض ومن فيهن، وهو خالق العبد، وخلق قدرتهم وإرادتهم، وخلق أفعالهم، {الله خلق كُل شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ وَكَبِيلٍ} [البقرة: 111] و{وَلَدَّنَا هُدًى لِّلْأَرْضِ} [الكافرون].
ولكن للعبد فعل، ففعال العباد ليست أفعال الله، العبد هو المصلي والقائم، والراكع والساجد، والأكل والشراب، والصادق والكاذب، والظلم والسارق، وهكذا.

العبد هو الذي يوصف بهذه الأفعال، هي أفعال للعبد، لكنها واقعة بمشيئة تعالى وبقدرته، وهي مفعولة له ليست فعلًا له، المفعول غير الفاعل، المفعول: هو الشيء المصنوع المنفصل عن الفاعل.

وأما الفعل فمن شأنه أن يقوم بالفاعل.

وقد تقدم أن الذين ينفون صفة المحبة والرضا، والغضب والسخط عن الله، يفسرها بعضهم بأشياء منفصلة، - مفعولات - بالنعم، والعقوبات المخلوقة.

إذاً: أهل السنة والجماعة وسط في أفعال الله، بين الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبور وليس له إرادة ولا اختيار ولا فعل، وإضافة الأفعال إليه إضافة مجازية، وإلا فهي في الحقيقة أفعال الله، لكن الفعل عندهم هو المفعول فليس هناك إلا الفاعل والمفعول ليس هناك فعل يقوم به؛ لأن من الممتنع عنهم قيام الأفعال الاختيارية به.

و القدرية النفرة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعله، وإنه لا تتعلق لمشيئته الله، ولا لقدره بأفعال العبد.

(1) ص: 73 و 79 و 86.
فأهل السنة يثبتون القدر، ويعترفون بكل مراتبه، ويتبعون بالشرع، ويثبتون فعل العبادة، فتخالفوا بذلك الجبرية والقدرية، وكانوا وسطا بين الطائفتين الضالتين المنحرفتين.

ثالثا: أهل السنة وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والجهمية، وبين الوعيدة من الخوارج والمعتزلة.
فالخوارج والمعتزلة وعيدية، والجهمية مرجئة.
فأهل السنة في باب الوعيد - والمراد بالوعيد: الوعيد بالعذاب والعقاب لأهل كثير الذنوب من الموحدين، كما توعد الله القاتل، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، و من فر من الزحف، وقاذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وما أشبه ذلك من نصوص الوعيد - وسط بين المرجئة الجهمية، والوعيدة من الخوارج والمعتزلة.

فالمرجئة نظرتهم إلى الوعيد ضعيفة؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق فقط، أو المعرفة فقط، ويقولون قولهم المشهورة: «إنه لا يضر مع الإيمان ذنب؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة»، إذاً؛ انطفى الوعيد، ليفعل المسلم ما يشاء، ولا يخفف!

هذه نظرية المرجئة إلى وعيد الله نظرية تهونين، وتهاون، وغفلة، وإعراض، ولا يقيمون له وزناً.
أما الوعيدة - وهم الخوارج والمعتزلة - فيقولون: إن الوعيد الذي توعد الله به العصاة حتمي، فمن مات مصرًا على كبيرة، فلا بد له من دخول النار، وإذا دخل النار فلا بد له من الخلود فيها.

وهم يتفقون على تخليد مرتكب الكبيرة في النار.

وأهل السنة والجماعة وسط في هذا المقام، يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة من الوعيد، مما توعد الله من عصاة وخلاف أمره.

ويقولون: إن هذا الوعيد متعلق على المشيئة، فالعاصي إذا مات فهو تحت مشيئة الله؛ لقوله تعالى: «إن الله لا يَغْفِرُ أن يُشْرِكَ وَيَغْفِرُ مَا ذَٰلِكَ إِلَّا لِكَيْسَةً» [(النساء: 48)]، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وإن عذبه بالنار؛ فما له到最后 من المؤمنين من النار.

فيقولون: إن مرتكب الكبيرة مستحق للوعيد، ومتعرض للوعيد، ولا بد أن يعذب الله من شاء من مرتكبي الكبيرة، خلافاً للمرجئة الجهمية.

ويقول أهل السنة: إنه تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن

(1) انظر: قطع الأزهار المتاذرة ص 303 رقم (112)، ونظم المتناثر ص 52 رقم (308)، وص 230 من هذا الكتاب.
شأء عذبه، ثم يخرج من النار خلفا للخروج والمعتزلة.
و يقولون: نصوص الوعيد تُمَّرَ كمما جاءت، ولا تحرف، وإن كانت كل نصوص الوعيد على الذنوب مقيدة بقيد متفق عليه، وهو نصوص التوبة، فكل من تاب من الذنب تاب الله عليه.
ومقيدة بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ نَفْسًا يُشَرَّكَ بِهِ وَيُلْفِقُ ما
دُوْتَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (النساء: 116).
ومقيدة بنصوص خروج المحتضنين من النار.
ورابعا: أهل السنة والجماعة وسط في أسماء الإمام والدين بين الحورية والمعتزلة، وبين المرجحة والجهمية، هذا التقابل قريب، ومرتبط بالذي قبله، التقابل بين الطائفتين المتطرفتين المنحرفتين واحد.
أهل السنة والجماعة وسط في أسماء الإمام والدين، وهي:
الأسماء الشرعية التي ترجع إلى حال الإنسان في دينه: مؤمن، مسلم، تقي، صالح. وكذلك: كافر، منافق، فاسق، عاص، هذه هي أسماء الإمام والدين، فأهل السنة وسط في هذه الأسماء التي تتضمن، وتستبع أحكاما ذنبية وأخورية.
وسط في باب أسماء الإمام والدين، أو في باب الأسماء والأحكام، بين الحورية، وهو: اسم للخروج نسبة إلى الموضوع الذي خرجوا فيه: حرورة (1). - والمعتزلة، وبين

(1) قيل: قربة بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها. معجم البلدان 2/245.
المراجعة والجهمية، هذا الانقسام يتعلق أيضاً بمرتكب الكبيرة.

لكن القضية الأولى: يتعلق بحكم الوعيد في الآخرة، وقد علمنا حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة عند أهل السنة، وعند الخوارج والمعتزلة، وعند المراجعة والجهمية.

والثانية: حكمه في الدنيا؛ فالحرورية يقولون: إن مرتكب الكبيرة كافر، يخرج عن الإيمان، ويدخل في الكفر، ويكون مرتداً كافراً خلال الدم، والمال.

والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن، ولا كافر، وهذا أصل من أصولهم، كما أن من أصولهم إنفاذ الوعيد - يعني - حتمية وقوع ما توعد الله به من عصابه.

وأما المراجعة فيقولون: العاصي مؤمن كامل الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق، فكل من كان مصدقاً ببرويته تعالى، ومصدقاً برسالة النبي ﷺ؛ فهو مؤمن كامل الإيمان.

انظر إلى التقابل والتناقض؛ الخوارج يقولون: كافر، والمعتزلة قالوا: هو في منزلة يخرج عن دائرة الإيمان، وليس بمؤمن، والمراجعة يقولون: بل هو مؤمن كامل الإيمان.

وأهل السنة بين ذلك، يقولون: من أظهر الإيمان وأبطن الكفر؛ فهو منافق، ومن ارتكب كبيرة من كبار الذنوب وأصر عليها؛ فهو فاسق، وهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرة، مؤمن ناقص الإمام، فلا يسلبون عنه مطلق الاسم، ولا يعطونه الاسم
المطلق يقولون: مؤمن ناقص الإيمان(1).

إذاً صاروا وسطا في مركب كبيرة - وهو موحد، ولم يأت بنافق - يقولون عنه: عاص فاسق ناقص الإيمان، لا يقولون: مؤمن كامل الإيمان، ولا يقولون: كافر، ولا يقولون: إنه في منزلة بين المنزلتين.

وبهذا تظهر وسطيتهم، ويظهر تطرف من خلفهم، فالحرورية والمعتزلة في طرف، والمرجئة في طرف، هؤلاء هم المتطرفون حقا، أما أهل السنة فهم عدل خيار وسط، لا إفراط ولا تفريط، أهل عدل في أحكامهم، وأقوالهم، وأفعالهم.

خامساً: أهل السنة وسط في ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ فقد اختلقت فيهم الفرق، ففريق غلوا، وفريق جفوا، وفريق توسطوا.

فأهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فإن الرافضة يغلون في آل بيت النبي ﷺ يغلون في علي بن أبي طالب ﷺ، وفاطمة بنت النبي ﷺ وذرريته منها، ويتجاوزون فيما الحد.

وأما الخوارج فإنهم يكفرون كثيرا من الصحابة، ومنهم علي ﷺ، فكانوا مع الرافضة على طرفي نقيض.

(1) انظر ص 248.
فالخوارج هم شر النواصب؛ لأن الطائفة الناصبة نصبوا العداء لأهل بيت النبي ﷺ، وخيرهم مطلقًا علي ﷺ. والرافضة مع غلوبهم في علي ﷺ وذريته نصبوا العداوة لخير هذه الأمة بعد نبيها، لأبي بكر، عمر، عثمان، وجمهور الصحابة ﷺ، ولا يستثنون إلا نفرا قليلاً.

فهم شر من الخوارج؛ لأنهم شاركوا الخوارج في نظر ما ضلوا وانحرفوا فيه من أمر الصحابة، وزادوا عليه، فالرافضة شر، والخوارج خير منهم بكثير (1)، فالذي يبغض - مثلًا - علية، أو يكفره أهون ممن يبغض أبا بكر، ويكفره، وإن كان الكل ضالا منحرفاً زائغاً عن سبيل الحق.

فأهل السنة وسط، يحبون أصحاب رسول الله ﷺ، وينزلونهم منازلهم، ولا يبغضون أحدا منهم، ولا يثيرون من أحد منهم، ولا يذكرونهم إلا بال جميل، وبينغضون من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم.

و ينزلونهم منازلهم، ولا يغلون في أحد منهم، كما صنعت الروافض، ولا جفاء كما صنعت الخوارج، والله المستعان.

من الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بعلومه ومعيته

وقد دخلك فيه ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليه على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله: {هْوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَنَةٍ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجَاءِ ۛ يَلِعَّنَٰ فِيهَا وَمَا يَجَزَّى يِبَّنِيهَا وَمَا يَعْمَالُ فِيهَا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْخَلِیقُ} [الحج: 1]. وليس معنى قوله: {وَهُوَ مَعْلُومٌ} أنه مختص بالخلق، فإن هذا لا يوجب اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق؛ بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المساقر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش قريب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني روبيته. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - من أنه فوق العرش وأنه معنا - حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحرير، ولكن يصان عن الظنين الكاذبة، {مثل أن يظن أن ظاهر قوله في آية الله} [الملك: 116] أن السماء تقله، أو تظل، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان.
فإن الله قد وسعت كرسيه السماوات والأرض، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره[1].

الشرع

هذا فصل خصصه الشيخ لتحرير صفتين من صفات الله، تقدم ذكرهما وذكر أدلتهما من الكتاب والسنة[2]. وهم: علوه تعالى على خلقه واستواءه على عرشه، ومعيته لعباده، ولكنه خصص لهائين الصفتين فصلاً خاصاً: لوجود الاضطراب في هذا المقام، وكثرة الاتشبة في هذا الأمر.

ذكر الشيخ: أن من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر به في كتابه، وتوافر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا كما في آية الحديد، فإن الله تعالى قد جمع فيها بين الأمرين: بين ذكر العلوج والمعية: هو الله الذي خلق السماوات والأرض في سبعة آيات ثم أسأر على النجوم يعلو ما يليج في الأرض، وما يجري منها وما ينزل من السماء وما يجري فيها وهو مكرر أينما كشمت وله ما تحلل من بشر [الמטי].

فمن الإيمان بالله: الإيمان بعلوته تعالى، وفوقيته على خلقه.

(1) زيادة من: م.
(2) العلوج والمعية ص 130 والاستواء ص 123.
وإذًا: هاتان الصفتان ثابتتان بالكتاب، والسنة، والإجماع، ولا منافاة بين هاتين الصفتين؛ فإنّه تعالى مع علويه على خلقه وعذابه على عرشه هو مع عباده، مطلع، ورقيب، ومهمٍّ عليهم، لا يخفى عليه شيء من حالهم وأمرهم.

والمعية التي وصف الله بها نفسه - ويجب إثباتها له - لا تقتضي أن يكون الله مختلطًا بالخلق، وحالًا فيهم - تعالى الله عن ذلك -.

يقول الشيخ: «فإن هذا المعنى الباطل لا توجبه اللغة»، المعية لا تقتضي اختلاطًا، ولا حلوًّا، فاللغة لا توجبه، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، فالذين لم يفهموا من معنيه تعالى لعباده إلا أنه مختص بهم حال فيهم حتى قالوا: إنه في كل مكان! هؤلاء خارجون عن موجب اللغة، مخالفون لما أجمع عليه سلف الأمة، ومخالفون لما تقتضيه الفطرة السوية.

ومعية المخلوق للمخلوق لا تقتضي اختلاطًا وحولًا، ومثاله: هذا القمر، فوق حيث شاء، بعيد، وقيل: إنه معنا مع المسافر وغير المسافر، وهو في مكانه، فإذا كانت معية
الخلق لم يكن للمخلوق لا تقتضي اختلالاً، فكيف بمعية الخالق للمخلوق؟!

يعجب أن علم أن ما وصف الله به نفسه من علوه ومعيته، وفوقته ومعيته أن كل ذلك حق على حقيقته.

الله تعالى مستو على عرشه حقيقة، عال على خلقه حقيقة، وهو معنا حقيقة، وليس في قولنا: إنه معنا حقيقة ما يتضمن الحلوول، هو معنا حقيقة على ما يلبق به، ويناسبه ويختص به، فهو حق على حقيقته.

يقول الشيخ: «لا يحتاج إلى تحريف وصرف له عن ظاهره»

الله تعالى نفسه معنا، وهو فوق سماواته مستو على عرشه، وهو سبحانه معنا يرانا، ويسمعنا، وعلمه محيط بنا مما يحكمون من تجوى للشمس إلا هو رفعهم، ولا حسبية إلا هو سأدهم ولا أذى من ذلك.

ولا أكثر إلا هو متعه أعلى ما كافوا» [المجادلة: 7);

يقول المؤلف: «ولكن يصان عن الأزل الكاذبة» ما يثبت الله من الفوقية - من كونه في السماء - يجب أن يصان عن الأزل الكاذبة، مثل: أن يظن أن معنى أن الله في السماء في داخل السماء تقله، وتحمله، والسماء الأخرى تظه - تعالى الله - فهذا ظن كاذب، وسوء ظن بالله، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، فإن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن معنى في السماء يعني في العلو فوق جميع المخلوقات، فهو الظاهر الذي
ليس فوفح شيء.

وكل ذلك المعاني يجب أن نتصان عن الظن الكاذب؛ كذنن الحولون الذين يقولون: معنى أنه معنا: أنه في كل مكان حلال في الأشياء في داخل الغرف، في داخل الأمكنة المستحبة، حلال في كل شيء - يعني - أشبه ما يكون بالهواة الذي يملأ الفراق تعالي الله علما يقول الظلمون، والجاهلون، والمفترون علوا كبيرا، سبحان الله علما يصفون.

ويشير الشيخ إلى الدليل الدال على امتتناع أن يحيط به شيء من مخلوقاته، فإنه سبحانه العلي وهو العظيم الذي لا أعظم منه، فالملحقات كلها في قبضته، وَهَٰذَا قَدْ رَوَىَ أُلُولُدَنَّ أَلَّهَةُ قَدِيرٍ وَالْأَرْضُ جَيْمًا قَضَاهُ يَوْمَ الْيَمِينَةٌ وَالْسَمْوُاتُ مَطْوَىٰٗ بِيْسَمِينََٰهَا [البراء: 27]، وهو العظيم الذي يُوعَّيْ كَرِيْسِيِّهِ الْسَمْوُاتُ وَالْأَرْضُ [التوبة: 250] وهو الذي يُشَیِّفُ السَّمْوُاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَرَوْلَا [ تعالى: 41]، وَمِنْ البَيْنِيَّةِ أَنْ تَفْحَمَ السَّمْوُاتُ وَالْأَرْضُ يَأْمُرُهُ [النور: 24] فهذه العوالم كلها في قبضته تعالى يدبها كيف شاء.

وهذا الفصل ينبغي حفظه؛ لأن فيه عبارات جيدة تتضمن بيان ما يجب انتهائه والثبات عليه من إثبات هاتين الصفتين: العلو والمعية، والإيمان بذلك من الإيمان بالله، وبكتابه، ورسوله

- - -
لا منافاة بين علوه وفوقيته، وقربه ومعيته

ودخل في ذلك: الإيمان بأنه قريب من خلقه [مجيب(1)] كما قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتَ هُمْ عَنِّي فَأَنْفِقْ فَأَنفِقْ » (البقرة: 67) وقال النبي ﷺ: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدهم من عتق راحلته»(2). وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه، ومعيته، لا ينافي ما ذكر من علوه، وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو ملك في دنه، قريب في علوه.

(الشع) هذا الفصل متمم للذي قبله، ولهذا يقول: فقد دخل في ذلك يعني - فيما تقدم من الإيمان بعلوه ومعيته الإيمان، بأنه قريب - مجيب قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتَ هُمْ عَنِّي فَأَنفِقْ فَأَنفِقْ » (البقرة: 67) فلله تعالى موصوف بالعلو والفوقية، كما أنه موصوف بالقرب وبالمعية، وكل من هذه المعاني ثابت بالنصوص من الكتاب والسنة، ولا منافاة بين علوه وفوقيته، وقربه ومعيته، هو فوق جميع المخلوقات مستو على

(1) زيادة من م.
(2) تقدم تخرجته في ص. 162
عرشه، وفي نفس الوقت هو مع عباده، وهو قريب من الداعين والعبادين، و هذا الفصل مكمل أضاف إليه مسألة القرب، والكلام فيها مع العلو يشبه الكلام في المعية مع العلو، والله المستعان.
اعتقاد أهل السنة في القرآن

ومن الإيمان به وكتب الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم [به] حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد هو: كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكايّة عن كلام الله، أو عبارة، بل إذا قرأ الناس، أو كتبوه في الصحابة لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدأ لا إلى من قاله مبناً مودياً [وهو كلام الله، حروفي ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف].

الشرح

هذا الفصل من أعظم فصول هذه العقيدة أهمية، لأنه يتعلق بقضية كبيرة ألا وهي: مسألة كلام الله التي اضطراب فيها الناس، واختلاف فيها أهل الضلال، وهدى الله إلى الحق فيها أهل السنة والجماعة، و هذه المسألة هي التي نشأت عنها الفتنة الكبرى - فتنة القول بخلق القرآن، والمحنة بذلك - في خلافة

(1) لا توجد في م.
(2) زيادة من م.
المأمون(1) حتى حمل الناس على هذه البديعة بالقوة، وامتحن العلماء، وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل.

يقول الشيخ: "ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله" القرآن الكتاب المبين الحكيم العظيم، هذا القرآن هو كلام الله؛ كلامه حقيقة تكلم به سبحانه حقيقة وسمعه منه جبريل، وبلغه إلى محمد محمد، وذكر لبني آدم والملائكة على ذلك يكمن من المرجعين. ينزل به الرُّوحُ الأُليمُ على عُليِّكم الذين يُؤُتِّهَا الشَّمَراءُ، كلام الله حقيقة، وهذا هو المعتق، فكل عاقل إذا سمع إضافة الكلام إلى متكلم عقل أنه كلامه، وقال: هذا كلام
فلا
فالقرآن العظيم هو: المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، وهو محفوظ في الصدور. بل هو ما أثبت في صدور البيت أبو خزيمة. [التكبيرة: 49].

يقول الشيخ: "القرآن كلام الله منزل" قال تعالى: "نزل

(1) هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد العباسي، ولد سنة 170، وقرأ العلم والأدب، والأخبار، والعقائد، وعلوم الأولائل، وأمر بنصيب ركبتهم، ودعى إلى القول بخلق القرآن، بوضع بالخلافة في أول سنة 198. ومات سنة 218. ه. سير أعلام النبلاء 272/10.

198
فإن الكلام صفة الله، والقرآن من كلام الله تكلم به سبحانه، منزل غير مخلوق خلافا للجهمية والمعتزلة ومن شابههم من الفقهاء بأن هذا القرآن مخلوق، والله لا يتكلم فالفقرآن ليس كلامه حقيقة، وإن أضيف إليه فهو من إضافة المخلوق إلى خالقه، ويجعله القرآن كلام الله؛ لكنه ليس على معنى أنه تكلم به: بل على معنى أنه خلقه، وقد صرح الله بإضافة القرآن إليه، وأنه كلامه: 

" кварان أحدمن المسلمين Aristarkhan "

حتى يسمع كلام الله" (القوة: 1). 

فسيقول المعتزلون إذا انتقل القرآن إلى مخلوق، لتأخذها درونا، نِّعْمَاءً يَعْقِبُونَ أن يَقْمِيْنَا كُلَّمَهُ كَقَالَ اسْتَجَارَةً فَأَيْرَةً "من قبل" (الفتح: 15). 

يقول المعتزلة من الجهمية والمعتزلة: هذا القرآن مخلوق خلقه الله إما في الهواء، أو في نفس جبريل، أو كيفما كان(1). 

وأهل السنة يؤمنون بأنه كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق منه بدأ - أي - ظهر القرآن من الله، وسمع من الله كلاما تكلم به سبحانه كيف شاء. 

فالله يتكلم بالعوحي كيف شاء، ويتلقاء عنه من شيء من ملائكته، وجبريل هو الموكل بالعوحي كما في آيات كثيره منها:

"نزل له الثقل الأمين (الشعراء)؛ وجبريل هو الروح الأمين، بل قال سبحانه: إن شاء رسله كيف يشاء الله. على وقع عند ذي الغدير مكين" 

(1) انظر ص 142.
قول الشيخ: «وإليه يعود» يشير إلى رفعه في آخر الزمان يرفع القرآن من المصاحف والصدور; كما جاء ذلك في كثير من الآثار (1); لأنه قرب قيام الساعة يقضي المؤمنون، فلا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله (2).

وهذا معنى قول أهل السنة: وإليه يعود. إذا; القرآن هو كلام الله حقيقة لا مجازا، و الذين ينفون الكلام عن الله مطلقًا يقولون: إنه ليس كلام الله حقيقة; بل إضافته إليه من قبل إضافة المخلوق إلى خالقه.

يقول الشيخ: «ولا يجوز إطلاق القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة» هذا يشير إلى مذهب الأشاعرة، فالاشاعرة يقولون: إن كلام الله معنى واحد نفسي قديم قائم بالرب ليس بحرف ولا صوت، وأما ما يسمعه الملائكة، أو يسمعه الأنيبة، أو هذا القرآن، أو غيره من الكتب، هذه الألفاظ عبارة أو حكاية.

(1) انظر جملة منها في الدر المنثور 5/336-337، وذكر الشيخ الإسلام في مناظرة الواسطية - مجموعة الفتوى 3/174-175: أن الحافظ أبا الفضل بن ناصر، والحافظ أبا عبد الله المقدسي جمعما ما في ذلك من الآثار عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين.

(2) روى مسلم (148) عن أناس بن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله». وفي رواية: «لا تقوم الساعة حتى أحد يقول: الله الله».
قد يعبرون بهذا أو هذا، وقالهم: عبارة أي: تعبير عن كلام الله ليس القرآن كلام الله حقيقة؛ بل هو مجاز - تعالى الله عما يقول الجاهلون والغالطون علوا كبيرا - إنهم بذلك يشبهون الله بالأخرس الذي تكون في نفسه المعاني، ويعبر عنها من يفهم إشارته عن المعنى الذي فهمه منه.

ولهذا أشار الشيخ إلى بطلان قول هؤلاء بقوله: "ولا يجوز أن يقال: إن هذا القرآن حكايّة عن كلام الله أو عبارة لا بل هو كلام الله حقيقة، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغ مؤديا، فلا يقال: إن القرآن كلام محمد، هذا قول الكفار "إن هذَا إِلاّ قُولُ أَلْبَشَيْرَ" [المهرب] لا يقال: إنه كلام محمد، أو كلام بشر، أو إنه كلام جبريل؛ لأن الكلام وإن كان جبريل قد بلغه، ومحمد قد بلغه، وقد أضيف إليه مما القرآن بلغت القول: "أَنْتُمْ رُسُلُ كُلُّ مَنْ يَتَّبِعُ الرُّسُلَ" كلمة (رسول) تنبئ أن إضافة القول للرسول إضافة تبليغ، وقد أضيف إلى جبريل كما في آية التكوير: "فَإِنَّكُمْ رُسُلُ كُلٌّ مَّا تَبِيعُونَ" [التكوير]، وأضيف إلى محمد، وهو الرسول البشري في سورة الحاقة: "فَإِنَّكُمْ مَا تَبْيِّنُونَ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعَرٌ قَلِيلًا مَا يَبِينُونَ [الحاقة]."

وهو يمكن أن يقال: إنه قول جبريل ابتداء؛ ابتدأه جبريل، أو أنه ابتدأه محمد؛ لأنه قد أضيف إليهما، فلا يجوز أن يكون كل منهما ابتدأه، كلا بل كل منهما بلغه، فإضافة القرآن إلى...
جبريل الرسول من الملائكة، أو إلى محمد وهو الرسول من البشر إضافة تبليغ كما ينبغي عن ذلك لفظ رسول، إذاً الكلام ليس كلامه، بل كلام مرسيله.

ولهذا جاء التنبيه على أنه كلام الله، وقد أجمع أهل السنة على أن القرآن كلام الله؛ لأن من ينفي أن يكون القرآن كلام الله حقيقة، وأنه مخلوق فإما يقول ذلك بناء على أصله الفاسد، وهو أن الله لا يتكلم - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وتقدم (1) أن نفي الكلام عن الله تنقص لرب العالمين، وأن الله بين بني إسرائيل بطلان إلهية العجل بأنه لا يتكلم و«أَلْعَنَّ قَوْمَ مَوْسِئٍ مِّنْ بَعْضِهِمْ مِّنْ خُلْقِهِ عَلَى ٱللَّهِ حَوَّارَ ٱللَّهُ نَزَّرَ أَنْهَ ۚ لَا يَكُونُمُّ ذَٰلِكَ» [الأعراف].

وختتم الشيخ هذا الفصل بقوله: «فالقرآن هو كلام الله حروف ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف».

الجهمية والمعتزلة نفاة الكلام مطلقًا يقولون: القرآن ليس كلام الله حروف ومعانيه، بل الكل مخلوق، وأما الأشاعرة فيقولون: المعنى كلام الله، أما الحروف فهي معتبر بها عن تلك المعاني، والحق أن القرآن كلام الله حروف ومعانيه، «الله هو الذي بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الإنس والجنة» (التأبين). هذه الآية تكلم الله بها كيف
شاء، وتلقاها عنه الرسول الكريم جبريل، وبلغها للرسول الكريم من البشر محمد ﷺ.

وهكذا، فالقرآن كله من الله حقيقة حروبه ومعانيه، وهكذا سائر الكتب المنزلة هي كلامه ﷺ - يعني: قبل التحريف، قد أنزل الله على موسى التوراة، وأنزل الإنجيل على عيسى، وقرأ الله في كتابه بين الكتب الثلاثة بقوله تعالى: ﴿وَأُنْزِلَتْ الْكِتَابُ ﺑِالْحَقِّ ﻣُسْتَقِيمًا ﻟِّلْيَوْمِ ﻓَيْرًا ﻓِي ﻤَيْنٍ ﻋَنْهُ ﺍٓ لِّيَأْسِرَ ﻤَرْبَدًا ﻭُؤْلَى ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ لَّا يُؤْلُوا إِلَّا أَيَّامَيْنَ ﻋَنْهُ ﺍٓ L

هذا ما يتعلق بهذا الفصل، وهو فصل ضمن الشيخ ﷺ تقريراً وافياً للمذهب الحق - مذهب أهل السنة والجماعة - في القرآن، وهو مناف للمذاهب الباطلة.
من الإيمان بِالله ورسله: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

وكَد دخل - أيضًا - فيما ذكرنا من الإيمان به، وكتب الله ورسِلله: الإيمان بأن المؤمنين يرون يوم القيامة عيانًا بِأبصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة القدر، ولا يضامون في رؤيته، يرون سباحان وهو (١) في عقصات القيامة، ثم يرون بعد دخول الجنة كما يشاء الله.

الشرع

ووهذا فصل عقده الشيخ لمسألة الرؤية لمزيد العناية بها؛ لأن مسألة الرؤية مما اتساع فيها الكلام، وعظم فيها الاشتباه والاضطراب.

فبين الشيخ: أنه قد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بِالله، وكتب الله ورسِلله: والإيوام الآخر، دخل في هذه الأصول: الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بِأبصارهم، ليست رؤية قلبية كما يقول المحرمون و لا يرون بأبصارهم، والدليل على هذا: نصوص الكتاب، والسنة المتواترة (٢)، وإجماع سلف الأمة، فهي قضية تضافرت عليها الأدلة.

(١) في م: وهم.
(٢) انظر: ص: ١٧٨.
يقول الشيخ: "يرونهم وهم في عرائس القيامة" يعني يرونهم في ساحات القيامة ومواقفها، ويرونه كذلك بعد دخولهم الجنة كما يشاء، يرونهم كما يشاءون: كيفية، وزمانا، ومكانا يرونهم كما يشاءون، لا تحدد إلا في حدود ما صرحت به النصوص الثابتة من الكتاب، أو من السنة الصحيحة.

فالمقصود: أن الشيخ عقد لبعض هذه المسائل - التي سبق ذكر أدلة (1) - فصولاً؛ لأنها مسائل كثر الكلام، والخلاف فيها بين فرق الأمة، وبين أهل السنة ومخالفهم.
الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه

أحوال الناس بعد الموت، وبعد البعث

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

ما يكون بعد الموت؟ فيؤمنون بفتنا القبر، وبعذاب القبر،
وينعيه. فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فقال للرجل:
من ربك وما بدينك؟ ومن نبيك؟ فسُرد على الله أَلَّهُ أَلِيمًا
بَلْقَوْلَ الَّذِيَاتِيَّةِ؟ [إبراهيم: 27]، فيقول المؤمن: اللهٌ ﷺ، والإسلام
ديني، ومحمد نبي. وأما المرتاب فيقول: آه (1) لا أدرى
سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرارة من حديد
فيصبح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان
لصعق(2)، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم، وإما عذاب إلى يوم القيامة
الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم الزيارة التي أخبر الله
تعالى بها في كتابه [و(3) على لسان رسوله، وأجمع عليها

(1) هكذا هنا، وفي المسند وأبي داود، "فأها هاها"، وعند البقية "لا أدرى".
(2) رواه أحمد ٤٨٧١، وأبو داود (٤٧٦٣)، وقال أيضاً في التوحيد
ص ١١٩، وأبو جرير في تهذيب الآثار - مسند عمر - ٢٤٩١ -، والحاكم
١٧، من حديث البراء مطولاً، وصححه - أيضاً - ابن القيم في كتاب
الروح ص ٨٨، وإعلام الموقعين ١٧١. وأصله في صحيح البخاري (١٣٢٩)،
ومسلم (٢٨٧٦)، ونحوه عن أنس في البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).
(3) زيادة من: م.
المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عرضاً غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتنصب الموازين فيوزن فيها أعمال العباد فتم تغلب مرتين، فأولئك هم الذين في جهنم ومضى خفت مرتين، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خليذاً [المناسبون] وتنشر الدواوين - وهي: صحائف الأعمال - فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره؛ كما قال سبحانه: {وَكُلَّ إِذْنَ أَزْمَهُ طَلَبَهُ فِي عَنْقِهِ وَخَرَّجَ [١٣٠/١] لَكَ الْيَوْمَ الْفَرْجُ سَكَّبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ مَشْرَعًا أَقْرَأْ كَثِبَ كَفَنَ بَيْسِبَكَ} [الإسراء].

الشريعة

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أصول الإيمان الستة التي فسر بها النبي ﷺ الإيمان، وهو الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر، أو بتعبير آخر: الإيمان بالبعث بعد الموت.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر أشياء كثيرة مما جاءت به النصوص، فكل ما أخبر الله في كتابه، أو أخبره رسوله ﷺ، مما يكون بعد الموت فهو داخل في الإيمان باليوم الآخر. فالدور ثلاث: دار الدنيا - وهي دار العمل - ودار البرزخ، والدار الآخرة - وهما دارا جزاء -.

فيجب الإيمان بما دلّت عليه نصوص الكتاب، والسنة من: فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وما يكون بعد ذلك من القيامة.
الكبرى؛ فإن القيامة قيامتان:
قيامة صغيرة، وهي: الموت الذي يكون به الانتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ.
وقيامة كبيرة هي: التي أخبر الله تعالى بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأجمع عليها المسلمون.
وقد دل القرآن، و السنة المتواترة(1) على فتنة القبر وعذابه.
والفتنة: الابتلاء، والمراد بفتنة القبر: سؤال الملكين: منكر ونكر للملت وللميت فإن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان في وعددهان ويسألانه يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبك؟
فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، وأما الكافر فيتجلج ويحبار، فيقول: هاه ها لا أدرى فَدُوَّنَيْتُ اللَّهُ أَلْيَاتَ مَأْمُوتًا بِالْقُوَّةِ أَلْيَاتَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الْأَخِرَةِ ﷺ.

(1) انظر: كتاب إثبات عذاب القبر للنبيي، والروح ص 47، وأهوال القبور لا لبن رجب ص 43، وقطع الأزهر ص 294 رقم (109).
وَيَبِينُ اللَّهُ آيَاتَ الْغَمْرِ [إِبْرَاهِيمٌ ٢٧] كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ،
فَهَذِهِ الآيَةُ فَسَرتَ التشبيث في القبر: "يَقُولُ اللَّهُ الْكُبْرَىَّ مَأْثِرًا
يَقُولُ الْكُبْرَىَّ فِي الْقُرْءَاتِ" بِالسَّتِّيِّمَةِ عَلَىِّ الإِلَيْهَاءِ حَتَّى
الْمَوْتِ وَيَفْتِنُونَ بِالشَّيْطَانِ عِنْدَ فَتْنَتِ الْقُرْءَاتِ.

وَقَدْ صَحَّ عِنْدَ الْحَقِّ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّهُ أَوْحِي إِلَيْ أَنْكُمْ تَفَتَّنُونَ
فِي قَبُورِكُمْ مِثْلًا، أَوْ قَرِيبًا مِنْ فَتْنَةِ الْمَسِيحِ الْدِّوجَالِ: فَيَوْتَى أُحْدَكُم
فِي قَالَ: مَا عَلَمَكَ بِهِذهَا الْرِّجْلُ؟ فَأَمَامُ الْمَوْعِدُ قَالَ: هُوَ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ٱلْأَرْضِ ٱلْأَعْليَّةَ بِالْبَيْنَاتِ وَٱلْهَدِئِ، فَأَجِبْتُهُ وَاتَّبَعْتُهُ مُحَمَّدًا
فِي قَالَ: نَمَّ صَالِحًا قَدْ عَلِمْتَنَا إِنَّكَ لَمْ تَعْلِمِنَا بِهِ، وَأَمَّا الْمُتَّقِينُ
فِي قَالَ: لَا أَدْرِي سَمَعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئَةً فَقَلَتهُ" ١١.

فَتَفَتَّنُونَ يعْنِي تَمْتَحَنُونَ بِالسَّؤَالِ.

وَبَعْدَ هِذِهِ الْفَتْنَةِ إِلَّا نَعْيَمٌ وَا مَا عَذَابٌ وُسْعَتْهُ فِي ذَلِكَ
إِنَّهُ تَحَيَّر فِي الْجِوَابِ، وَقَالَ: سَمَعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقَلُوهُ,
يَوْكِلُ بِهِ مِنْ يَضْرِبُهُ بِمَرْزَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي صِيَحَةٍ يُسْمَعُ كَلِّ
شَيْءٍ إِلَّا الْإِنسَانُ، وَلَوْ سُمِّعَهَا إِلَّا يَسْمَعُهَا إِلَّا الْإِنسَانُ وَلَوْ سُمِّعَهَا إِلَّا يَسْمَعُهَا إِلَّا الْإِنسَانُ، وَلَا
وَهَذِهِ الأَمْرُ تَجْرِي فِي الْقُبُورِ، وَالْنَّاسُ قَرِيبٌ جَدًا مِنْهَا وَلَا
يَدُرونَ شَيْئًا عَنْهَا، فَهَيْنَمُ وَعَمَلُ الغِيْبِ، وَالْإِيْمَانُ بِهَا مِنَ الْإِيْمَانِ
بِالْغِيْبِ.

١١ رُواهُ البِخَارِي (٨٦)، وَمُسْلِمُ (٩٠٥) مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
وقد جاء في الصحيحين(1) حديث صاحبي القبرين، وأن الرسول ﷺ أخبر أنهما يعذبان، والصحابة معه لا يدرؤون عن تعذيبهما، ولا عن سبب تعذيبهما، ومن حكمة الله أنه ستر أحوال القبور، وأهوالها، وعذاب المعذبين فيها، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع"(2).

ولو سمع الناس ما في القبور لما استطاعوا المقام، ولما طاب لهم عيش، ولما تدافنوا، ولفر الناس وهموا على وجوههم.

فالقبر فيها أمور وخطوب، ولها جاءت الاستعذة بالله من عذاب القبر، ومن فتنة القبر في كثير من النصوص، وانظروا كيف أوصانا النبي ﷺ أن نستعين بالله من هذه الأخطار العظيمة في كل صلاة بعد الشهاد.

قال النبي ﷺ: "إذا تشهد أحدثكم فليستعن بالله من أربع يقول: اللهم إني أوعذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الماحي والمات، ومن شر فتنة المسيح الدجال"(3).

ولو كشف للناس أحوال القبور لما كان لهم ثواب على

(1) رواه البخاري (216)، ومسلم (292) من حديث ابن عباس ﷺ.
(2) رواه مسلم (2868).
(3) رواه البخاري (1377)، ومسلم (588) واللفظ له - من حديث أبي هريرة ﷺ.
الإيمان بذلك؛ لأن الثواب إنما هو على الإنسان بالغيب، فهذا هو الذي فيه الفضل، ويتبين فيه المؤمن المصدق من الكافر الجاذب قال تعالى: {ذَلِكُ الْكِتَابُ لَا رَبّ فيهُ هَدِي لِلْمُتَّقِينِ} [التمييز: 2] الآية، ولهذا إذا عاين الإنسان مصيره انغلق عليه باب التوبة، فله يقبل توبة العبد ما لم يغرر، ويقبل توبة الثالثين ما لم ييهومن من الحياة، ويعاينوا العذاب كما أخبر الله عن الهالكين من المكذبين: {فَلَمَّا رَأَوْا بَاسِئًا قَالُوا عَلَىٰ نَفْسَنَا إِبْصَارًا بِاللهِ وَهُدَيْتَنَا وَهَكَانَ رَبُّنَا يَا مُشْرِكِينَ} [الإسراء: 88] قال يَا بَنِي إِسْرَئِيلَ أَتَىَ الْكَفَّارُ أَلَّا تَرَوْا بَاسِئًا سَانَتِ اللهِ الَّذِيَ قَدْ حَلَّتِ فِي عِيْبَةِ النِّسَاءِ وَحَبَّتِهِ مُهَلَّكَنَّ الْكَفَّارِ} 

[غافر].

إذا؛ فمن أصول أهل السنة: الإيمان بفتنة القبر، وعذاب القبر، ونعنيق القبر، وقد أنكر ذلك بعض المبتدع وأنكر ذلك الملاحنة الزنايدة(1)، ويلبسون فيه: هذه القبور لا نرى فيها شيئاً، فلا يؤمنون إلا بما ندركه حواسهم وهذا ضلال بين، فكم من الأمور الموجودة القريبة منا ولا ندركها؟!

أليس الإنسان قد وكل الله به ملائكة من حوله يكتبون أعماله ويحفظوه ولا يحس بهم؟

بل إن ملائكة الموت - ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب - أقرب إلى الإنسان من أهله، وهم لا يدرون.


(1) الروح ص 101، ورد عليه في ص 111.
إلىً يَنْعَمُ وَلَكِنْ لَا تُنْفِرُونَ [٤٥٠] (الرايتينَ) فَأَحَوال القبور الإيمان بها من الإيمان بالغيب، ولا يصح أن يكون عند المسلم أدنى شك لكونه لا يرى شيئا ولا يحس به.
وقد يكشف الله لبعض الناس شيئاً من أحوال القبور كما توأَّمته الأخبراء، فَيُكَشِّف أحياناً لبعض الناس أشياء: إما أمور مسموعة، أو أمور مرئية (1).
وبعد ذلك يبقى الناس في قبورهم، وفي أحوالهم إلى القيامة الكبرى التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فأجمع عليها المسلمون، فالقيامة البهت بعد الموت، فالإيمان بها من أصول الإيمان، ومن أنكر البهت فهو كافرَ [رَمَّمَ الْوَلَيْنَ كَفْرًا آنَّ أَن يُعْطَى فَإِنَّهُمْ لَا يُعْطَى ثُمَّ لَنْ تَرْعَى أَيْمًا عِينًا] (الدنانير: 7) والحديث عن البهت في القرآن طويل، ومستفيض، ومتتنوع وكثير، وواسع.
قال المؤلف: «يقوم الناس من قبورهم» هذه القيامة الكبرى، وتناد الأرواح إلى الأجساد، ويجمع شتات الأبدان، يجمع ما تمزق وتفرق، ويُعاد خلقاً جديداً [يَجِبُ أَن يَلْصَقُ الْجَاهِزَ مِنْ ذَبْعٍ يَتَنَبَّأُهُ] وقال الكِرْمِيُّ: هذا مُثْقَلٌ حَكِيمٌ [أَوْ أَيْمَّا وَقَتَّلَ ذَلِكَ رَأْبًا ذَلِكَ رَجُلٌ يَنطِقُ بَيْدُوَ قَدْ عَلِمَنا مَا نَقْصَ الأُرْضِ مِنْهُمْ وَعَدّدَا كَبْبَ حَفِظُ]. (2) [3] لِلأَجْزَاء المتفرقة والأوراق المتمزقة والعظام المشرقة بجمعها ربك، وينشئها نشأة أخرى، ويعيد الأرواح نفسها إلى تلك الأبدان التي ينشئها الله نشأة جديداً، فتتشقق عن الناس قبورهم، [يَبِينُ بْعَدُ] (1) (1) انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٩٦ و٢٤/ ٣٧٦ و٣٧٦، وشرح حديث النزول ص ٣٩٩، والروح ص ص ١١٩ وأحوال القبور ص ١١١.
الجزء الأخر: {فَوَيْنِيَّهُمَا: أَلَّا تَرْطِبُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَوْمُكُمْ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَانِتُ}.

وهي تعني: {حَفَّةٌ عَرَا غِرَالَا} أي: غير منفعلين، ولا مكتسين، ولا مختونين {كَمَا بَدَا إِلَّا أَوْلُ خَلْقٍ ثَمَّدُ} {النبياء: 104}.

وأما أخبر الرجل والنساء بنظر بعضهم إلى بعض! قال الرسول: {يا عائشة! إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك}.

وذكر الشيخ جملة مما يكون يوم القيامة، فمن ذلك: {قوَى الشَّمْسُ مِن رَوْسَ الخَلَائِقِ، كَمَا جَاء بِذلِكَ الْحَدِيثُ}.

{هُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْأَرْضِ رَبًّا، وَكَانَ مَعَهُ لَهُ جَمِيعُ نَصَائِحِهِ}.

(1) رواه البخاري (1527)، ومسلم (2806).
(2) رواه مسلم (2814) من حديث المقداد بن الأسود.
خِلقُتُهم وطبيعتهم كطبيعتهم في هذه الحياة لأحرقتهم الشمس،
لكن حياة الآخرة خلقت للبقاء، وإذا ردت الأرواح إلى الأبدان
إِنَّها ترد رداً لا انفصال، ولا فراق بعده.
ومما يكون يوم القيامة: نصب الموازين، وزن الأعمال
وُضَعَ الْمَوْزِينَ الْقَسْطُ لِيُؤْمِنَ الْبَيِّنَةُ فَلَا يَظْلَمُ نَسْٰبَتُهُ وَلَا سَيِّئَتُهُ.
وَمَفَاتِلُ حَكْمَتِي قَدْ حَرُقَتِ أَيْنَ أَيْنًا يَهُمُّ وَكَفَى بِيَّ حَكْمِيَّاتِ [الأنبياء].
والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذا نصوص السنة الدالة
على وزن الأعمال.
وكذلك نشر الدواوين، وهي: صحائف الأعمال، والآيات
في هذا كثيرة ذكر الشيخ منها قوله تعالى: وَسَأَلْتُ إِنِّي أَرَزَمُهُ طَلَبَهُ فِي عِنْقِهِ، وَضَلِّعْتُ لَهُ لَيْلَةً إِنَّ الْقِيَمَةَ صَيْطَانُ يَلْتَسُّ بِهَا مُنْثَرَا أَقْرَأْ كِتَابَكَ [الإسراء: 12-14] أي: آلم مناه عمله، ونصبته في عنقه
ملازم له.
وَضَلِّعْتُ لَهُ لَيْلَةً إِنَّ الْقِيَمَةَ صَيْطَانُ يَلْتَسُّ بِهَا مُنْثَرَا أَقْرَأْ كِتَابَكَ {كتابا حقيقا لله أعلم بكيفيته.
يَلْتَسُّ بِهَا مُنْثَرَا {أي: مفتوحا {إِذَا أَفْتَحْتُهُ} [التكوين].
ًأَقْرَأْ كِتَابَكَ } كتاب قد أحصي على الإنسان فيه كل صغيرة
وكبيرة.
وَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجَرَّمِينَ مُشْفِقِينَ مِنَّا فِيهِ وَيَقْلُوْنَ بَوْيَتَنا

هذا الباب لا يُقدر صيغة ولا كبيرة إلا أخصَّصَتهُ [الكهنف: 49].

فكل هذا مما يجب الإيمان به، وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما أخبر الرسول ﷺ به من فتنة القبر، وعذاب القبر، ونعييم القبر، والبعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم حفاة، وندو الشمس، ونصب الموازين، ووزن الأعمال، ونشر الدواوين، كل هذا مما يجب الإيمان به، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله؛ لأن منهجتهم ومذهبهم قائم على الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، وما أخبر به رسوله ﷺ لا يعارضون شيئا من ذلك بعقولهم، أو بعقل فلان، أو بآراء فلسفية، أو جدل كلامي، بل مذهبهم قائم على التسليم لخبر الله سبحانه، وخبر رسوله ﷺ، يؤمنون بذلك كله كما جاء عن الإمام الشافعي أنه قال: "آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه ورسول الله".

ولأهل البعد وإن أقرعوا بالبعث فإنهم يقولون أقوالا تناقض موجب النصوص، وينكرن بعض ما ورد في السنن، مثل: من ينكر الميزان (2)، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ، والإيمان بهذه الأمور كله داخل في الإيمان باليوم الآخر.

(1) لمحة الاعتقاد ص 8، ومجموع الفتاوى 4/ 1 و 6، 254/ 1.

(2) كالمعتزلة، انظر: درء تعارض العقل والنقل 5، 248/ 5، وفتح الباري 538/ 12.
محاسبة الله للخلائق

وبحاسب الله الخلق، ويخلو بعده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسجنه، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقنون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها.

الشع

ومما يكون يوم القيامة من الأمور العظيمة الحساب، فيوم القيامة له أسماء كثيرة منها: يوم الفصل، ويوم النشور، ويوم التلاق، ويوم التناد، ويوم الحساب، و الحساب من أعظم ما يكون يوم القيامة.

يحاسب الله الخلقائق، وهو سريع الحساب، وهو أسرع الحاسبين

كأنهم الإنسان إلئك كلهم إلى دينه كده فعليه

فمن أوقى كتبه، يمسك

فسوغ يحاسب حسابًا يبكر

وينبغي إلئك

أهله من أوقى كتبه، وله ظهور

فسوغ يمسك

ويعودوا لبور

ويصلى سييراً إلئك كان في أهله من أوقى كتبه (الإنشاع)، فمن الناس من يحاسب حسابًا يسيراً، ومنهم من يناقش الحساب.

وقد قال: "من نوّاش الحساب عذب، فقالت أم
المؤمنين عائشة: أليس الله يقول: "تأتى من أوقى كتبته"، يميزه: "سُوّف يُحاسب حسابًا يُبدي" (الانشقاق) قال: ذلك العرض.\\

حساب المؤمن الذي غفر الله له ذنوبه إنما هو عرض أعماله عليه؛ و يسترشد إلى هذا بقول الشيخ: "يحاسب الله الخلقاوي، ويخلو بعده المؤمن فيقرره بذنوبه - إلى آخره - ".

وقول الشيخ: "كما وصف ذلك في الكتاب والسنة".

هذه الكلمة عامة وهي: إشارة إلى دليل قوله: "ويحاسب الله الخلقاوي، ويخلو بعده المؤمن" فمن أمور الحساب ما دل عليه القرآن، كما في الآيات التي ذكرتها، ومنها ما ذلت عليه السنة، والفقرة الثانية إنما جاءت بها السنة، فالرسول أخبر "أن الله يدني عبدي المؤمن حتى يضع عليه كنهه، فيقرره بذنوبه، ثم يقول له: إنى سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

يقول الشيخ: "وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسِيْئاته؛ فإنهم لا حسنات لهم، ولكنهم لا حسنات لهم؛ لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسِيْئاته؛ لأن من له حسنات وسِيْئات توزن أعماله؛ فقد ترجع الحسنات فينجو، وقد ترجع السِيْئات، فيستوجب العذاب.

(1) رواه البخاري (2536) و Müslِم (2876).
(2) رواه البخاري (2707) و مسلم (2788) من حديث ابن عمر.
وقول الشيخ: «وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناتة ... ولكن تعد أعمالهم وتحصى، ويفتقن عليها، ويقررون بها، ويجرون بها» كأن هذه العبارة تشير بأنه أعمالهم لا توزن، والقرآن ظاهره - والله أعلم - أن الكفار توزن أعمالهم؛ فتحتف موازينهم قال الله تبارك وتعالى: {وَفِي قُلُوبِهِمْ مَوَازِيَتُهُمْ وَجَعَلْنَا لَهُمَا مَّيْلاً} [المومنون: 90] لتلقى وجوههم النار، وهم فيها خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. فوَٰلَا تَكُنُّوا كَالْيَهُودِ وَالْأَسَرَارِ (1) [المومنون: 108] {فَيَقُولُوا إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَلَا يُكَلِّمُونَهُ} نعوذ بالله من جهاد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، نعوذ بالله منصير أهل الشقاء.

(1) انظر: النذكرة 2/200، وفتح الباري 13/538.
وجوب الإيمان بالحوض والصراط

وفي عرصة (1) القيادة: الحوض المورود لمحمد ﷺ ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آتيه عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لن يظلمها بعدها أبداً.

والصراط منصوب على متن جهنم - وهو: الجسر الذي بين الجنة والنار - يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يُغدو عذراً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخفف فيلقي في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخفف الناس بأعمالهم، فمن مرّ على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه، وقفا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض، فإذا هُدّبوا ونُقِوا آذن لهم في دخول الجنة.

(الشروع)

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ويجب الإيمان به:

الحوض لنبينا ﷺ، فقد تواترت به السنة (2)، وأخبر الرسول ﷺ.

(1) في م: عرصات.
(2) قطع الأزهر المتتارة ص 297 رقم (111)، ونظم المتناثر ص 488 رقم (305).
بوصفه، ووصف مائه، ومساحته، ومن ذلك ما ذكره الشيخ في أحد الروايات: "طوله شهر، وعرضه شهر"(1)، وفي رواية أخرى تقدر مساحته: "كم بين أيلة، وصنعاء"(2) و"كم بين صنعاء، والمدينة"(3) وروايات كثيرة في مقداره(4).

المقصود: أنه حوض عظيم، ومورد كريم ترد عليه هذه الأمة، ويشرب منه المؤمنون الذين يثبتون في هذه الحياة على هدى الله، واستقاموا على سنة رسوله، وهذا الحوض قد ورد:

"أن ماءه أشد بيضا من اللب، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، وأنبه وكيزبه كنجوم السماء"(5).

كلا هذا يجب الإيمان به، وأهل السنة يؤمنون بهذا كله تصديقا لخبر الصادق المصدق، وهذا من فضائل نبينا فإن الله تعالى يظهر فضلنه وكرامته على سائر الأنباء بذلك الحوض، وبكثرة الواردين عليه، «أنه ليرد عليه أقوم يعرفهم» فيخلجون دونه ويحال بينهم وبين الورود، فيقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فيقول: سحقا سحقا

---
(1) رواه البخاري (579) مسلم (2292) من حديث عبد الله بن عمرو.
(2) رواه البخاري (580) ومسلم (2303) من حديث أنس.
(3) رواه البخاري (591) ومسلم (2298) من حديث حارثة بن وهب.
(4) انظر أحاديث الحوض في البداية والنهاية لابن كثير، 19/423-466.
(5) نحو هذا اللفظ في البخاري (579)، ومسلم (2292) من حديث عبد الله ابن عمرو، ومسلم (247) من حديث أبي هريرة، و(2300) من حديث ثوبان.
لم يُغَيِّر بعديٍّ (١) نعوذ بِالله من التغيير والتبديل والردة عن الإسلام.

يقول الشيخ: في عرسات القيادة الحوض لنبينا عرصات القيادة: مواقفها، وساحاتها.

وذكره للحوض في هذا الموضوع يشعر بأنه يختار أن الحوض قبل الصراط، فإن أهل العلم اختلفوا في الحوض هل هو قبل الميزان، أو بعده؟ وهل هو قبل الصراط أو بعده؟ (٢)

والأظهر: والله أعلم: أنه قبل الصراط، وبعد الميزان فإنه يناسب: والله أعلم: أن يكون ورودهم بعد الحساب، ليروي غلبيهم، ويثلج نفوسهم بعد المعاناة، والله أعلم بحقيقة الأمر.

المقصود: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإمام بحوض النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أنكر الحوض بعض طوائف المبتدعة (٣)، ولا حجة لهم في هذا الإنكار إلا الاستبعاد الذي لا سند له إلا قولهم: كيف يكون الحوض بهذه المساحة؟ وكيف يكون في عرسات القيادة؟

(١) رواه البخاري (٨٣٥٥٨٤٦٥٢٩) ومسلم (٢٩٠٣٢٩٦٢٩١٢٢٩) من حديث سهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري.
(٢) التذكرة ٢٧٠٢/٧، وشرح الطحاوية ٢٨٢/٢.
(٣) في الإبة ٨٦: وأنكرت المعتزلة الحوض، وفي الفتح ١١/٤٧٢: أنكره الخوارج، وبعض المعتزلة.
فنقول: اللهم تعالى على كل شيء قدير.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال في الحوض: "يشخب فيه ميزابان من الجنة" (1). وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أندون ما الكؤثر؟ فقلننا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعندني ربي - عز وجل - عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمني يوم القيامة، آيته عدد النجوم" (2).

أي: أن شراب هذا الحوض يُمد من نهر الكؤثر الذي امتن الله به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة.

وهما يجب الإيمان به، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الصراط، وهو: جسر منصور على متن جهنم بين الجنة والنار يعبر منه الناس بحسب سُيهم وثباتهم على الصراط الذي نصبه الله للعباد في هذه الحياة الدنيا، ففي الدنيا صراط، وهو: دين الله الذي بعث به رسوله، ودينه هو: الصراط المستقيم، وهو في حق هذه الأمة شريعة محمد ﷺ، فمن كان على دين الله وصراطه المستقيم أثبت، وفي سيره أسرع كان على ذلك كذلك "جرأة وفِئْاتُ" [البقرة: 119]. فالجزاء من جنس العمل، ولهذا الناس يمرون عليه منهم: من يمر كالبرق سرعة، ولهذا حال الناس في الدنيا - ومنهم من يمر كالريح، ومنهم كالفرس الجواد، ومنهم

(1) رواه مسلم (2300) عن أبي ذر، و (2301) عن ثوبان.
(2) رواه مسلم (2700).
كركاب الإبل، ومنهم من يعدوا عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من لا يسير، وعلى الصراط كلاليب تخفف الناس بأعمالهم، وفي الحديث: "فتاج مسلم، ومكدوس في النار" (1).

ويمر الناس على هذا الصراط، فمن عبر تجاوز الخطر - اللهم نجنا من عذابك يوم لقائك - ولهذا بَيْن الشيخ أن من عبر الصراط دخل الجنة من أول وهلة دون أن يمسه عذاب، فأما الذين يعدون فإنهم لا يعبرون، بل يسقطون في النار، وينالهم العذاب. والله أعلم.

والذي يشعر به سياق النصوص التي وردت في الصراط أن هذا العبور إنما يكون لأهل الإيمان، وللمتستبين لأهل الإيمان، أما الأمم الكافرة كاليهود، والنصارى، وعباد الأوثان فهؤلاء ليسوا ممن يمر على الصراط - والعباءة بالله - كما جاء في الحديث: "إن الناس يحشرون يوم القيامة فيقال: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبعون ما كانوا يعبدون فيلقون في النار دون أن...

(1) روى البخاري (6259)، ومسلم (1836) من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ أن قال: "فم يضرب الجسر على جههم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحم مزيلة فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك تكون بنجد فيها شريكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون، كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكالأجواء الخيل والركاب، فتاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في النار.

جهنم..." لفظ مسلم.
يعبروا على الصراط


الحديث

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: فجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواويث الطواويث،
المقصود: أنه يجب الإيمان بالصراط، وبما جاء من عبور الناس، وتفاوتهم في المرور.

وإنه لمثال لحال الناس وسبرهم على صراط هذه الحياة فمنهم: من هو مستقيم، ويسير سيرا حثيثا مواصل ليله ونهاره إلى الله ما يضيع من وقت شيء، وأخر دونه، فتأمل واقعه.

والسير في هذه الحياة يكون بسير القلوب، وبسير الأبدان تباعا فيما يتطلب ذلك، وبعد المرور على الصراط - والحديث الآن عن المؤمنين الذين عبروا، وتجاوزوا الخطر - يوقف الناس على قنطرة بين الجنة والنار قبل الدخول (1)، الإخوة المؤمنون الأحباب يقتضب بعضهم من بعض الحقوق التي تكون بينهم فيذهب الغلل (وبعثنا ما في مقدورهم من غلل) [الحجر: 77] حتى لا يكون لأحد على أحد شيء، وهذا غير المقامة التي جاءت في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "أندرون ما المفسس؟ قالوا: المفسس فيها من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفسس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم.

وتبقى هذه الآمة فيها منافقة، فيأتيهم الله - تبارك وتعالى - في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربك، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكانا حتى يأتيهم ربك، فإذا جاء ربنا عرفنا، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربك، فيقولون: أنت ربا فيبتغون، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فآكلون أنا وأمتى أول من يجيز، رواه البخاري (7437) ومسلم (182) واللفظ له. وانظر: فتح البراري 488/11. (1) رواه البخاري (2440) من حديث أبي سعيد.
هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاباتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (1).

قال الشيخ: "إذا هذيوا ونصوا" وكم طبيعهم أيذن لهم بدخول الجنة، فيدخلونها طيبين قد طابوا في الدنيا، وكم طبيعهم وتأهلوا للدخول دار الطبيين وسبق الله يذبحونهم إلى الجنة زميراً حقاً إذا جاءوها وفتيتَت أئمنها وقال كسر حزنتها سلمت عليهكم يبنتم فأدخلوها خالدين وقائلونا اللهم إنه ذي صدقة وعدده ووردنا الأرض نبأنا بين الجنة حيث نشاء فيكم أجر العقولين [المرق]

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط على ما جاء في الأخبار، ويسلمون، فمنهجهم ومذهبهم قائم على التسلم للرسول لا يعارضون شيئاً بآرائهم، وأهوائهم، ومعقول ورأي فلان، وأما أهل الآراء فإنهم يحكمون عقولهم في أخبار الرسول هذا مقبول، وهذا غير معقول، وهذا كذا، وهذا كذا.

---

(1) رواه مسلم (2581).
وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ، وأول من يدخل الجنة من الأمم: أمته.
وله في القيادة ثلاث شفاعات: أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموافقة حتى يقضي بينهم، بعد أن يراجع الأنبياء - آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم - الشفاعة حتى تنتهي إليه.
وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهتان الشفاعتان خاصتان له.
وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع [31/2] فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين، والصديقين، وغيرهم، يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها. ويخرج الله تعالى من النار أقوامًا بغير شفاعة بل بفضل رحمته، ويبقى في الجنة فضل عّمّ دخلها من أهل الدنيا، فتنشئ الله لها أقوامًا يدخلهم الجنة.

الشرع

ذكر الشيخ جملة من الأمور التي تكون يوم القيامة، والإيمان بها يدخل في الإيمان باليوم الآخر منها: أن أول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد ﷺ يستفتح فيفتح.
له، فيدخل فيكون أول من يدخل الجنة مطلقًا، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته، فهو أفضل النبيين والمرسلين، وأمته خير الأمم، كل هذا مما صحت به الأحاديث عن النبي ﷺ، وهذه أيضا من خصائصه، وفضائله التي يظهر الله بها فضلها على رؤوس الأشهاد. ويشير ذلك إلى [الشرح]، ويدخل بعده وأمته من شاء.

ثم يقول الشيخ: إن للرسول ﷺ ثلاث شفاعات:

الشافعية الأولى: وهي الشفاعة في أهل الموقف، أن يقضى بينهم، وتسمى: الشفاعة الكبرى، وهي: المقام المحمود الذي امتثل الله به عليه في قوله: {أَمَّنَ أَطَلَّ فَهَتَّجهُ بِهِ نَافِلَةٌ لَّكَ عَسَى أَن يُبَعِّثَ رَبُّكَ مَقَامًا مُّخْتَلِفًا} [الإسراء: 62]. وفي الحديث عن النبي ﷺ: {مِنْ قَالِ حِينَ يُسْمِعُ الْنَّادِيَةَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدُّعَوَّةَ التَّامَةُ، والصلاة القائمة، آتِ محمَّدًا الوسيلة والفضيلة، وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة}.

وهذه الشفاعة خاصة به، وهي الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء أولو العزم، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل.

(1) رواه مسلم (197) من حديث أنس ﺑ. ﺑ. ﺑ.
(2) رواه مسلم (658) من حديث أبي هريرة ﺑ. ﺑ. ﺑ.
(3) البخاري (12471)، ومسلم (194) من حديث أبي هريرة ﺑ. ﺑ. ﺑ.
(4) انظر: تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: {كُونَ مَنْ أَهْلَهُ أَفْتَرِيَّ يَا أَيُّهَا الْيَتَّاَبَانِ} [الجمار: 110].
(5) رواه البخاري (114) من حديث جابر بن عبد الله ﺑ. ﺑ. ﺑ.
المتواتر، حين يأتي الناس لأدم، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند الله، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى إلى أن ينتهي الناس إلى النبي محمد، فيقول: "أنى لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمي محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمد بن تلك المحامد، وآخر له ساجدا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واتشع تشفع..."(1).

هذه الشفاعة الكبرى التي يراجع عنها الأنبياء، ويتقدم لها نبيا محمد عظيم منزلته عند ربه.

الشفاعة الثانية: شفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، ويجري نحو ما جرى من تدافع وتراجع الأنبياء عن الشفاعة في ذلك، فيشفع - أيضا - لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة(2)، وفي كل ذلك إظهار لشرفه، وإعلاء لقدره، وإظهار كرمه على ربه.

وهاتان الشفائعتان - شفاعة في أهل الموقف أن يقضي بينهم، وشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة - خاصتان به لا يشركه فيها أحد من الأنبياء، ولا غيرهم.

الثالثة: الشفاعة في أهل الكبار فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، وهذه الشفاعة له، ولغيره من الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين،

(1) رواه البخاري (510) ومسلم (192) من حديث أنس، وانظر: قطف الأزهر المتناثرة ص 639 رقم (112).
(2) رواه مسلم (196) من حديث أبي هريرة.
والملائكة.

وال düzenleنة هي التي ينكرها أهل البدع كالمخوارج، والمعتزلة؛ لأن ذلك ينافض أصلهم، وتقدم أن من أصولهم أن أهل الكبائر لا بد لهم من دخول النار، والخلود فيها فتمتع الشرعاء كما يتعفن في المشركين فما يقال عليه من جمع ولا ضعف بطلة [غنتري: 18، فقنا نفهم مفهمة الشهبان [المؤرخ: 48]. فجعلوا مرتبك الكبيرة كذلك لا تفتح شفاعة الشافعين.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله، ويثبتون هذه الشفاعة للنبي وغيره، لكن هذه أهمها وأبرزها، وهو هذا الاقتصر الشيخ عليها فائتان خاصتان به، والثالثة مشتركة، ولكن له منها الحظ الأوفر، فإنه ثبت أنه يشفع أربع مرات، يقول: فأشفع فيحدث لي خدا، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعوذ فأشفع فيحدث لي خدا، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة إلى أربع مرات.

ويخرج الله من النار أئمته بغير شفاعة 3; بل بمحض فضله 4.

1) ص: 184
2) تقدم تخريجه في ص 229 هامش (1)
3) روى البخاري (749) واللفظ له، ومسلم (183) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال: 5 . يشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون، يقول الجبار: بقيت شاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أئمته قد انتبهوا فيلقون في نهر بناوا لمغزنا بقال لهم: ماء الحياة، فيبقيون في حافته كما تنبت الجبنة في حمل السيل . . . الحديث.
ورحمته ﷺ، والكل من فضله، والكل من رحمته حتى من يخرج بشفاعة الشافعين، هل خرجوا إلا برحمة الله، وفضلته؟
من الذي أذن للشافع أن يشفع؟ ومن الذي قبل منه الشفاعة؟
فهو ﷺ تاراً يستدي فضله بسبب بيهؤه، ويجريه على يد بعض العباد، وتاراً يمنح ويؤتي فضله دون توسط سبب، والسبب إذا توسط فهو - أيضاً - عائد إلى إرادته تعالى ورحمته وفضله، فالأمر له أولاً وآخراً، يكرم الشافع فيذن له بالشفاعة، ويرحم المشغوع له فينجبه من العذاب بشفاعة من أذن له بالشفاعة والقبول.
قال الشيخ: "ويبقى في الجنة فضل عَمَّن دخلها من أهل الدنيا فيشيع الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة".
ثبت هذا في الحديث عن النبي ﷺ: "لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة" (1).

(1) تقدم تخريجه في ص 159.
كلمة مجملة عن اليوم الآخر

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب، والعقاب، والثواب، والجنة، والنار، وتواصل ذلك مذكورة في الكتب المُنَزَّلة من السماء، [والآثار] (1) من العلم المتأثر عن الأنياب، وفي العلم المرتوف عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي، ويكفي، فمن ابتعاه وجد.

الشعر

هنا أجمُّل الشيخ الكلام عن اليوم الآخر بعد ما ذكر أشياء مما يكون يوم القيامة، مما يجب الإيمان به، ثم ختم بهذه الجملة.

أي أنواع، وتفاصيل ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والعقاب، والثواب والجنة والنار، وتواصل ذلك موجود في الكتب المنزلة من السماء: كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وغيرها من كتاب الله المنزلة، كلها تضمنت من هذا ما تضمنته، وكذلك في المأثور عن الأنياب آثار كثيرة تتضمن أخباراً عن اليوم الآخر، لكن لا يثبت من ذلك إلا ما وصلنا به بخير المعصوم.

أما الآثار المروية عن الأنياب التي لم تثبت بطريقة يجب

(1) في ب: والآثار.
اعتماده، فالامر فيها متعلق على الدليل، كأخبار بني إسرائيل، إما أن يقوم الدليل على كذبه فرد أو على صدقه فيجب الإيمان به، أو يبقى لا يصدق ولا يكذب، ولا شك أن الأنبياء أخبروا عن اليوم الآخر، لكن إذا جاءت عليهم جزئيات تفصيلية، فلا بد من ثبوت ذلك.

وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ، وهو ما جاء في الكتاب والسنة، من ذلك ما يشفى ويكشف، لا نحتاج أبدا إلى أن نرجع إلى التوراة، والإنجيل، أو أخبار بني إسرائيل في الكتاب والسنة الغني، اقرأ القرآن ماذا تجد فيه من الحديث عن اليوم الآخر؟ تجد الكثير، بل إنه لم يأت من تفاصيل اليوم الآخر في الكتب المنزلة مثل ما جاء في القرآن، وكذلك سنة النبي ﷺ فيها من الأخبار، والآثار المتعلقة باليوم الآخر شيء كثير.

وحذا العلم موجود، وميسر، لمن ابتغاه وطلب، ﴿وَلَقَدْ يَذُرُّنَا الْقُرْآنَ الْمُبَيَّنَ فَهَلْ يَنْفَعُكُمْ مِثْلُهُ ۗ﴾ (القصص: 75).
مذهب الفرقة الناجية في الشرع والقدر وأفعال العباد

وتؤمن الفرقة الناجية (1) - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأنّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به آز Ala وابداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والآرناق، والآجال، ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة (2)، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه (3)، جفت

(1) في ب زيادة: من رواه أحمد 5/317، وأبو داود (4700)، والترمذي (2155) - وقال:
(2) حسن صحيح غريب من هذا الوجه -، وابن جرير في تاريخه 28/1 - وصححه -، والضياء في المختارة في موضعي، منها: 8/301-303 من حديث عبادة بن الصامت.
(3) رواه أحمد 5/182، وأبو داود (4799)، وابن ماجه (77) من حديث ابن الديلمي عن أبي بكر، وابن مسعود، وحديثة موقوفة، ورفعه زيد بن ثابت -، وقال الذهبي في المذهب في اختصار =
الأفلام و طويلة الصحف (1) كما قال سبحانه:﴿وَأَلْقِ ﺔَمْلَكَ أَنْ تَعَلَّمَ أَنَّهُ ﷲ ﺨَلِيْلٌ ﻓِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءَ إِنَّ ذَلِكَ ﻓِي ﺑَاءٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ﷲ ﺮَبِّكَ ﷲ ﺻَبِيحٌ ﴾(المجادلة) وقال: ﴿وَمَا أَنْبَأَيْنَ أَبْنِي مُوسَىٰ ﰲ الْأَرْضِ وَلَا ﰲ أَنشَاءِ إِلَّا ﰲ سَبْعِ كَاتِبٍ يَنْبِئُ ﰲ ذَلِكَ عَلَى ﷲ ﺮَبِّكَ ﷲ ﺻَبِيحٌ ﴾(ال😊، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً في默 بأربع [٣/٣] كلمات فيقال: (أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي، أو سعيد) (2) ن نحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروا اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله تعالى النافذة، وقدرتها الشاملة، وهو [الإيمان] (3) بأن ما شاء الله كان، وما [لم يشأ] (4) لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة، ولا سيكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه

السنن الكبير ٢١٣٨: إسناده صالح، وصححه ابن القيم في شفاء العليل ص ١١٣. وانظر السلسلة الصحيحة (٢٤٩).

(1) رواه أحمد ٢٩٣/١، و الترمذي (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح.

(2) رواه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (٢٢٤٣) من حديث ابن عباس ﷺ، وحسنله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٣٤٥.

(3) زيادة من: ب وم.

(4) في ظ: شاء.
على كل شيء قدير، من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض، ولا في السماء إلا الله خلقه سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه، وقد أمر العباد بطاعته، وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكثير، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم. والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم.

واللعبة قدرة على أعمالهم، وإرادة، والله خلقهم، وخلق قدرتهم، وإرادتهم، كما قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَن يُسْتَفْنَمْ} وَاَنْتَهُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبُّكُمْ} [التكوير].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة(1)، ويبلغ فيها قوم من أهل الإثبات

(1) رواه أحمد 2/ 86 و 125، وأبو داود (4691 و 4692) والحاكم 1/ 159 -

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حامد من ابن عمر، ولم يخرجاه، واللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 4/ 707، وقال المنذر في تهذيب السنن 7/ 58: هذا منقطع سلماة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت. وقال ابن القيم في تهذيب السنن 7/ 20-11: وهذا المعنى قد روي عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وحليفة، =
الشريع

قال الشيخ: "وتنؤمن الفرقة الناجية بالقدر خيره وشره" وكان الأنساب لو قال: فصل; لأنه انتقل إلى موضوع جديد، ولاحظ أن الشيخ ميز هذا المقام بتعريف: لأن مسألة القدر هي من المسائل الكبار التي تباينة فيها مذاهب الأمة.

وتؤمن الفرقة الناجية المنصورة - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره، ولاحظ أن هذا هو الأصل السادس، وأن الشيخ أشار إلى بعض ما يتعلق بالإيمان بالله، وكتب، ورسله، واليوم الآخر، ثم انتهى إلى الكلام عن الأصل السادس وهو الإيمان بالقدر، فالفرقة الناجية المنصورة تؤمن بالقدر خيره وشره، كما في قوله: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" (1).

(1) تقدم تخريجه في ص 29.
تؤمن بالقدر يعني: بتقدير الله للأشياء قبل كونها، والأشياء المقدرة فيها خير وشر. فالقدر يطلق ويراد به:

التقدير السابق: تقدير الله للأشياء في علمه وكتابه.


(2) وانظر: العلل لابن أبي حاتم 2/328 و2/329، والعدل للدارقطني 2/251.
(4) رواه البخاري (1749)، ومسلم (1/219) من حديث ابن عباس.
قال الشيخ: «الإيمان بالقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين...».

الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله علم ما يكون قبل أن يكون بعلمه القديم الأزلي، وعلم ما العباد فاعلون من الطاعات والمعاصي، كل ذلك معلوم للرب بعلمه القديم، هذه المرتبة الأولى من الإيمان بالقدر، فلا بد في الإيمان بالقدر من الإيمان بعلم الله السابق، هذا شيء.

الشيء الثاني: الإيمان بأن الله كتب مقادير الأشياء عنده في كتاب، وهو: اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، وهو الكتاب المبين، أو الإمام المبين، وهو الذكر قال تعالى: {ولقد كتبنا في الزبور بين بعدين الذكر أن الأرض خلقها يعسيراً الصبحون} (الأبيات)، كتب ذلك بقلم المقادير كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

وفي الحديث الآخر عنه ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء».

فكل ما هو كائن إلى يوم القيامة قد كتب {وكل صغير وكبير} [المستنصر]...

(1) تقدم تخريجه في ص: 129.
(2) تقدم تخريجه في ص: 128.
ومن أدلة المرتبتيين: العلم والكتابة قوله تعالى: ﴿أَلْتُ ثَمَّ تَعَلَّمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرُ﴾ [المحاجز].

فجمع سبحانه بين علمه تعالى بكل شيء، واستعمال كتابه على كل شيء، فكل ما في السماء والأرض، وكل ما جرى ويجري في هذا الوجود مكتوب في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَيَكُونُ مَقَابِلُ الْمَلَائِكَةِ لَا يُقَابِلُهَا إِلَّا هُوَ وَيُقَابِلُهَا إِلَّا هُوَ وَيَسْتَفْقِطُونَ مِن وَرَاسِمٍ إِلَّا يُسْتَفْقِطُونَ وَلا حَبْيَةٌ فِي ظُلُمَّةِ الْأَرْضِ وَلَا رَطبٌ وَلَا نَبِلٌ إِلَّا فِي كَانَوُنٍ مُّهِينٍ﴾ [الإسراء].

فعلى سبيل المثال: كل ما يجري للإنسان من أحوال: صحة ومرض، وهم وحزن، أو سعة رزق أو ضيقه، أو سعادة أو شقاوة، كل ذلك مكتوب.

هذا التقدير العام الأول.

وهناك تقديرات أخرى:

تقدير ثان: يتعلق بآدم وذريته، قبل أن يخلق الله آدم بأربعين عاما كما في الحديث الصحيح في محاجة آدم وموسى، قال آدم لموسى عليه السلام: «... هل وجدت في التوراة: ﴿وعصى آدم عليه السلام ربه فغوى؟» قال نعم. قال: أئتوني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال
رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى(1).

وتقدير ثالث: وهو تقدير يتعلق بكل إنسان، فكل إنسان لـ
تقدير خاص، كما في الحديث المتقدم على صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم:
«أنه قال - في الجنين عندما يبلغ أربعة أشهر - فيأتي الملك
فينخ فيه الروح، ويأمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله
وشقي أو سعيد»(2).

وتقدير رابع، وهو التقدير الحولي: وهو ما يكون في ليلة
القدر: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُخْطَرِ إِنَّا كَانَ مُنْذِرِينَ
أُمِّي حَكِيمٌ» (الذخاين).

وسميت ليلة القدر؛ لأن الله يقدر فيها ما يكون في السنة من ليلة
القدر إلى مثلها - أي - من السنة إلى السنة، وهذه التقديرات لا
تنافض التقدير، والكتاب الأول، والله تعالى حكيم علم.

الدرجة الثانية من الإيمان بالقدر: الإيمان بأن شاء الله
كان، وما لم يشا لم يكن، وأن هذا الوجود لا يكون فيه من
حركة، ولا سكون، ولا تقديم، ولا تأخير، ولا وجود صغير،
ولا كبير إلا بمشيئة الله سبحانه، وهذه المرتبة مضمونها الإيمان
بعموم مشيئة الله؛ لأن مشيئة الله عامة، لا يخرج عنها شيء لا

(1) رواه البخاري (26614)، ومسلم (2652) - واللتفظ له - من حديث أبي
هريرة في، وانظر تعليله لشيخ الإسلام على هذا الحديث في الفرقان بين
أولباء الرحمن وأولباء الشيطان 258/11.

(2) تقدم تخريجه في ص 235.
أفعال العباد، ولا الحيوان ولا غيرها. وهذه المرتبة الثالثة من مراتب القدر.

والمرتبة الرابعة: - وهي: الشيء الثاني من الدرجة الثانية.

١٨: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قادر، فهو خالق السماوات والأرض ومن فيهن، وما بينهما من الذوات والصفات والأفعال، خالق العرش، وما دون العرش.

الخلاصة: أن الإيمان بالقدر لا يتم إلا بهذه الأمور الأربعة، وتسمى مراتب الإيمان بالقدر، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر على هذا الوجه بمراتبه الأربعة.

وأما المنكرون للقدر فهم طائفتان:

غلاة أنكروا العلم والكتاب، ويقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها، ومعنى هذا: أنه لم يقدر الأشياء، ولم يكتب ما سيكون، كما ينكر علوم المشيئة، وعلوم الخلق، ويُحِرِّجون أفعال العباد عن مشيئة الله وخلقه.

وهذا مذهب قدماء وغلابة القدر.

أما المتوسطون منهم: فينكرون المرتبة الثالثة، والرابعة، وهي: علوم المشيئة، والخلق، ومنهم: المعتزلة، فنكر عمل المشيئة، وعلوم الخلق، ونكر أفعال العباد عن مشيئة الله، فعنهم أن أفعال العباد ليست بمشيئة الله، والعبد يتصرف بغير
مشيئة الله، والله لا يقدر على أن يغير من حال الإنسان شيئاً.
فيتمن ذلك تعزز الطب - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-
ويحرون أفعال العباد عن ملكه، فمضمون قولهم: أنه تعالى ليس له الملك كله!
وله السنة والجماعة يؤمنون بأنه تعالى له الملك كله،
وله الأمر كله.
ومع الإيمان بالقدر بما يشتمل عليه من الأمور الأربعة التي
نقول: إنها مراتب الإيمان بالقدر؛ فإنه يجب الإيمان بالشرع،
قُدْمَ أُخْرِجَ عَنْ أُمَّةٍ مِّنْ أَمْرِهِمْ (١)، فمنهم:
من آمن بالشرع، وأنكر القدر، وهم: القدرية؛ كالمعتزلة،
وغيرهم.
ومنهم: من آمن بالقدر، وكفر بالشرع، أو أعرض عن
الشرع، ولم ينظر إليه؛ كالجبرية الذين يقولون: الإنسان مجبور
على أفعاله، وشرهم الذين يعارضون الشرع بالقدر، ومنهم
المشركون الذين قالوا: "إِنَّ اللَّهَ كَبِيرُهُ"، (الأنعام: ١٤٨)
فعارضوا دعوة الرسل محتجين بالقدر.
وطالفة قالوا: إن الشرع، والقدر فيهما تناقض، فطعنوا في
حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعارض بين الشرع، والقدر، وإن أثبتهم
وتسمى: الإبليسية؛ فزعمهم في هذا إبليس، فهو الذي اعترض

(١) الرسالة التدمرية مع شرح الشيخ البراك ص. ٤٨٨.
على الرب، وطعن في حكمته، مع إقراره بالشرع والقدر، فكان هو إمام هذه الطائفة المخلوطة.

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بالقدر بما يشتمل عليه من الأمور الأربعة، ويدعون بالشرع، وأن الله أمر عباده بالإيمان والطاعات، ونهاهم عن الكفر والفسوق والعصيان، وأنه تعالى يحب المتقين، والمقتضين، والتوابين، والمتطهرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والمفسدين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين.

والإيمان بالشرع يتضمن الفرق بين ما يحبه الله ويبغضه، ويتضمن إثبات الأسباب، وكونها مؤثرة بإذن الله، ويدخل في ذلك الإيمان بأن العباد فاعلون حقيقة، وأن لهم مشيئة، واختيارا خلافا للجبرية، وأن الله خلق قدرتهم، وأفعالهم كما تقدمت الإشارة إلى هذا عند ذكر وسطية أهل السنة والجماعة بين الجبرية والقدرية(1).

ولا يستقيم أمر العباد، وإيمانهم؛ بل لا تستقيم الحياة إلا بهذا وهذا، فمن أنكر واحدا منهما، أو غفل عنه ضل عن الصراط المستقيم، وانحرف في سلوكه وتصرفاته، وفسد من أمور المجتمع بحسب ما وقع من الخلل في ذلك، فلا بد من النظر إلى الأمرين جميعا، ووضع كل من الأمرين في موضعه، فنعيد
المصائب عليك أنت تنظر إلى القدر، وتؤمن بقدر الله، ولا تسخط من قضاةه وقدره.

وعند المعائب والمعاصي عليك أنت تنظر إلى الشرع؛ فتلوم نفسك، وتستغفر وتتوب إلى ربك، وتراعج نفسك وتندم.

ومن نظر إلى القدر عند المعاصي هانت عليه، وأصبح لا يبالى بمعصية الله فيقدم عليها، ويسخف بها.

وقول الشيخ: «وقد أمر العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقيين والمحسنين» إلخ.

هذا تفصيل لقوله: «والعباد فاعلون حقيقة» فما داموا هم الفاعلون حقيقة إذا فالعبد هو: المؤمن، والكافر، والبر، وال岌جر، والمطيع، والعاصي إلخ.

وقول الشيخ: «ويبخرون فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبو العباد قدرته واختياره».

منهم الجبرية؛ فالجبرية يغلون قوم في إثبات القدر، فهم يقولون بعوم مشيئة الله، وبعوم قدرته وخلقه، ولكنهم غلوا حتى سلبو العباد قدرته واختياره.

وقول الشيخ: «ويخرجون عن أفعاله، وأحكامه جَجَّمها ومصالحها».

وهو ما يتضمنه مذهب القدرية الجبرية من نفي الحكمة، فعندهم أن كل ما هو ممكن يجوز على الرب، وهو تعالى.
يتصرف بزعمهم بمحض المشيئة لا لحكمة، فهو يجعل هذا طائعا، وهذا عاصبا، أو يذيب هذا، وينعم هذا، أو يأمر بكذا، وينهي عن كذا؛ كل ذلك بمحض المشيئة، فلا فرق عندهم بين أمره بالتوحيد، ونهيه عن الشرك، ولذا يجوز عندهم العكس، وهو: أن يأمر بالشرك، وينهي عن التوحيد!
وأن تنعيمه للمؤمنين والصالحين في الجنة، وتعذيبه للكافرين؛ كل هذا بمحض المشيئة ليس في شيء من ذلك حكمة. - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.
مذهب أهل السنة في الإيمان، ومرتكب الكبيرة

ومن أصول [الفرقة الناجية] (1): أن الدين، والإيمان قول وعمل: قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارج، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، ويتقص بالمعصية [32/2].

وهم مع ذلك لا يكفرن أهل القنبلة بمطلق المعاصي، والكبائر، كما فعل الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سباحان في آية القصاص: {فَمَنْ عَمِلَ غَيْبَةً لَهُ مِنْ أَحَدِ شَيَّٰطَٰئِنَّهُ} [النساء: 178]، وقال: {وَلَا تَغْلِبُوا عَلَى الْآخِرَةِ فَقَلِيلًا أَنْ تَعْمَلُوا أَثْمًا إِلَّا إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِمَكْسُوبٍ} {العَدْجَرَاتٍ: 91}.

ولا يسلبون الفاسق المحلي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة; بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله: {فَخَافْرُ رَبّكَ مُؤْمِنًَ} [التوبة: 92]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ فَيُقَلُّ لَهُمُ اللَّهُ وَمَلَأِيُّهُمْ} [الأنفال: 2]، وقال النبي: {لا يزني الزاني حسن يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن} (2).

(1) في م: أهل السنة والجماعة.
(2) زيادة من م.
ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهي به نهية ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهيها وهو مؤمن (1) ويقولون: هو مؤمن ناقص الإمام، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم．

عقد الشيخ ﷺ هذا الفصل؛ لبيان مذهب أهل السنة في ثلاث مسائل سبقت الإشارة إلى بعضها، عند الكلام على وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة (2) المسألة الأولى:

ما يتناوله اسم الإيمان - أي - مسمى الإيمان ما هو؟ يقول الشيخ ﷺ: «من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل».

قول وعمل خلافا للمرجعة الذين يقولون: إن الإيمان تصدق القلب فقط، وأما الأعمال فليس من الإيمان، أو كقول الجهمية: هو المعرفة، والمعنى متقارب.

وخلافا للكرامية الذين يقولون: الإيمان هو التصديق باللسان، فمن صدّق بلسانه؛ فهو مؤمن يعني: في الدنيا، وإن

(1) رواه البخاري (2475)، ومسلم (76) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
(2) ص: 184 وما بعدها
كان مخلدا في النار يوم القيامة.
لكنه في الحقيقة ليس بمؤمن، من صدّق بلسانه، وأظهر
الإيمان بلسانه فقط؛ فليس بمؤمن في الحقيقة، بل هو منافق هذا
هو اسمه الشرعي قال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَنَزَكَّرَنَّهُمْ أَمَامَ اللَّهِ}
وِيَلْهُدُوهُ آخَرًا وَمَا هُمْ يُؤْمِنُونَ [التوبة]
وخلافا لمرجع الفقهاء كالإمام أبي حنيفة، ومن تبعه الذين
يقولون: الإيمان تصديق القلب، وإقرار اللسان.
وأئمة أهل السنة ينكرون كل هذه الأقوال، ويقولون: إن
الإيمان قول وعمل؛ للأدلة الكثيرة التي دلت على هذا، فالرسول
فسر الإيمان في حديث جبريل: {أن تؤمن بالله ملائكته
وكتب...} الحديث (1). بأصوله السنة، وهي اعتقادية.
وفسر النبي ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بأمور
عملية قال لهم: {أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا الله
إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيذاء الزكاة،
وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس} (2).
فسره بأمور عملية بنحو تفسيره للإسلام، وأبلغ من هذا قوله
: {الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها

(1) تقدم تخرجه في ص 39.
(2) رواه البخاري (53) - واللفظ له - ومسلم (17) من حديث ابن عباس.
قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمامة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(1).

يقول الشيخ: "من أصول السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل" ثم يفصل ذلك بقوله: "قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح".

يعني: أن الإيمان يشمل هذه الأمور الخمسة:

قول القلب يعني: اعتقاد القلب، وهو تصديقه.

وقول اللسان: هو الإقرار، كما يقر الكافر عند إسلامه.

بقول: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله".

وعمل القلب: كمحبة الله تعالى، ورسوله ، وأوليائه، ومحبة ما يحب، والخوف من الله، ورجائه، والتوكل عليه.

ومثله: كذكر بأنواعه، وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وعمل الجوارح: كالصلاة، وما فيها من عمل الجوارح؛ كالقيام، والركوع والسجود، والحج، وما فيه من عمل الجوارح؛ كالطواف، والسعي، وسائر المناسك؛ فالإيمان يشمل ذلك كله.

(1) رواه البخاري (9)، ومسلم (35) - واللفظ له - من حديث أبي هريرة.
فالإيمان بضع وستون شعبة؛ فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والحج من الإيمان.

قوله: «قول القلب واللسان».

هذا تفصيل لقول أهل السنة: قول القلب واللسان يعني: اعتقاد القلب، وإقرار اللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

وهذا أتم من قول من يقول: إن الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. صحيح أن هذا يرد مذهب المرجئة، لكن ما ذكره الشيخ من هذه الأمور الخمسة ألم؟ لأنه يستوعب كل جوانب الإيمان.

وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه أن الإيمان قول، وعمل، خلافا لكل من أخرج الأعمال عن مسّي الإيمان؛ فالأعمال من الإيمان، وأدلة ذلك ظاهرة بيئة لمن تدبر نصوص الكتاب والسنة.

المسألة الثانية:

أن الإيمان يزيد وينقص، وكثير من المرجئة يقول: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه التصديق، هو شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وقد قلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد وينقص، وما دخلته الزيادة دخله النقص، إذا خلا من الزيادة قال تعالى: «ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم» [الفتح: 42]؛ «وإذا تثبت عليهِم ائذانهم، رادهم إيمانًا وعلّى ريبهم بسّعونون» [الأنفال: 2]، «أَلْيَتَّفَّلُوا لَهُمُ الآخِيََّةُ إِنّ آتَانَا قَدْ جَعَلْنَا لَكُمُ فَاخْتُصُّوْمُ فَرَادُّهُمُ إِيمَّانًا وَقَالُوا حُسْبَنَا اللَّهُ وَيَتَّعُّمُ الْوَسْكِيَّلُ» [ال عمران: 77].
الطاعة، فكل من كان الله أطوع كان إيمانه أكمل، والصديق بالقلب يقوى ويفضع. وينقص الإيمان بالمعصية، وهذا هو المعقول، أفيكون إيمان التقي المستقيم على أمر الله ظاهراً وباطناً كإيمان المنتهك لحرمات الله؟

أفيكون إيمان آحاد المؤمنين كإيمان الكَّل من المؤمنين كأبي بكر وعمر فضلاً عن فهم؟

وكل من أورتي علماً وبصيرة، وتفقداً لحاله؛ فإنه يحس بزيادة الإيمان ونقصه: بقوة الخوف من الله، وقوة التوكل، فالخوف يقوى ويفضع، والتوكل يقوى ويفضع، والرجاء يقوى ويفضع.

هذا في أحوال القلوب فضلاً عن الأعمال الظاهرة.

وكمما تقول المرجئة: إن الإيمان واحد، وأهله فيه سواء، كذلك الخوارج والمعتزلة عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص بمعنى أنه كل لا يتجزأ، فإذا فات منه جزء، أو فقد منه جزء zal الكل، كمرتكب الكبيرة يزول إيمانه كله بزوال بعضه بفعل تلك الكبيرة.

وعند أهل السنة: لا يزول كل الإيمان بزوال بعضه.

الإيمان شعب كما في الحديث(1)، لكن منها شعب قد

(1) تقدم تخريجه ص: 250 .
يُزُول الإيمان بِزوالها، وَشَعَب لا يَزُول الإيمان بِزوالها، وَإِلَّا لِوُقِع النَّاس فِي حَرِج عَظِيمَ.

السبأة الثالثة: حَكِيم مُرْتَكِب الكبيرة:

أهل السنة والجماعة لا يكرون أهل القبلة بمطلق المعاصي، وأهل القبلة هم: كل من أظهر الإسلام، ولم يأت ناقضا من نواقضه، كما في الحديث عن النبي ﷺ: "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم..." (1) فكل الطوائف التي لا تحكم بكفرها، فهي من أهل القبلة، والمنافقون من أهل القبلة في الظاهر، إلا فهم ليسوا من المؤمنين، بل هم مع الكافرين قال تعالى: "فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ الْمُتَّلَفِينَ وَالْكُفَّارِ فِي جَهَّامٍ جَيْهَانَ" [النساء: 101]، وقال تعالى: "فَإِنَّ الْمُتَّلَفِينَ فِي الْذَّرَارِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَقْتُلَنَّهُمْ نَصْيَرًا" [النساء].

فأهل السنة لا يكرون أهل القبلة بمطلق المعاصي: أي لا يقولون: يكفر بفعل أي معصية.

فالمعاصي أنواع: معاصي توجب الكفر، وتنقض الإسلام.

كالاستهقاء بآيات الله ورسول الله ﷺ يُؤْذِرُ النَّافِقُونَ أنْ تَرْزَل عَلَيْهِمْ سَوْرَةً تَنْكِهُمُ يَا مَا كَانَ مِنْ يَدٍ لَّهُمْ مَعْذُورًا، وَلَكِن سَأَلْتَهُمُ لِيُؤْوِيَنَّكَ إِنْ بَلَّانَا حَكْمًا وَلْيُعْلَمُ فِي قَلْبِكَ أَيَّانَهُ" [التونة].

(1) رواة البخاري (291) من حديث أنس ﷺ.
وتوضيح مقاسمقيقة الوسطية

ومثل: سب الإسلام، أو سب الرسول هذا ذنب يخرج به الإنسان عن الإسلام؛ ولهذا قال الشيخ: "إن أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي، خلاؤا للخوارج، فإن الخوارج يكفرون بالذنوب، والمعروف أنهم يكفرون مرتكب الكبيرة".

فمن ارتقب كبير من كبارذنوب خرج عن الإسلام عندهم، وصار مرتدًا خلال الدم والمال؛ كالسارق، والزاني، وشارب الخمر.


1) مقالات الإسلاميين ص 86، والملل والنحل 85/1، وقال الشيخ الإسلام: الخوارج يكفرون بالذنب الكبير، أو الصغير عند بعضهم. مجموع الفتوى 101/19.
والمعتزلة.
والخوارج لا يقتصرن على سلب الإيمان، بل يسلبونه الإيمان ويكفرون، أما المعتزلة فإنهم يسلبونه الإيمان، وأهل السنة لا يكفرون، ولا يسلبونه الإيمان، ولا يخلدونه في النار يوم القيامة، بل هو يوم القيامة تحت مسحة الله إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ثم يخرجه من النار برحمة الله، ويشفاعة الشافعيين من أهل طاعته، وكل ذلك من فضله، وكرمه، وإحسانه.

وذكر الشيخ: أن الفاسق يدخل في اسم الإيمان في بعض الآيات، وقد لا يدخل في بعض الآيات، ففي قوله تعالى: {فَتَحْيَرُ رَقْبَةٌ مَّوْمَعَةٌ} [النساء 93] هذه يدخل فيها الفاسق، فليس من شرط الرقبة التي أمر الله بتحريرها كمال الإيمان، بل يجزى تحرير رقبة إنسان ذكر، أو أنثى منه أصل الدين، ولهذا قال الرسول ﷺ للجارية - التي أراد سيدها أن يعتقها - {أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة} (1).

ولا يدخل الفاسق المطلق في الإيمان المطلق في مثل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللهُ وَجَعَلَ لَهُمْ مُّنَافِقَاتٍ وَإِذَا قَلُوهُمْ أَعَلَى مَا رَأَيْتُوهُمْ رَأَيْتُهُمْ إِنُّمَا يَفْكَرُونَ} [الأنفال 1].

(1) تقدم تحريره في ص 121.

المسلم الزاني وهو يزني عنه أصل الإيمان لا يزول عنه؛ لأنه لو زال عنه صار مرتداً، لكن يزول عنه الإيمان الكامل الذي يمنع من الإقدام على الفاحشة.

ومتي يعود له إيمانه؟ إذا تاب عاد إليه ما كان معه من إيمان.

وذكر الشيخ في ختام هذا الفصل حكم الفاسق - وهو مرتكب الكبيرة العاصي من المسلمين - أن أهل السنة يقولون فيه: «إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه» أي: هو مؤمن بما معه من إيمان.

فاسق بكبيرته، أي فاسق باعتبار الكبيرة.

يقول الشيخ: «فلا يعطى الاسم المطلق» فيقال: هو مؤمن، أو هذا مؤمن.

ولولا سلب مطلق الاسم، فيقال: إنه ليس بمؤمن؛ لأن هذه فيها سلب لمطلق الإسلام، فلا يعطى الاسم المطلق؛ بحيث

(1) تقدم ترجمته في ص 248.
يوصف بالإيمان الكامل، فيقال: هذا مؤمن.

ولهذا لما قَسَّم الرسول ﷺ قسماً، فقال له سعد بن أبي وقاص ﷺ: "يا رسول الله أعط فلانا فإنه مؤمن، فقال النبي ﷺ: أو مسلم، أقولها ثلاثاً، ويردها علي ثلاثاً، أو مسلم". {1}

ففرَق بين الإيمان والإسلام، الإسلام يقع على سائر المسلمين، فكل من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ولم يأتي بناقض من نواقض الإسلام، فهو مسلم، فاسم الإسلام أعم، وأوسع دائرة، ولا يكون الإنسان مسلماً على الحقيقة، إلا ومعه أصل الإيمان: إيمان القلب.

فكل مؤمن مسلم، وكل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً الإيمان الكامل.

فهذا تقرر مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسائل الثلاث:

في مسمى الإيمان، وما يتناوله هذا الاسم، وفي زيادة الإيمان ونقصانه، وفي حكم مرتكب الكبيرة، أو الفاسق العلي، يعني: بأي التعبيرين.

وقد أشار إلى مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، ومذهب الخوارج، ومذهب المعتزلة، فأهل السنة والجماعة يخالفون هذه الطوائف فيما ابتدعوه من الأسماء والأحكام، فمرتكب الكبيرة

{1} رواه البخاري (272)، ومسلم (150).
حكمه في الدنيا - مثلا -: أنه مؤمن ناقص الإيمان ليس بكافر، 
ولم يخرج عن الإيمان مطلقا، وفي الآخرة تحت مشيئة الله.

وهذا هو موجب عدل الرحب فلا يُسوَّى بين من آمن به،
وإرساله مع ارتكاب بعض الذنوب، وبين من كفر به، ورسله،
كما لا يسوى بين العاصي الفاسق المجترئ على حرمات الله،
ومن المنتقدين. {أَلَمْ تَحْمَلَ اللَّاهُ بَرَاءَةَ الْيَدِينَ وَكَبِيرًا الصَّبْحَاتِ كُلُّ مِثْلِهَا فِي 
الْأَرْضِ أَلَمْ تَحْمَلَ الْمُطَّقَينَ كَالْمُحَارِقَ؟} [ص: 7].

[[broken line]]
من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم، وألسنتهم لأصحاب محمد ﷺ، كما وصفهم الله ﻭرَّأَيْنَاهُ ﺟَاثِرًا ﺑَعْدَهُمْ ﻛُبْرَاءً ﺑَرَاءَةً ﺇِنَّا وَإِلَيْهِ يَأْتُونَ ﺑَأْوَيْلٍ يَأْلَعُونَ ﻤَﺎ إِنَّهُمْ ﺑِالْيَلِدِينَ ﻮَلَّا يَأْلَعُونَ ﻏَيْلًا ﻛُلَّذَيْنِ ﺑَرَاءَةً إِنَّا إِلَيْهِ رَوَٰفُ ﺮَﺟٰٰمٌ ﺗَأْتُونَ (الحشر)، وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسروا أصحابي فوالذي نفسي لا يد له أن أحذ أنتف مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصبه»(1). ويقولون ما جاء به الكتاب، أو السنة، أو الإجماع من فضائلهم، ومراتبهم، ففضلون من أنفقت من قبل [3/318] الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفقت من بعده وقاتل. ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وثبعة عشر -: «عملوا ما شتمكم؛ فقد غفرت لكم»(2)، وليته لا يدخل النار أحد بابع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ(3)، بل قد رضي عنهم،

(1) رواه البخاري (327) - واللفظ له -، ومسلم (541) من حديث أبي سعيد الخدري.
(2) رواه البخاري (2007)، ومسلم (1494) من حديث علي بن أبي طالب.
(3) رواه مسلم (1496) من حديث جابر عن أم مبشر.
ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمئة، ويشهدون بالجنة
لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة، وكثابت بن قيس بن
شماس، [وغيرهم من الصحابة].

ويقرون بما توافر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب، وغيره، من أن "خيار هذه الأمة بعد نبها: أبو بكر,
ثم عمر". ويشلون بعثمان، ويربيعون بعلي، كما دلت عليه
الأثار، وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع
أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان، وعلي، بعد
اتفاقهم على أبي بكر، وعمر [أيها أفضل، فقدام قوم] عثمان،
وسكنوا، أو رفعوا بعلي، وقدام قوم عليا، وقوم توقفوا. لكن

(1) رواه البخاري (4840)، ومسلم (1856) من حديث جابر بن إب الله.
(2) رواه أبو داوود (4149)، والترمذي (7757) - وقال حسن صحيح،
وأبو ماجه (133)، وصحبه ابن حبان (1933)، والضاياء في المختارة.
(3) رواه البخاري (4842)، ومسلم (119) عن أس س.
(4) لا يوجد في ب.
(5) رواه أحمد 1/106 و17، والبخاري (371)، وأبي عاصم في السنة
0/2-505-508، والطبراني في الكبير 1/107، وأبو نعيم في حلية الأولى
7/199-201-202، وقال سفيان الإسلام - أيضًا : وقد ثبت عن علي في صحيح
البخاري، وغيرهم من نحو ستمائين وجهًا أنه قال: "خيار هذه الأمة بعد نبها:
أبو بكر، ثم عمر". مجموع الفتاوى 2/672، ونحوه في 4/422.
(6) سقط من: ب.
استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يُشدد المخالف فيها عند (1) جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يُشدد المخالف فيها مسألة الخلافة.

وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة، فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويُؤSORونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم (2): "أذكروكم الله في أهل بيتها، أذكروكم الله في أهل بيتها" (3).


(1) في ب: الجمهور وجمهور.
(2) واد بين مكة والمدينة قرب الجحافة. معجم البلدان 7/389.
(3) رواه مسلم (2408) من حديث زيد بن أرقم.
قرش، واصطفى من قريش بين هاشم، واصطفاني من بني هاشم (1).

ويؤولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويقرون (2) بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصا خديجة، أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العليّة، والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: "فضل عائشة على النساء، كفضل الزيد على سائر الطعام" (3). ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤدون أهل البيت بقول أو عمل.

(الشعاع)

وأهلا السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج، ومنهج أهل السنة والجماعة يتضمن هذه الأمور التي

(1) رواه مسلم (2476) من حديث واثلة بن الأسقع.
(2) في ب: يؤمنون.
(3) رواه البخاري (2411)، ومسلم (2431) من حديث أبي موسى الأشعري.
(4) ص: 188.
ذكرها الشيخ، فمن أصول أهل السنة في هذا الباب:

سلمت قلوبهم من بعض الصحابة، ومن الغل والعقد عليهم،
وذلك ألسنتهم سليماً فلا يسبون، ولا يبرؤون من أحد منهم،
بل يحبون أصحاب رسول الله ﷺ بقلوبهم، ويشون عليهم
بألستهم، ويدعون الله لهم، كما وصف الله التابعين لأصحاب
الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار فقال الله سبحانه:

وَآتَيْنَاهُم مَعْدُودًا فَطَلَبُوهُمْ رَبُّهُمْ أَنْ يَعْفَّٰضُكُمْ
ِلِ‌لِبَاءَنَّ وَلَيۡسَ ۖ إِلَّا ۖ إِلَّا إِلَّهُ رَبُّ ۖ رَحْمَٰنٌ رَحِيمٌ

[الحجرة].

فسألوا ياهم أن يظهر قلوبهم من الغل، وهذا مشروع من
المؤمنين لإخوانهم عموماً، لكن أحق الناس بذلك هم الصدر
الأول: أصحاب الرسول ﷺ.

وكذلك أهل السنة والجماعة يطيعون الرسول ﷺ أكمل طاعة
في قوله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فإن الذي نفسي بيده لو أنفق
أحدكم مثلاً أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه".

قال هذا لبعض الصحابة الذين تأخر إسلامهم من بعد
الفتح، وهو خالد بن الوليد لما كان بينه وبين عبد الرحمن بن
عوف بعض الاختلاف فقال ﷺ لخالد بن الوليد: لا تسبوا
 أصحابي. (.1)

---
(1) تقدم تخريجه في ص: 259.
فالصحابية مراتب فبعض الصحابة أكمل صحبة من بعض، فالتتابع الأولون ليسوا كالذين تأخر إسلامهم، وهذا - أيضًا - ينسحب على من جاء بعد الصحابة قوله: «لا تسبوا أصحابي» وإن ورد على هذا السبب، فإنه يتضمن نهي من يأتي بعد عن سب أصحاب الرسول ﷺ.

وقد قال الرسول ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتأله كفر» (1). إذا كان أي مسلم سببه فسوق، فكيف بسب أحد من أصحاب الرسول ﷺ؟ فكيف بسب أفضل الصحابة وأكبرهم؟

وقد باع بهذا الأئمة الطائفة المخزولة الشقية طائفة الرافضة، فهم شر طوائف الأمة أشدها بغضنا وسبا وظلمها لأصحاب الرسول ﷺ.

ولهذا قال الشيخ في آخر الكلام: «وتبقرون أهل السنة والجماعة - من طريقة الرؤاف الذين يسبون الصحابة، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت يقول أعمل». ومن تفصيل مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ﷺ: أنهم يفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل، على من أنفق من بعد الفتح وقاتل، وليس المراد بالفتح فتح مكة كما يتبادر لأذهان كثير من الناس. لا، فالفتح هذا هو صلح الحديبية، وهو الذي أنزل الله فيه: «إِنَّا مُتَّجَهِّرُونَ بِمَا مُتَّجَهِّرُونَ» (الفتح)، وكان

(1) رواه البخاري (84)، ومسلم (24) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.
صلح الحديثة سببًا لفتح مكة، وبين الفتحين قريب من سنتين.

وهذه المفاضلة بناء الله تعالى إليها بقوله: "لا يسوى ينكر من أنفق من قبل الفتح وقتل أولئك أعظم درجتان من الذين أنفقوا بن بني بئس وقُنطَوا وَلَوْ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ" [المحج: 10]. لكن مع الفارق، فالدين أنفقوا، وقاتلوا في أيام الشدة، وقفة النصير لا يساويهم، ولا يدانيهم من أنفق بعد ما قويت شروكة الإسلام، وظهر دين الله، والكل قد وعدهم الله الحسنى، لكن مع التفاوت والمفاضل الذي لا يقدر قدره إلا الله سبحانه.

ومن تفاصيل هذا الأصل: أن أهل السنة يق denom المهاجرين على الأنصار؛ لأن الله قدفهم في الذكر، فأي آية يذكر الله فيها المهاجرين والأنصار، فإنه تعالى يقدم المهاجرين: "وَالسَّيِّقَونُ الأوَّلَونِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنصارِ" [التوبة: 100].

كما أنهم يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة عمومًا وخصوصًا، فيؤمن ويسدقوه بقوله: "إِلَّا أَهْلُ الْبَرَزَقِ فَقُدْ غَفَرَ لَهُمْ وَأَطَلَعَ عَلَى أَهْلِ الْبَرَزَقِ فَقُدْ غَفَرَ لَهُمْ وَأَطَلَعَ عَلَى أَهْلِ الْبَرَزَقِ" (1). فيعرفون لأهل بدر هذه الفضيلة العظيمة، كما أنهم يؤمنون بما أخبر به الرسول من قوله: "لا يدخل النار أحد بابع تحت الشجرة".(1)

(1) تقدم تخرجه في ص: 259.
وهم أهل بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، الذين قال الله فيهم: {فَالَّذِينَ رضُوْكَ الَّذِينَ عُنُوَّنِيَ إِذْ يُبْيِعُونَكَ خَتَمَ الْكِتَابَ فَيُلِبَّصُّنَّ أَجْزَاهُمْ مَا كَبَرَ مِنْهُمْ} [الأنفال: 18] من الصداق في الإيمان، ونصرة الرسول ﷺ، والصداق في مبايعته {فَأُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ وَأَنْبِئْنَهُمْ فَنَّكَارًا} [الأنفال: 18] بابيعوا الرسول ﷺ في ذلك الموقف على الموت (1)، أو بابعوا على ألا يفرو (2)؛ ففازوا بهذا الوعد، وفازوا بهذا الثناء، إنها فضيلة لا يدركها أحد بعدهم.

وأهل السنة يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومناقبهم، و مما يدخل في هذا: أنهم يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة، وهم: أبو بكر، عمر، وعن言った، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح، هؤلاءٌ هم العشرة (3)، والمبشرون بالجنة

---

(1) رواه البخاري (1960)، ومسلم (1860) من حديث سلمة بن الأكوع.
(2) رواه مسلم (1856) و(1858) من حديث جابر بن عبد الله، ومعقل بن يسار.
(3) نظم ابن أبي داود في حائطه البيت (18) أسماؤهم - بعد ذكر الخلفاء -:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعمرو فهر والزبير المعتذٰح.

ومنها آخر:...

للصفي من خير صحب نص أنهم في جنة الخلد نما زادهم شرفًا.

هم طلحة وابن عوف والزبير مع أبي عبيدة والسعدان والخلفاء.

التوبة السنة للشيخ عبدالرزاق العباد ص 114، وتخرج الحديث في ص 260.
كثير، ومنهم: ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي (1)، ومنهم الحسن والحسين (2).

وهذه بشارات على وجه التعيين فلان وفلان وفلان، وتقدم أنه ممن يُشهد لهم بالجنة كل من بايع تحت الشجرة - أهل بيعة الرضوان - الذين قال فيهم الرسول ﷺ: 'لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة'.

فهذا يقتضي أن أهل السنة والجماعة يقفون مع النصوص، ويؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق، فكل ما أخبر به فهو حق من عند الله.

ومن المسائل الكبيرة التي تدخل في هذا الأصل: أن أهل السنة يؤمنون، ويقبلون ما تواتر عن علي ﭼ وعند غيره: 'أن أفضل هذه الأمة: أبو بكر، ثم عمر' (1)، ويشتكون بعثمان، ويربعون به. فأهل السنة والجماعة قائلون بأن أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون، وأن ترتيبهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، فأفضل هذه الأمة على الإطلاق أبو بكر ثم عمر، وهذا بإجماع المسلمين الأولين والآخرين بإخراج طائفة الروافض.

---
(1) تقدم تخرجته في ص: ۲۶۰.
(2) رواه أحمد ۳/۳، والترمذي (۳۷۸)، وابن حبان (۱۹۵۹)، والحاكم ۳/۱۶۷ وصححوه من حديث أبي سعيد الخدري ﭼ.

وذاك يعني أن الخلاف قد ارتفع، وأجمع أهل السنة أخيرًا على تقديم عثمان على علي.

لكن يجب أن يفرّق بين مسألة المفضلة بين عثمان وعلي، وبين الطعن في خلافة عثمان، فلا يلزم من تفضيل علي على عثمان الطعن في خلافة عثمان، فمسألة تفضيل علي على عثمان يقول الشيخ: ليست من المسائل التي يضلل المخالف فيها.

أما مسألة الخلافة؛ فمن طعن في خلافة واحد من الخلفاء الراشدين فهو ضال أصل من حمار أهله، فمن طعن في خلافة عثمان، وقال: إنه تقدير للمفضل، وإنها كان عن محاوبة من بعض الصحابة، وإن عثمان قد هضم حق علي، فهو ضال مضل.


(1) روي هذا عن: أبوب السختياني، وأحمد بن حنبل والدارقطني رحمهم الله.
الفصل (١)

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ومنهجهم في أصحاب الرسول ﷺ: سلامة قلوبهم وألسنتهم، ومحبتهم، وإنزال كل منزلته، وهذا هو العدل.

وكلما من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يعرفون لقرابة الرسول ﷺ فضلهم، و يحافظون وصية النبي ﷺ في أهل بيته حين قال يوم غدير خم: "أذكركم الله في أهل بني، أذكركم الله في أهل بني" (٢) وأهل بيته قرابته القربي الآدنون، وهم بنو هاشم، ثم قريش على مراتبهم لهم حظهم، وشرفهم من قرابة النبي ﷺ برابته للنبي ﷺ، ولكن هذه الفضيلة لا تتحقق إلا مع الإيمان، فإذا لم يتحقق الإيمان فلا تنفع الأنساب، فأبو لهب، وأبو طالب لم تنفعهم قرابتهم من النبي ﷺ، حين كذبوا دعوته، ولم ينقادوا لها.

وقال ﷺ - حين شكا إليه العباس أن قريشًا تجفوا بني هاشم - "والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحسبكم الله - يعني: الإيمانكم، ولقرابتي" (٣) فمن كان مؤمناً من قرابة النبي ﷺ، وصحبه؛ فإنه اجتمع له فضل الصحابة، وفضل القرابة، كاعلي له فضل الصحابة فهو من سادات الصحابة، ومن السابقين.

(١) انظر مسألة علي وعثمان في: منهج السنة /٧٣، ومجموع الفتاوى ٤٢٥ /٤، وفتح الباري /١٦، وفتح المعثث /٥٧ /٥.
(٢) تقدم تجريبه في ص: ٢٦١.
الأولين، وفضل القرابة فهو أفضل قراءة النبي ﷺ.

وذلك من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يوالون ويبون
أزواجه النبي ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون أنهن زوجاته في
الآخرين، ويعرفون لهن فضلتهن، فلهن فضل الصحابة، وفضل
صلتهن بالنبي ﷺ (التي أول بأمره من أنفسهم وأزيحه أمهم)
[الأحزاب: 26]، وهذه الأمومة أمومة حمرة، وكرامه، ليست أمومة
القراءة التي يبين على ما يبني من أحكام الميراث وغيره، قال
 تعالى: "بِيَانِيَ الْيَوْمِ ِلَّا سَتَّ أَهْلُ السَّلَامِ إِنَّ الْيَوْمَ لَتَمْصَّصَّنَ
بِالْقُوَّةِ فِي عِظْمِهِ ِ وَمَرَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ يَوْمَ الْيَوْمِ ِ وَرَأَى مَا
َوَّلَ أَمْرَهُ مَعْرُوفًا وَقَرَنَ فِي سَبِيلِ َ إِنَّهُ يُحَدَّثُ عَنْهُمْ إِلَى
وَأَطْنَى اللَّهُ وَسَوْيَةً إِنَّما يُبْدِعُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْ أَلْبَسْ َ إِلَى
وَيُطَهِّرُ أَطْهَرَهَا َ [الأحزاب]. وهذه الأية تدل - على الصحيح
- على أن زوجات النبي ﷺ من أهل بيته; بل هن أولى من
يدخل في هذا الاسم(1).

يقول شيخ الإسلام: وخصوصا خديجة وعائشة. فخديجة أم
أكثر أولاده; لأنها أولى زوجاته، وهي من أسبق السابقين إلى
الإسلام، وعائشة التي قال فيها الرسول ﷺ: "فضل عائشة على
النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام"(2).

(1) التمهيد 17، ومنهج السنة 24 و73، وجلاء الأفهام ص 337.
(2) تقدم تخريجه في ص: 410. 
والشريد هو: الخبز باللحم، وهو من أفضل الطعام.
وأهل السنة مختلفون في المفاوضة بينهما، فقوم فضلوا
عائشة، وقوم فضلوا خديجة، ومنهم من قال: إن هذه أفضل من
وجه، وهذه أفضل من وجه
(1) , وعندى - والله أعلم - أن القول
بتفضيل خديجة: قول قوي ; لأدلة كثيرة دالة على فضلها
(2)
وكلهن فضليات - رضي الله عنهن - .

(1) هذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وا ابن القيم، مجموع الفتاوى 4/393،
ويدائح الفوائد 3/1104، وجلاء الأفهام ص 213.
(2) وهذا اختيار الحافظ ابن حجر. فتح الباري 7/134.
وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: "إنهم خير القرون" (1)، "إذا كان أحمد متدمن عليه فإنه صدق به" (2) ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، [و] (3) أنى بهسنت تمحوها، أو غفر له بفضل سابقه،

(1) رواه البخاري (2652)، ومسلم (2537) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(2) تقدم تخريجه في ص: 209.
(3) في ب و م: أو.
أو بشفاعة محمد ﷺ الذين حمّل الناس بشفاعته، أو أبتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه؛ فإذا [١٤١٨] كان هذا في الذنوب المحققة، كيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا، فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.
ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزير مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم: من الإيمان بالله، ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.
ومن نظر في سيرة القوم بعلم، وبصيرة، وما تأمّل الله به عليهم من الفضائل؛ علّم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان، ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوء من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله تعالى.

الشعر

تقدم ذكر جمل من المسائل التي يتضمنها منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ﷺ، ومن منهجهم وطريقتهم القوية السليمة أنهم يمسكون عمّا شجر بين الصحابة، فلا يخوضون فيما وقع بينهم من الخلاف، والنزاع، والحروب، ولا يجعلون ما جرى بين الصحابة حديثًا يتسلون به؛ فضلاً عن أن يذروعا به إلى الطعن في أصحاب الرسول ﷺ بل يعرضون عته، وبغفلون عنه؛ لأن مع ما في الخوض فيه من المفساد؛ فإنه
أيضاً يلزم قلوب المؤمنين؛ فلا يحبون التكلم فيه والتثاغل به؛ بل إذا تذكروا ذلك، أو ذكروا لهم وقفوا، وجزوا من يخوض في ذلك، وبإذون بالترضي عن أصحاب الرسول ﷺ، والدعاء لهم بالغفرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَيْغَفْرُنَا لَكُمْ وَلِإِخْرَاجِنَا الْأَلْبَابِ سَبْعَةً مَّنْ أَمَاتِي إِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [العنص].

فلا يخوضون فيما شجر بين الصحابة لا كلاماً، ولا كتابة، وتأليف، فتسترغ ما جرى بين الصحابة لا خير فيه، اللهم إلا من يكتب للرد على المبطلين وإزاحة الشبه(1)، فيكون هذا الكلام، وهذا التأليف ليس مقصوداً لذاته، فلا يقصد به مجرد الأحاديث التاريخية، والخوف الذي تزجي به الأوقات، يؤدي إلى تسود القلوب.

ومن أحسن ما أثر في هذا قول عمر بن العزيز ﷺ: لما قبل له: ما تقول في أهل صفين، فقال: تلك دماء ظهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لسانى بها(2).

وهذا معنى عظيم، وأصل يجب التفطن له والتمسك به؛ بل إن هذا المعنى هو الواجب نحو ما يكون بين المسلمين، كيف بأصحاب الرسول ﷺ الأخيار، خير هذه الأمة.

ثم من هذا الأصل يقولون: إنما نقل من المساوئ من تلك

(1) منهج السنة 254/2
(2) حلية الأولياء 9/114
الحروب، أو غيرها منها: ما هو كذب، فالأخبار التاريخية كثير منها كذب، وقد يكون أصل الخبر واقعاً، لكن التفاصيل منها ما هو كذب، ومنها ما زيد فيه ونقص، وظير عن وجهه، هذا قسم.

والصحيح مما أثر من مساوئ الصحابة هم فيهم معدون، وهم ماجرون؛ إما ماجرون مصيوبون، وإما ماجرون مخطئون، فهم ماجرون بأجر، أو أجران، فيجب الكف عن الخوض في مساوئهم، والتماس العذر فيما ثبت، وما لم يثبت لا ينظر فيه.

ولكن ما ثبت يخرج على هذا الوجه، أن ما وقع هو اجتهاد، وهذا لا يقتضي أن الصحابة معصومون، بل أهل السنة لا يقولون: إن أحداً من الصحابة معصوم، فالعصمة إنما هي للرسول ﷺ.

أما الصحابة فهم بشر تجوز عليهم الذنوب في الجملة، وتعرض لهم العوارض النفسية، وتحصل من أحدهم الزلة، والله تعالى يقول: "إِذْ أَلْفَتُكُمْ أَنْتُوا إِذَا مُسِّهِمْ طَيِّبًا مِّنَ السُّنَّةِ تَذْكَرُواْ إِذَا هُمْ مُّبِيِّنُونَ" [الأعراف] انقوا: فالمترون قد يذنبون، ويقول تعالى في صفة المتين الذين يعذ الصحبة في أول، وأعلى درجاتهم من هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: "وَذَلِكَ إِذَا فَسَّرُواْ فُجُحَةً أَوْ طَلَّمُواْ أَنْفُسَهُمْ دَكَّرُواْ اللَّهُ قَاصِرَةً إِلَّا إِنْ تَفْعَلُواْ نِفَاطِمًا وَمَنْ يَفْعَلُ النَّذُرَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمَّا

(1) انظر: مجموع الفتوى 289/10، وأصول الفقه لأبي مفصل 1/322، وشرح الكوكب المنير 169/2.
вестиّوا على ما فعلوا، وهم يعلمونُ [ال عمران].

وإذا علم هذا فما يُقدّر أن يقع منهم من ذنوب فإن لهم من أسباب المغفرة ما ليس عند غيرهم، فإنه يغفر لهم إما بالتوية، وهم أخرون بها، وإما بالحسنات الماحية، أو المصائب المكفرة، هذه مكفرات الذنوب لهم ولغيرهم، ولكنهم هم أوّل بها، ونصيبهم منها أعظم وأكبر، أو يغفر لهم بشفاعة النبي ﷺ الذين هم أحق بشفاعته.

مع أن ما يُقدر أن يصدر عنهم إن صدر نزر قليل في جانب فضائلهم، وحسناتهم، فإن لهم سواقة، وفضائل لا يلحقهم فيها غيرهم، وقد قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصيته»(1).

كيف وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذي يلونهم"(2). وقرنوه هم الصحابة ﷺ.

فالمقصد: أن الواجب هو الكف عن مسائلة الصحابة، والتماس العذر لهم، وذكر ما لهم من الفضائل والسواقة، وما لديهم من أسباب المغفرة، وما يكون منهم من ذنوب، فإن ذلك مغمور في جانب حسناتهم وفضائلهم(3).

(1) تقدم تخريجه في ص 259.
(2) تقدم تخريجه في ص 272.
(3) ينظر كتب: "المنهج في التعامل مع روایات ما شجر بين الصحابة" للدكتور/محمد أبو الخيل.
وختاماً، يقول الشيخ: «إن من نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وصدق، وعدل علم أنهم خير الناس بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم».

وهذا يستفاد من قوله تعالى: "كُنتم خِيْرُ أُمَمٍ أَخْرَجْتُ لِلْذَّاَلِكَ" (آل عمران: 110). فإذا كانت هذه الأمة خير الأمم، والصحابة خير هذه الأمة؛ تبين أن الصحابة خير الناس بعد الأنبياء، لا كان في الماضي مثلهم، ولا يكون في آخر الزمان مثلهم.

وأما ما ورد في صفة، وأجر الغرباء، وأن للعامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة، فهو محمول عند أهل العلم على الفضل المقيد: لهم أجر خمسين في صبرهم على البلاء، وتسلط الأعداء، مع قلة المعين، لا أن لهم أجر خمسين من الصحابة في كل عمل; فيكونون بهذا أفضل من الصحابة لا، بل هم أفضل من الصحابة في خصلة من حصال الدين، وفضيلة من الفضائل، فلا يكونون بهذا أفضل من الصحابة مطلقًا، فالتفضيل المقيد لا يوجب الفضل المطلق.

---
(1) رواة أبو داود (4441) الترمذي (3058) - وقال: حسن غريب - ، وابن حبان (385)، والحاكم 4/272 - وصححاه - من حديث أبي ثعلبة الخشني -، وحسن ابن القيم في الكافية الشافية ص 343-344 .
(2) الكافية الشافية ص 345-346، وفتح الباري 7/6-7، ونيل الأوطار . 352/8.
الإيمان بكرامات الأولياء

ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم، والمكاسبات، وأنواع القدوة والتأثيرات، كالمتأثر عن سلائف الأمام في سورة الكهف، وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

الشريع

الصديق بكرامات الأولياء - أي: الإيمان بأنها حق - وهي: ما يجري الله على أيدي أوليائه من خوارق العادات في العلوم والمكاسبات والقدرة والتأثيرات؟ كالمؤتى على الله عن بعض أوليائه في سورة الكهف، وما جرى لهم من خوارق العادات حيث مكثوا في كفهام [كلّ ياقين سبيّين، وأزدادوا يشعّا] [الكهف: 45] بقوا أحياء، ولم يموتا مع ما مضى عليهم من السنين، ومع ذلك لما استيقظوا صاروا يتكلمون في شأنهم وصلى ذلك بعشتهم، ليساءوا بهم قال قائل منهم: حَسْنُهُمْ يَنْفَعُهُمْ قَالَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ [الكهف: 19]، وهذا خارق للعادة، لو نام إنسان مدة طويلة هكذا ورام، لأن جسمه يحتاج إلى الغذاء، ينفد وقوته، وينفد طاقته، لكن هؤلاء مكثوا هذه السنين، ومع ذلك بقوا أحياء [وتثبّتُهم ذات آلِيمين وذات أَليِمَيْن] [الكهف: 18].
وكذلك ما أجرى الله على يد الخضر - على القول بأنه ولي لا نبي (1) - من الوقائع الثلاث التي استعتموها موسى: خرق السفينة، وقتل الصبي، وتقويم الجدار كل ذلك من خوارق العادات العلمية الكشفية التي أجراها الله على يدي عبده الخضر، فأهل السنة يؤمنون بكرميات الأولياء إجمالا، لكن من أصولهم الإيمان والتصديق بما ثبت وصح من كرامات الأولياء، وهم بهذا يخالفون أهل البدع كالمعتزلة الذين ينكرون كرامات الأولياء والأخبار مستفيدة في هذا الشأن، وقد ذكر المؤرخون أمورًا كثيرة، ومنها ما يشاهد بين حين وآخر، وكرامات الأولياء التي يجريها الله على أيديهم لا تزال جارية من صدر هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة، والله تعالى يجري كرامات الأولياء، وتقوى لإيمان بعضهم، وسندًا لحاجة بعضهم، فقد يقع العبد الصالح في ضرورة، ففي حدث الله له أمرًا خارقًا للعادة يكشف به ضرورته؛ فما صم من ذلك وثبت وجب الإيمان به وتصديقه، أما ما لم يثبت فإنه يتوقف فيه، ونقول: إنه ممكن؛ فلا نثبت ولا ننفيه (2).


تبع أهل السنة لآثار الرسول والصحابية بإجماع الأمة

ثم من طريقه أهل السنة والجماعة تتبع: آثار رسول الله باطنًا وظاهرًا، وتتبع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وتتبع وصية رسول الله حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها، ودعوا عليها بالنوازذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» (1).

وبعلم أن أصح الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، فيؤثرن كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقومون هدي محمد على هدي كل أحد؛ وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرق، وإن كان [4/2] لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجموعين.

[الجماعة] (3) هو الأصل الثالث الذي يعتمد في العلم والديين، وهو يُضيف بهذه الأصول الثلاثة جميعًا ما عليه الناس من

(1) في ب و م: فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.
(2) رواه أحمد 4/129، وأبو داود 2677 (4)، وصححه الترمذي (2677)، وابن حبان (5)، والحاكم 1/97 من حديث العريض بن سارية.
(3) من: م، وفي ظ و ب: الاجتماع.
أقوال [وأعمال] (1) باطن، وظاهرة مما له تعلق بالدين، وإجماع (2) الذي يضبط هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة.

الشرع

ومن أصول أهل السنة: اتباع آثار النبي ﷺ، وما جاء به ظاهرًا وباطنًا، اتباع آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهذا مما أمر الله به عباده، فقد أمرهم باتباع الرسول ﷺ: [ورأيتكم لم ليغتمكم تهيدون] (آل عمران: 158)، وقال تعالى: [فقل إن كنت تجدون الله فاتبعوني يحيطكم الله] (الآسر: 23)، وقال تعالى: [والسيفون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أنبقوهم بإحسان] (التوبة: 101)، فطريقتهم اتباع سنة الرسول ﷺ وتعظيمها والتمسك بها، اتباع آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسنة الخلفاء الراشدين، فما سنةً إلا أبو بكر، أو عمر، أو عثمان، أو علي ﷺ مما لم يختلفوا فيه، ولم يخالف دليلاً من الكتاب والسنة، فهو سنة ماضية نحن مأمورون باتباعهم، واتباعهم في هذا هو من تحقيق اتباع النبي ﷺ؛ لأننا بذلك نعمل بوصيته ﷺ حين قال: [عليكم بستى وأيما الخلافة الراشدين . . .] (3).

__________________________

(1) لا توجد في ب.
(2) من م، وفي ظ: الاجتماع.
(3) تقدم تخريجه في ص: 280.
يقول الشيخ عن أهل السنة والجماعة: إنهم يثروون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمونه، ويؤمنون بأنه أصدق الكلام، وأن هدي الرسول خير هدي، ف يقدمون كلام الله على كلام غيره، وهدي الرسول على هدي غيره؛ لذلك سموا أهل الكتاب والسنة؛ لتقدمهم كتاب الله وسنة رسوله؛ لإيمانهم بأن القرآن هو أصدق الكلام، وأن هدي الرسول هو خير الهدى.

كما جاء في خطبته: "إن أحسن الحديث كتاب الله، والهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها". لذلك سموا أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم المستثمرون بهما المحكمون لهما، الذين لا يقدمون عليها معقولا، ولا ذوقا، ولا استحسانا، لا يقدمون عليها شيئا.

ويسمى أهل السنة أيضًا: بأهل الجماعة، فهم أهل السنة والجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وهم يجتمعون على الحق، ويلمرون بالاجتماع عملا بقوله تعالى: "فاعظموا بحبل الله... جنينا ولا تغرقوها" [آل عمران: 103].

ويعملون بالإجماع: إجماع الصحابة.

(1) رواه مسلم (876) من حديث جابر بن عبد الله.
(2) قال الشيخ الإسلام: الإجماع: ... المعلوم منه ما كان عليه الصحابة، وأما بعد ذلك فتتعثر العلم به غالبًا، ولهذا خلاف أهل العلم فيما يذكر من الاجتماعات الحديثة بعد الصحابة. مجموع الفتاوى 321/11.
والإجماع هو الدليل الثالث.

فأصول الأدلة ثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع. والإجماع في الحقيقة دليل تابع للكتاب والسنة، وأهل السنة والجماعة يُزِّنُونَ بهذه الأصول الثلاثة - الكتاب والسنة والإجماع - أقوال الناس، وأفعالهم، وأحوالهم مما له تعلق بالدين.

هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب أن توزن بها الأعمال والأقوال، والأحوال، والأخلاق، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه: الاعتصام بحبل الله وهو: دينه الذي بعث به رسوله ﷺ، والاتباع للسلف الصالح من الصحابة الذين أثني الله عليهم، وعلى المتبني لهم بإحسان.
منهج أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع الناس

ثم هم مع هذه الأصول: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجه الشرعية، ويرون إقامة الحج، والجهاد، والجمع، والأعياد مع الأمراء أبرزًا كانوا، أو نجاردًا، ويعظون على الجماعات، ويدعون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبيتان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه" (1). وقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهورة" (2).

(الشعري)

عقد الشيخ ﷺ هذا الفصل الذي ختم به هذه العقيدة؟ لبيان منهج أهل السنة في معاملة الناس، وفي سلوكيهم في أنفسهم، وهم مع هذه الأصول المتقدمة كلها من: إيمانهم بالله، وصفاته مما جاء في الكتاب والسنة على التفصيل المتقدم، وإيمانهم باليوم الآخر بكل ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ، وإيمانهم بالقدر، وقولهم في الإيمان، وقولهم في أصحاب الرسول ﷺ على التفصيل المتقدم، واعتمادهم في الاستدلال

(1) رواه البخاري (481)، ومسلم (2585) عن أبي موسى الأشعري.
(2) رواه البخاري (1012)، ومسلم (2586) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.
على الكتاب والسنة والإجماع، واقتفاء آثار السلف الصالح من الصحابة هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فهم مصلمون؛ ومنهجهم ليس علميًا وعقليًا فقط.

يقول الشيخ: "على ما توجيه الشريعة" لا على ما يوجه الهدى والرأي المجرد، فالمعتزلة من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنهم يدخلون فيه الخروج على الأمة، ومن الناس من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، دون أن يتقيد بحدود الشريعة؛ فيفسد أكثر مما يصلح.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، والأدلة عليه كثيرة من نصوص الكتاب والسنة، فهو واجب عظيم به قوام الدين، وقوام أمر المسلمين، وما حل بهم من فساد في دينهم ودنياهم إلا بتفريطهم فيما أوجب الله عليهم، وتفريطهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

كما أن من طريقة أهل السنة والجماعة: أنهم يقيمون شرائع الإسلام: الحج، والجهاد، والجهاد، والأعياد مع الأمواء أبرزًا كانوا أو فجراً، فإذا كان القائد، أو أمير الحج فاجراً لا يبطلون شعار الإسلام من أجل فجوره، فهم يتعاونون مع كل من أرهم بالخير، فكل من قادهم بكتاب الله، وسنة رسوله أتبعوه، خلاً لأهل البعد كالروافض الذين يرون أنه لا جهد إلا مع الإمام المعصوم، والإمام المعصوم الذين يدعونه معدوم.

(1) وسائل الشيعة 32، ومنهاج السنة 118/8 و18/518.
كما أن أهل السنة يحافظون على الجماعات: صلاة الجماعة التي استُخف بها كثير من المسلمين، والنصوص من الكتاب والسنة الدالة على وجوبها، وعظيم فضلها كثيرة مشهورة مذكورة.

ويعتقدون معنى قوله: «المؤمن للمؤمن كالبينان يشد بعضه بعضًا» أي: يؤمنون بالرابطة الإسلامية، هذه الرابطة التي قد وُنت في نفس كثير من المسلمين.

وهذه الرابطة تعني: الشعور بالآلام وآمال المسلمين مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كالجسده الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

وجماع هذا قوله سبحانه: «إِنَّا أَلْمُؤَمِّنُونِ إِخْوَةٌ» [الحجرات: 10] هذه الأُخرى لها حق، وتقتضي المجبة والمواساة، والمشاركة في الآلام والأعمال، وإن اختلفت وتباعت أوطانهم، واختلفت أنسابهم، فلا يجوز الولاء والبراء على أساس الأرض، هذا سعودي، وهذا مصري، وهذا يمني ...

والمحزن أن تعامل أكثر الناس الآن على أساس الروابط الجاهلية: التراب، والوطن، والوطنية، وهي التي يشاد بها، وتذكر وينهو عنها.

(1) انظر مثلاً السنن والأحكام 422/1، وليل الأوطار 139/2، وغيرها من كتب الحديث.
(2) تقدم تخرجته في ص: 284.
والواجب أن تكون العلاقة التي يبنى عليها الولاء والبراء، والحب والبغض هي علاقة الدين، فتحب المؤمنين ممن كانوا، وأين كانوا، وتبغض الكافرين ممن كانوا وأين كانوا، قال تعالى:

»هل أجد قوما يؤمنون بالله ورسله الآخر نورا ف أدفنوت من حراء الله ورسوله ولد صقاووا كاباءهم أو أبنائهم أو إخونهم أو عشيرتهم؟«

دعوة أهل السنة والجماعة
to the virtuous and the exemplary

ويأمرون بالصبر على البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر اللهاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قول النبي ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا: أحسنهم أخلاقًا".

ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعمي من حرمك، وتعفو عليكم ظلمك، يأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتيمين والمساكين، وابن السبيل، والرفق بالملوك، وينهون عن الفخر، والخبلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بحق، أو بغير حق، ويأمرون بمعاصي الأخلاق، وينهون عن سفسافها.

الشفع

وهذه الجملة هي نوع تفصيل لما تقدم أن من طريقتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعروف اسم جامع لكل ما أمر الله به من الواجبات، أو المستحابات. فيأمرون بالواجبات

(1) رواه أحمد 2/ 750، و أبو داود (482)، وصححه الثرمذي (1172)، وابن حبان (479)، والحاكم 3/1 من حديث أبي هريرة ﷺ.
على وجه الإلزام، وتأمرون بالمستحبات على وجه الندب والترغيب.

فمن ذلك: أنهم "تأمرون بالصبر على البلاء" يأمرون بالصبر.


فأثنى الله في كتابه على الصابرين والشاكرين، وهذا شأن المؤمن قال رسول الله ﷺ: "عجب بأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضرر صبر، فكان خيرا له" (1).

ويعتقدون مياني قول الله تعالى: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً". فهم يدخلون بالأخلاق الفاضلة، ويأمرون بها غيرهم، ومكارم الأخلاق: الأخلاق الكريمة، والأعمال الحسنة الجميلة.

ويأمرون ببر الوالدين، وصلاة الأرحام، والإحسان إلى البتاحم، والمساكين كما أمرهم الله بذلك: "واعتقدا الله ولا تشركوا به شيئاً واحترموا الابناء إحسانا وبدوا الصور والترميم والمسكين وبدوا القدار في الصور والبنايات والصحائف إلجبب وأبين التسبيل وما ملكت أيمنكم إني الله لا يجعل من مكان محتالا فخورا" [البقرة: 239].

(1) رواه مسلم (2999) من حديث صهيب المدني.
فین منهجهم وأخلاقهم: الإحسان إلى اليدامي والمساكين،
وابن سبيل، والرفق بالقوم، والرفق بالخدم والعمال،
والأعمال من جنس العمال من حيث إنهم مُستخدِمون،
فيجب الرفق بهم، والإحسان إليهم، وعدم تكليفهم ما لا
يطبقون، وأداء حقوقهم، وقد جعل الخدم عند الناس اليوم، و كثيرًا
ما يتعرضون للظلم ممن هم تحت ولايته وكفالتهم، فيجب التآمر
بالرفق بهم، والإحسان إليهم.

وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق
بمعنى أو غير حق، ينهون عن النفاق، والتعاظم قال النبي
الصحيح: "إن الله أوى إلي: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد، على
أحد ولا يبغ أحد على أحد."(1)

فأهل السنة ينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي على الخلق،
والبغي عليهم يعني: بظلمهم في أنفسهم، أو أموالهم، والاعتداء
عليهم في ذلك.

والاستطالة: التطاول، والتعاظم على الخلق بحق، أو غير
حق، حتى وإن كان لك حق على أحد فلا تتطاول عليه، ولا
تسلط عليه، فالتطاول فيه تعاظم، وتسليط بسبب أنك تزري عليه.

ويأمرون بمعاني الأخلاق هذا قريب من الذي تقدم يعني:
بالأخلاق العالية، فالأخلاق الكريمه عالية فاضلة في أمروا

(1) رواه مسلم (2865) من حديث عياث بن حمار.
بالصدقة، وبذل المعروف، وطلاقة الوجه، والسلام، وعيادة المريض وغيرها.

"وينهون عن سفسافها" رديء الأخلاق، وحقيها كالبخيل، والجبن.
المنهج العام لأهل السنة، وحقيقةه

وكلما يقولونه، ويفعلونه من هذا أو غيره؛ فإنما هم فيه مُتَّبِعُون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام [الذي] ١ بعث الله به محمدًا ﷺ (ص/1)، لكن لما أخبر ﷺ: "أن أمه ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة" ٢. وفي الحديث عنه أنه قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه، وأصحابي" ٣. صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال: ٤ الأئمة الذين أجمع المسلمون على هديتهم، ودرائتهم، وهم الطائفة المنصورة، التي ٥ قال فيهم النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفتهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة" ٦.

فقل الله العظيم أن يجعلنا منهم، وأن لا يزغ قلوبنا بعد إذ

١) من م و ب، وفي ظ: الشيخ.  
٢) تقدم تحريره في ص ٢٨.  
٣) في ب زيادة: وفيهم.  
٤) في م: الذين.  
٥) تقدم تحريره في ص ٢٩.
هداً، ويهب لنا من لدَّه رحمة إنه هو الوهاب١. والحمد لله رَب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله، وعلى سائر المرسلين والنبيين، وآلي كل وسائِر الصالحين.

قلت الشيخ: إن أهل السنة في كل ما يقولون ويفعلونه فإنما هم في متبعون للكتاب والسنة، يأمرون بما أمر الله به، ويبذرون به رسوله، ويهبون عما نهى الله عنه، ورسوله، فهم في كل ذلك متبعون، لا مبتدعون، ولا متبعون لأهوائهم.

قلت الشيخ: "وطرقيتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا"، هذا إجمال تام لما سبق، فطريقة أهل السنة والجماعة هي دين الإسلام الجامع لكل العقائد الصحيحة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة كما قال تعالى: "هو أليه أرسل رسولًا بإلهي دين الحق القي أظهره على الذين كفروا، ولى خير السَّرَكِينَ[النيره]", طريقتهم هي دين الإسلام، والمتضمنة للإسلام كثير، وقد أخبرنا: "أن هذه الأمة ستفرق.

(1) في ظ: تمت - والحمد لله - في عشي يوم الجمعة في أوائل العشر العشري، لرمضان المفطوم سنة سنت وثلاثين، وسبعين عامًا بالمسجد الظاهرة داخل دمشق المحروسة على يدي ملوكها محمد بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمن...

لطف الله به وعفا عنه، وجعله من أهل السنة والجماعة لا ريب غيره ولا مولى سواء.
على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار، كما صح بذلك الحديث عن النبي، قال: "كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة". وفي لفظ "قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

فكل هذه الفرق تنتسب للإسلام، فمن الفرقة الناجية؟ هي: المستمسكة بالإسلام المحض الخالص، وفي هذا علم من أعلام نبوته، فقد أخبر عن افتراقتها، ووقع كما أخبر. يقول الشيخ: "صار المتمسكون بالإسلام المحض" الإسلام الخالص الذي لم يخلط بالبادع الاعتقادية، أو العملية، فالتمسك بالإسلام المحض خالصًا عن الشوب، وعَن وقعت فيه الفرق المنحرفة هم أهل الكتاب والسنة، هم الفرقة الناجية المنصرة، وهذه الفرقة أهلها درجات ليسوا على مرتبة واحدة، بل هم على مراتب كثيرة، طبقات الأولياء إجمالا طبقتان: مقربون، وأصحاب يمين، أو سابقون، ومقتصدون.

فالمقربون السابقون: هم الذين فعلوا الواجبات، والمستجابات، وتركوا المحرمات، والمكروهات، وفضل النبائح.

والمقتصدون: هم الذين أدوا الواجبات، واجتنبا المحرمات.

(1) تقدم تخرجه في ص: 28.
(2) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: 176/11.
فأهل السنة والجماعة مراتب فيهم: الصديقون، والشهداء،
والصالحين، والصديقون هم أعلى طبقات الأولياء بعد الأنبياء،
كما قال سبحانه: {ومن يطيع الله ورسوله فأولئك مع الذين آمن أنهم
عليكم من البشرين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيعًا}
[النساء].

والصديق هو: المبالغ في الصدق، أو هو: كثير الصدق
والصديق، والصديق المطلق في هذه الأمة هو أبو بكر صه، و
صار هذا الرسول ملازمًا له، وعلما عليه، وإلا فالصديقة ليست
مقصورة عليه.

«ومنهم أعلام الهدى» يعني: فيهم الأئمة الذين يهتدى بهم,
يشهرون بالأعلام، أي: الجبال، وعلامات الطريق التي يهتدى
بها.

«ومصايب الدجي» التي يستضاء بها في حنادس الظلام.
ففي أهل السنة أئمة هداة يهتدى بهم في علمهم، وعملهم,
على مراتب فيهم: أئمة متبعون، وعباد صالحون تابعون.
فالصحابة سبق الحديث عنهم، وأنهم مفضلون تفضيلاً مطلقاً
على من بعدهم، والتابعون لهم بعد ذلك هم أهل السنة
والجماعة، الذين لزموا الأصول المتقدمة، واقتفوا واتبعوا آثار
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فهؤلاء على مراتب:
التابعون، وتابوعهم، وتابوعهم إلى يوم القيامة.
يقول الشيخ: "وفيهم الأبدال" وهذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث (1)، ولكن ذكر شيخ الإسلام (2) وغيره: أنه لم يصح حديث الأبدال.

لكن معنى الأبدال (3) صحيح واقع، والمراد بالأبدال: العلماء العاملون، والعباد الصالحون الذين يخفن بعضهم بعضًا، كلما مات عالم قام بدله، وكلما مات عابد خلقه من بعده، هؤلاء أبدال، و جاء في الحديث: "لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته" (4).

فالصالحون والأئمة لا يزالون، وإن كان في آخر الزمان يقل العلم، وثبت الجهل، و"اللهم لا يقبض العلم انتزاعًا ينزده من صدور الرجال وإنما يقبض العلم بقبض العلماء" (5). ولكن هذا لا يعني أنه ينقطع وينصرم، وإن قل، فحجة الله قائمة على عباده إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى.

ولهذا نبه الشيخ إلى هذا المعنى بقوله: إن هذه الطائفة لا

---

(1) رواه أحمد 1/112 و5/222 من حديث علي بن أبي طالب.
(2) مجمع الفتاوى 1/167 و2/441 و436.
(3) انظر: جامع المسائل 2/27.
(4) رواه أحمد 4/200، وابن ماجه (8)، وابن حبان (236) من حديث أبي عبيدة الخولاني.
(5) رواه البخاري (100)، ومسلم (277) من حديث عبد الله بن عمرو.
تزال كما أخبر الرسول ﷺ.

ومن ناحية أن فهم أهل السنة والجماعة أوسع من فهم فريق الناجية المنصورة، فإن فريق الناجية المنصورة، فريقه السابقون، القائمون، وفيهم الظالم لنفسه، كما قال تعالى: 

"فَمَّا أَرْسَلْنَا لِكُلِّ أَبْنَىٰ مُّسْلِمٍ أَنْ أَعْبَدَنَّهُمُ الْإِلَهَيْنِ أُصْطَابِينَا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْإِنْبِلِ، ثُمَّ رَفَعْنَاهُمْ مَيْتٗاٰ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مَيْتٗاٰ بِالْحَيّٗ يَاذِنِيَّ أَنَّ اللَّهَ ذَلِكَ الْفَضِّلُ الْخَيْرُ ۛ [نافع]".

لكن المنتمون بالإسلام المحلي فيهم، عزرا وباطنا، فريق الناجية المنصورة، التي أخبر بها الرسول ﷺ، وأخبر أنها لا تزال في قوله: 

"لا تزال طائفة من أمتي على الحق" (1) لا تزال هذا يدل على الاستمرار، والمقصود: جنس هذه الطائفة، وإنها فهي أجيال تفترض ويخلفهم آخرون.

لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضيعهم من خلفهم ولا من خلفهم حتى تقوم الساعة، وفي لفظ: 

"حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى".

والساعة هنا فسرت بقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان عند قرب قيام القيامة الكبرى، فإنه تعالى يرسل ريحًا فتقبض أرواح المؤمنين، فتختلو الأرض من الخير، ولا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة. (2)
فهذه الطائفة مستمرة إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى، ويأتي الأجل الذي قَدَّره الله لبقاء هذا الدين، وبقاء حملته، فنسأل الله أن يجعلنا بِمَنَّه وكرمه من هذه الطائفة، وأن يثبتنا على دينه، وأن يرزقنا الاستقامة على الحق، وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضللين، ونسأله تعالى أن يعصمنا من مضلات الفتنة، ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين أولا وآخراً.
<table>
<thead>
<tr>
<th>قسم</th>
<th>صفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الأبدال</td>
<td>٢٩٦</td>
</tr>
<tr>
<td>أتدرون ما الإيمان بالله وحده</td>
<td>٢٤٩</td>
</tr>
<tr>
<td>أتدرون ما الكوثر</td>
<td>٢٢٢</td>
</tr>
<tr>
<td>أتدرون ما المفس</td>
<td>٢٢٥</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا شهد أحدكم فليستعد بالله من أربع</td>
<td>٢١٠</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا دخل أهل الجنة الجنة: يقول الله تبارك وتعالى</td>
<td>١٥٤</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا سمعتم به بآرض فلا تقدموا عليه</td>
<td>٢٣٨</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يسبق قبل وجهه</td>
<td>١٦١</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنتها</td>
<td>١٤١</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه ينادي ربه</td>
<td>١٤٧</td>
</tr>
<tr>
<td>إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل آمة ما كانت تعبد</td>
<td>٢٧٤</td>
</tr>
<tr>
<td>أذكرو الله في أهل بيتي</td>
<td>٢٦١</td>
</tr>
<tr>
<td>أعملوا ما شتم فقد غفت لكم</td>
<td>٢٥٩</td>
</tr>
<tr>
<td>وأعود برضاك من سخطك، ويعفاتك من عقوبتك</td>
<td>٢٧٥</td>
</tr>
<tr>
<td>وأعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق</td>
<td>١٤٥</td>
</tr>
<tr>
<td>وأعود بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده</td>
<td>١٤٥</td>
</tr>
<tr>
<td>أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت</td>
<td>١٦١</td>
</tr>
<tr>
<td>أفضل النبيين</td>
<td>٢٧٨</td>
</tr>
</tbody>
</table>
إن أباكما كان يعود بها إسماعيل وإسحاق
إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
أنا لها، فاستأذن على ربي فيذن لي
أن تؤمن بالناسة وملالكته وكتب ورسله
أنت رحمتي أرحم بك من أشائه
أن تصدع الله كأنك تراه
إن حيا أدخلك الجنة
إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة
إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه بين عيني الرحمن
إنكم سترون ربك كما ترون القمر ليلة القدر
إن الله أصطفى إسماعيل
إن الله أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد
إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور
إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة
إن الله تعالى قد اتخذي خليلا
إن الله عز وجل لا يتنام، ولا ينبغي له أن ينام
إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال
إن الله يعفف للظلم حتى إذا أخذه لم يفته
إن الله مائدة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن، والإنس
إن الله يدني عبده المؤمن حتى يضع عليه كفه

217

أن ماء أشد بيضاً من اللبن، وأحلٍ من العسل

220

إن البيت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان

208

209

إنه أوحي إلى أنكم تفتنون في قوركم

إن هذه الأمّة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة

28 و292 و293

إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير

110

إني في جانب البيت، وإن ليخفى علي بعض كلامها

106

أول ما خلق الله القلم

234

أول من يدخل الجنة من الأمم

228

أول من يستفتح باب الجنة

277

أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال آية الكرسي

49

الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة

249

أين الله? قالت: في السماء

161 و255

أيها الناس أزِزوا على أنفسكم

122 و190

(ب)

بايعوا الرسول على الموت

266

بايعوه على ألا يفروا

266

(ت)

تدنو الشمس من رؤوس الخلافة

213

(ث)

ثابت بن قيس بن شمس (في الجنة)

260 و267
جفت الأفلام وطريت الصحف ........................................ ٢٣٥
الحرب خدعة ............................................................... ١١٠
الحسن والحسين [في الجنة] ........................................ ٢٦٧
خمس تفرد الله بعلها ................................................... ٥٩
خير الناس قرني ٢٧٦ و ٢٧٢ ...........................................
الراحمون يرحمهم الرحمن ......................................... ٧٨
ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ١٦٠ ...................
سبب المسلم فسوق .................................................. ٢٦٤
سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسالوه؟ فقال: لأنها صفة الرحمن ٤٦
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ............. ٢٧
طوله شهر، وعرضه شهر [الحوض] ٢٢٠
توضيح مقاصد الحقيقة الواسطة

(ع)

عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير
عجب ربا من قنوط عباده وقرب غيره
عليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين
280 و281

(ف)

فضل عاشقة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام ...
270 و272

(ق)

القدرة مجوسر هذه الأمة
236

(ك)

كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء .......
226 و239

كانوا أكثر من ألف وأربعماثة [في الحديبية]

كتب الله مقدار الخلق قبل أن يخلق السماوات .......
220 و219 و239

كما بين أيلة وصنعاء [الحوض]

كما بين صنعاء والمدينة [الحوض]

كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد
26

(ل)

لا تخيروا بين الأنياء فإن الناس يصعون يوم القيامة ...
127

لا تزال جهنم يلبقى فيها وهي تقول: هل من مزيد ...
173 و159 و150 و242 و297 و129 و292
لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده ٢٥٩ و٢٦٣ و٢٧٦ و٢٧٧
لا تطوروني كما أطرت النصارى ابن مريم ٢٩٧
لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ٩٠
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ٢٠٠
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله ٢٧٩ و٢٧٧
لا يدخل النار أحد بابع تحت الشجرة ٢٥٩
لا يزال الله يفرس في هذا الدين غرسا ٢٩٦
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٢٤٧
لا يقبض الله العلم انزاعا يتنزعه من صدور الرجال ٢٩٦
الله أُنذِر فرحًا بتوية عذبه من أحدكم براحته ١٥٨ و١٧٠
للعالِم في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة ٢٧٧
الله إنما عفو تحب العفو فاعف علي ١١٣
اللهم إنك لمن يناديك اللهم رب السماوات، ورب الأرض ٥٦ و١٦٦
لولا أن لا تدافوا لدعوته الله أن يسمعك من عذاب القبر ٢١٠
ليرد علي أقوم أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم ٢٣٠

(م)

ما أصابك لم يكن ليخطئك ٢٣٤
المؤمن للمؤمن كاللينان بشبه بعضهم ببعض ٢٨٤
ما منك من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ١٤٨ و١٥٩ و١٦٦
مثل المؤمنين في تواهم، وتراحمهم ٢٨٢ و٢٨٤
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ٢٥٣
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ٢٢٨
من نوقش الحساب عذب ٢١٦
هل ترد من قدر الله؟ قال: هي من قدر الله [الأدوية] 238
هل وجدت في التوراة (وعصى آدم ربه فغوى) 240

وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم 155
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله 25
والذي نفسي بيده إنها تعدل تلك القرآن 45
والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبكم الله ولقرباني 261 و269
والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش 160
وضع إيهامه على أذنه، والسببابة على عينه 66
 وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأنا آت 49

يا أبا بكر ما ظلك باثنين الله ثالثهما 138
يا رسول الله أعط فلانا فإنه مؤمن 257
يا عائشة إن الأمر أشد من أن يفهم ذلك 213
يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه 224
يشخب فيه ميزبان من الجنة [الحوض] 222
يشفع لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة 229
يشفع النبيين، والملاكية، والمؤمنون 230
يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر 158
يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة 243
يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ........................................ 98
يقول الله يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت ........ 109
ينزل رينا إلى السماء الدنيا كل ليلة ................................. 108 و 167
يوقف الناس على قنطرة بين الجنة والنار .............................. 225
يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة .... 226
مراجع التحقيق (1)

الأباطيل والمناكيير: للجوزجاني، ت: د.عبد الرحمن الفرواني، دار الصميم.

الإبانة عن أصول الديانة: للأشعري، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية.

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: لابن بطة (الرد على الجهمية).

ت: د. يوسف الوابل، دار الرأية.

إثبات عذاب القبر: للبهبهاني، ت: د. شرف محمود، دار الفرقان.

الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء: د.عبد الرزاق العباد، ضمن الجامع للبحوث والرسائل، دار كنوز أشبيليا.

اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ت: د. عواد المتعق، مكتبة الرشيد.

أجوبة الحافظة ابن حجر عن أحاديث المصابيح: ابن حجر، ضمن مكثفة المصابيح، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.

الاحداث المختارة: للضياء المقدسي، د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة.

الأذكار: للنوروي، ت: عبد القادر الأرناؤوط، دار الهدى.

الأربعون العشائرية: للعراقی، ت: بدر البدر، دار ابن حزم.

الاستقامة: لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة.

(1) هذه المصادر التي تمت الإحالة إليها فقط.
الأسماء والصفات: لليبيه، ت: محمد زاهد الكوثرى، المكتبة الأزهرية للتراث.

أصول السنة: ابن أبي زمنين، ت: عبد الله البخاري، مكتبة الغريراء الأثرية.

أصول الفقه: ابن مفلح، ت: د. فهد السدحان، مكتبة العيكان.

أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد.

الأعلام العلياء في مناقب ابن تيمية: البخاري، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

إعلام الموقفين: ابن القيم، ت: محمد محمي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

الإمتاع بالأربعين المتباهة بشرط السماع: ابن حجر، ت: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية.

أحوال القبور: ابن رجب، دار الهجرة.

البحر الزخاري: للبشر، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم.

بдавع الفوائد: ابن القيم، ت: علي العمري، دار عالم الفوائد.

البداية والنهاية: ابن كثير، ت: عبد الله التركي، دار هجر.

بيان تلخيص الجهمية: ابن تيمية، ت: ابن قاسم، مؤسسة قرطبة.

تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير، دار الكتب العلمية.

تاريخ دمشق: ابن عساكر، ت: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر.

التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائئية: د. عبد الرزاق العباد، دار المغني.

الذكورة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، ت: د. الصادق
ابن محمد، مكتبة دار المنهج.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة.
- تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الياز.
- التمهيد: ابن عبد البر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
- التهجدر وقيام الليل: ابن أبي الدنيا، ت: مصلح الحارثي، مكتبة الرشد.
- تهذيب الآثار: ابن جرير، ت: محمود شاكر، مكتبة الخانجي.
- تهذيب الكمال: للزمي، ت: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة.
- تهذيب سنن أبي داود: ابن القيم، ت: محمد الفقي، دار المعرفة.
- تهذيب اللغة: الأزهرى، إشرف: محمد عوض، دار إحياء التراث.
- التوحيد: ابن خزيمة، ت: محمد خليل هرس، دار الكتب العلمية.
- التحسيس في القراءات السبع: لأبي عمرو الذاني، أوتوتيرزلي، دار الكتاب العربي.
- جامع البيان: للطبري، دار الفكر.
- جامع العلوم والحكم: لابن رجب، ت: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي.
- الجامع الكبير: للتدemi، ت: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي.
- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتب العلمية.
- الجامع نسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبع قرون: جمع محمد عزيز شمس، وعلي العمران، دار عالم الفوائد.
- جامع المسائل: لابن تيمية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد.
جلاء الأفهام: لاين القيم، ت: زائد النشري، دار عالم الفوائد.
جواب أهل العلم والإيمان: لاين تيمية، ضمن مجموع الفتوى،
ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب.
حاثية ابن أبي داود، ت: أبو بكر بن أبي داود، ضمن طبقات
الحبايل، ت: د. عبد الرحمن العثيمين، دار الملك عبد العزيز.
حادي الأرواح: لاين القيم، ت: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي.
حلية الأولياء: لاين نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة.
خلق أفعال العباد: للبخاري، ت: محمد السيد بسونى، مكتبة
التراث الإسلامي.
دره تعارض العقل والتقال: لاين تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
الدر المشتر : السيوطي، دار الفكر.
ديوان الأخطل، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة.
ذكر محنة الإمام أحمد: حنبل بن إسحاق، ت: د. محمد نشى،
مطبعة سعدى وشندل.
الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتب والسنة: د. سعيد
الفتحاني، خرج أحاديث الشيخ ياسر بن فتحي، مؤسسة الجريسي.
ذم التأويل: لاين قدامة، ت: بدر البدر، الدار السلفية.
رؤية الله: للدارقطني، ت: مبروك إسماعيل، مكتبة القرآن.
الرد على الجهمية والزندقة: للإمام أحمد صبري بن سلام.
شاهين، دار النباث.
روح: لاين القيم، ت: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي.
روضة المحبين، لاين القيم، ت: عبد الرزاق المهدي، دار
الصعيدي.
توضيح مقاصد المقيقية الواسطة

- سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي: للقاصح العذري، مطبعة مصطفى الباجي الحلي.
- السلسلة الصحيحة: للألباني، مكتبة المعارف.
- السلسلة الضعيفة: للألباني، مكتبة المعارف.
- السنة: لابن أبي عاصم، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.
- السنة: لأبي بكر الخلال، ت: عطية الزهراني، دار الراية.
- السنة: لعبد الله بن أحمد، ت: محمد القحطاني، رمادي للنشر.
- سنن ابن ماجه، ت: بشار عواد معروف، دار الجيل.
- سنن أبي داود، دار ابن حزم.
- سنن الدارقطني، ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة.
- السنن الكبرى: للبيهقي، دائرة المعارف العثمانية، تصوير دار المعرفة.
- سنن النساوي، ت: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة.
- السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: الفضياء المقدسي، ت: حسين عكاشة، دار ماجد عمري.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأناووطة وجماعة، مؤسسة الرسالة.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكابي، ت: أحمد سعد حمدان، دار طيبة.
- شرح حديث النزول: لابن تيمية، ت: محمد الخميس، دار العاصمة.
- شرح الرسالة التدمرية: للشيخ عبد الرحمن البراك، ت: سليمان الغصن، كنوز أشبيليا.
- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العزة، عبد الله التركي وشعيب
الارناووط، مؤسسة الرسالة.
-
شرح الكوكب المنير: لابن النجار، ت: محمد الزحيلي ونزية
حماد، جامعة أم القرى.
-
شفاء العليل: لابن القيم، ت: السيد محمد النعساني، دار الفكر.
-
صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شبيب الأرناووط، مؤسسة
الرسالة.
-
صحيح ابن خزيمة، ت: محمد الأعظمي، المكتاب الإسلامي.
-
صحيح البخاري، عنيفة: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة.
-
صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقثي، دار الصميم.
-
الصواعت المرسلة: لابن القيم، ت: د. علي الدخيل، دار
العاصمة.
-
الضعفاء الكبير: للعقيلي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب
العلمية.
-
العجاب في معرفة الأسباب: لابن حجر، ت: عبد الحكيم
الأنيس، دار ابن الجوزي.
-
العقود الدلية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ابن
عبدالهادي، مكتبة المؤيد.
-
عقيدة السلف أصحاب الحديث: للصابوني، ت: بلد القدر، مكتبة
الغريباء الأثرية.
-
عقيدة الطحاوية، دار الصميم.
-
العلم: لابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية
د. سعد الجماع، ود. خالد الجرسي.
-
العلم الواردة في الحديث النبوي: للدارقطني، ت: محفوظ الرحمن
زين الله، دار طيبة.
توضيح مقالات المجلة الواسطية

- العلل للعلي الغفار: للذهبي، ت: د. عبد الله البراك، دار الوطن.
- عمل اليوم والليلة: للنسائي، ت: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة.
- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: محمد بن قاسم، مطبعة الحكومة.
- فتح الباري: لابن حجر، ت: ابن باز، المطبعة السلفية.
- الأولى.
- فتح المغيث: للسخاوي، ت: د. عبد الكريم الخضير ود. محمد الفهد، مكتبة المنهاج.
- الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية، ت: حمد التويجري، دار المحيطي.
- الغرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب.
- فضل الصلاة على النبي ﷺ: لإسماعيل القاضي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.
- قطف الأزهار المتواترة في الأخبار المتواترة: للسيوطي، ت: خليل الميس، المكتب الإسلامي.
- الكافية الشافية: لابن القيم، ت: عبد الله العمير، دار ابن خزيمة.
- الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية.
- كشف الخفاء ومزيل الإبلاء: العجلوني، مؤسسة الرسالة.
- الكوكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، مربي الكرمي، ت: نجم عبد الرحمن خلف، دار المغرب الإسلامي.
- لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، ت: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية.
- لسان العرب: لاين منظور، دار صادر.
- لمحات الأنوار ونفحات الأزهار: للغافيقي، ت: رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية.
- لمحة الاعتقاد: لاين قدامة، ت: قسم البحث والنشر، دار نداء الإسلام.
- المجروحين: لاين حبان، ت: محمود خايد، دار المعرفة.
- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد، دار عالم الكتب.
- مختصر الصواعق المرسلة: لاين الموصلي، ت: د. الحسن العلي، دار أضواء السلف.
- مدارج السلاكن: لاين القيم، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي.
- المستدرك على الصحيحين: للحاكم، ت: جماعة من العلماء، دار المعارف النظامية في حيد آباد الدكن.
- مسندر الإمام أحمد، ت: شبيب الأزناوط وجماعة، مؤسسة الرسالة.
- مسندر الشاميين: للطرابي، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة.
- المعجم الأوسط: للطرابي، ت: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرين.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر.
- المعجم الكبير: للطرابي، ت: حمدي السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي.
- المعلم بفوائد مسلم: للمازري، ت: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب.
المغني: لابن قدامة، ت: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر.

مقالات الإسلاميين: للأشعري، ت: هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر.

الممل والمنحل: الشهرستاني، ت: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية.

المنهار المنيف: لابن القيم، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات العربية بحلب.

مناظرة الواسطية: لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب.

مناقب الإمام أحمد: لابن الجوزي، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر.

المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة: محمد عبد الباقي الأوربي، دار الكتب العلمية.

منهج السنة النبوية: لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي.

المنهج في التعامل مع روایات ما شجر بين الصحابة، للدكتور محمد أبا الخيل.

المهدي في اختصار السنن الكبير: للذهبي، ت: بأشراح أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي، ت: علي البجاوي، دار المعارفة.

نتائج الأفكار في تخريج الأذكار: لابن حجر، ت: حمدي
السلفي، دار ابن كثير.

- النزول: للدارقطني، ت: د. علي بن محمد الفقيهي.
- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، ت: علي محمد الضبع.
- المكتبة التجارية الكبرى.
- نظم المتناثر من الحديث المتواتر: للمحمد بن جعفر الكتاني، دار
  الكتب العلمية.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للشوكانى، مطبعة مصطفى الباهي
  الحلي.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي، ت:
  عبدالرحمن الشيرازي، دار إحياء التراث العربي.
الفهرس التفصيلي

العلماء الذين شرحوا الواسطة .................................................. 5
طريقة العمل في إخراج هذا الشرح .............................................. 6
معلومات النسخ الخطية ................................................................. 9
نماذج من النسخ الخطية ............................................................... 11
ترجمة الشيخ عبدالرحمن البراك ................................................. 15
مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة .............................................. 21
سبب تسمية العقيدة الواسطة بهذا الاسم ................................. 22
أنواع مؤلفات شيخ الإسلام والباحث على تأليفها ....................... 22
مميزات العقيدة الواسطة ............................................................. 23
شرح كلمة التوحيد .................................................................. 24
الصيغة المستقيمة فيما يجب اعتقاده في النبي ﷺ ............... 25
معنى الصلاة على النبي ﷺ .............................................................. 26
المراد بـ آل النبي ﷺ ................................................................. 26
الفائدة من ذكر أما بعد ومعناها ........................................... 27
سبب تسمية أهل السنة بالفرقة الناجية ...................................... 28
جميع مسائل الاعتقاد راجعة إلى الأصول للسنة .......................... 29
الإيمان بالله ويشمل ثلاثة أمور .............................................. 30
الإيمان بالملائكة ................................................................. 30
بالإيمان بالكتب، وتسمية بعضها .............................................. 31
الإيمان بالرسل ................................................................. 31
الأيمان بالبعث بعد الموت ................................................. 31
مجلة اتقاد أهل السنة في باب الأسماء والصفات ............... 32
معنى التحريف والعطيل .................................................. 33
منهج أهل السنة في باب الأسماء والصفات قائم على النفي والإثبات ................................................. 34
كيفية الإلحاد في أسماء الله .............................................. 35
معنى السمي والكفر والند .................................................. 36
لا سبيل إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا بيانه وتعريفه لا سبيل إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا بيانه وتعريفه ................................................. 37
الرسول جاء في باب الصفات بالنفي والإثبات ............... 38
لا يكتب الرسول ظاهراً وباطناً إلا من لا عقل له .............................. 39
معنى كلمة "سبحان"  .................................................. 40
قاعدة النفي الذي جاء في النصوص بالإجمال في النبي، والتفصيل في الإثبات  ................................................. 41
الله عزوجل لم يصف نفسه بنفي محض لا يتضمن ثبوت كمال .................................................. 42
ال atrav هو الطريق الذي يجمع معاين قليس كل طريق مراطا تضمن سورة الإخلاص للتوفيق العلمي الخبري ................................................. 43
لماذا سورة الإخلاص تعدل ثلاث القران ............... 44
في سورة الإخلاص اسمين لم يذكرا في غيرها ............... 45
معنى الصمد .................................................. 46
لا يوجد طائفة مقررة بوجود الله زعيمت أنه تعالى مولود بعض النصوص في فضل آية الكرسي .............................. 47
بقول النبي ﷺ لأبي هريرة "صدقة تبث الفضل .................. 48
الشيطان قد يعلم بعض الفضائل والعلوم الشرعية .................. 49
آية الكرسي اشتملت على خمسة أسماء ................................................. 50
معنى البيئة  .................................................. 51
لكمال ملك الله لا يشعع أحد إلا بإذنه
جهور أهل السنة على أن الكرسي موضع القدمين
النصوص الدالة على إثبات صفة العلم الله تعالى
أحسن تفسير لأسماء الله: الأول والآخر والظاهر والباطن
الخير أخص في المعنى من العالم
الله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون
علم الله تعالى ثابت بالعقل والسمع
الأدلة من الكتاب على إثبات القوة والسمع والبصر والإرادة
ما يحصل على أيدي الناس من رزق فهم في أسابيع فقط
بعض الآثار السلوكية للإيمان بأسماء الله وصفاته
وضع النبي ﷺ إيهامه على أن ذه والسبابة على عينه عند قراءة
"إِنَّ اللَّهَ كَانَ مَعِيِّنًا بِعِيْنِهِ" ليبيان أن المراد بالسمع والبصر حقيقةهما
الإرادة المضافة الله نوعان: كونية، وشرعية
الفرق بين الإرادة الشرعية والكونية
بعض الآيات الدالة على صفة المحبة الله
إنكار الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لصفة المحبة
معنى اسم الله الودود
بعض الآيات الدالة على صفة الرحمة الله تعالى
قاعدة "كل اسم متم설 لصفة"
أقوال العلماء في البسملة التي تفتح بها السور
الفرق بين الرحمن والرحيم
غلط الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في تأويلهم صفة الرحمة
الرحمة المضافة إلى الله نوعان
بطلان قول أهل التعطيل والتفويض
الأثر السلوكى للإيمان بصفة الرحمة
بعض الآيات الدالة على صفة الرضا والغضب والكراهة والمقت
مذهب أهل السنة في الصفات قائم على أصول ثلاثة
هل لصفات الله تعالى كفية؟
تفسير أهل البدع لصفة الغضب والكراهة والمقت
الأثر السلوكى للإيمان بصفة الرضا والغضب والكره والمقت
بعض الآيات الدالة على إثبات الصفات الفعلية كالإمتنان والمجمىء
سبب نفي أهل البدع للصفات الفعلية
الموقف الشرعي من مصطلح "حلول الحوادث"
الأثر السلوكى للإيمان باليوم الآخر ومجىء الله تعالى فيه
بعض الآيات الدالة على صفة الوجه واليدين والعينين
أهل البدع ينفون حقيقة الوجه واليدين والعينين
لا كما توهمه بعض الغالطين
معنى التأويل
قول بعضهم: له يدان وليستا جارتين قول مبتدع موهيم
قول تجري بأعيننا أي بمرايا منا ليس من التأويل في شيء
يقول أهل السنة: إن الله عبين
قوله تعالى "فَتَّمِي أَعْيَنًا" لا يدل على أن الله عبين
والرد على من زعم ذلك
بعض الآيات الدالة على إثبات السمع والرؤية والمكر
والفك ومعرفة الآلهة والمعرفة والجزاء
المعتزلة تزعم أن أسماء الله أعلام محضة لا تدل على معان
سبب نزول قوله تعالى ﴿هَلْ يَذْكَرُونَ الَّذِي كَذَّبَهُ الَّذِي أُحِبَّ تَحْبِيБَهُ ﴿ 105
سبب نزول قوله تعالى ﴿هَلْ يَذْكَرُونَ الَّذِي كَذَّبَهُ الَّذِي أُحِبَّ تَحْبِيБَهُ ﴿ 106
الأثر السلوكي للإيمان برؤية الله وسمعه 108
المراي بالمكر والكيد 109
المكر والكيد من الناس منه محمود ومذموم 109
أمثلة لمكر الله بأعداده 110
على المسلمين ألا يشعروا بما يعيش الكفار من مظاهر عز وتقدم ورقى وعليهم السعي فيما يسعون العلم من كمالاً مع القدرة ولذا كره الله العفو بالقدر
كلما كان حظ الإنسان من الإيمان أكبر كان حظه من العزة والنصر أوفر
بعض الآيات الدالة على نفي النقائص عن الله كالكيف والند والولد والشريك 114
هذه الآيات ساقها المؤلف للاستشهاد بها على الصفات السلبية 117
معنى كلمة (بَارَك) 118
بركة الله سبحانه وتعالى ذاتية، وبركة المخلوق موهوبة 119
تبارك لا يجوز أن تطلق على غير الله فلا يقال تبارك علينا يا فلان 119
قد يأتي النفي في الصفات مفصلاً كنفي الولد والنوم والبيئة والصاحبة 120
كل نفي يوصف الله به فهو متوضمن لإثبات كمال ضده 120
معنى التواحب والبغي 121
الآيات من القرآن الدالة على استواء الله على العرش 123
معنى العرش في اللغة، ومعناه في الآيات 124
عبارات السلف في معنى الاستواء 124
شرح عبارة (الاستواء معلوم، والكيف مجهول …) 125 النهجية والمتعزلة والأشاعرة ومن دخل مدخلهم كالرافضة 126 كلهم يتفقون الاستواء 127 بيان فساد تأويلهم الاستواء إلى الاستيلاء 128 أنواع الأمثلة السمعية على العلو أكثر من عشرين نوعا 129 ذكر ابن القيم ثلاثين طريقا عقليا تدل على العلو 130 العلو الذي فيه التنازع بين أهل السنة وطوائف المجتهد هو علو الذات 131 إلزام الإمام أحمد على الحلولية وبيان لازم قولهم الشيعة 132 أمثلة لتأويلات أهل البدع 133 الفرق بين العلو والاستواء 134 المعنى في اللغة تدل على مطلق المقارنة والمصاحبة ولا تستلزم اختلاطا 135 المعنى المضافة الله نعوان: عامة وخاصة ومقتضى كل منهما 136 بعض الآيات الدالة على صفة الكلام 137 أهل البلع يقولون عن القرآن: إنه كلام مخلوق 138 التوراة والزبور والإنجيل والقرآن كلها منزلة من عند الله 139 أئمة الإسلام كفروا من قال: القرآن مخلوق 140 كلمات الله نعوان: شرعية وكونية 141 معنى النداء والمحتاجة 142 القرآن كلام الله كيفما تصرف غير مخلوق، محفوظ في الصدور 143 مسموع بالآذان، ومقرؤ بالآلسنة، مكتوب في المصاحف 144 بعض الآيات الدالة على نزول القرآن من الله 145 بعض الآيات الدالة على رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة (نظر) يأتي متعديا ب(نفسه)، و( الفني) و(إلى)
الزيادة والزائد هي النظر إلى وجه الكريم سبحانه
بطلان استدلال المبتعدة بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَدْرِيكُهُ الْأَمَامُ﴾
ويبيان أنه دليل عليهم

156
تحري المؤلف ختم نصوص القرآن بالرؤية وسبب ذلك
الاندفاع بالقرآن لا يحصل بمجرد التدبر بل لا بد من صحة النية
وكون القصد من التدبر طلب الد悲哀
بعض الأحاديث الدالة على صفة النزول والفرح والضحك
158
والعجب والقلم
163
كل ما يبلغه النبي ﷺ فإن وحي أوحاه الله إليه
164
إنكار السنة مطلقاً كفر وضلالة
164
سنة الرسول ﷺ هي: أقواله، وأفعاله، وتحريراته
السنة فيها تفصيل ما أجمل في القرآن، وتقيد المطلق، وتخصيص العام
165
أهل البدع يردون نصوص الصفات من السنة إما بحجة أنها آحاد أو
ظهينة الدلالة إن كانت متواترة
165
أهل البدع ليس لديهم خبرة بالسنة فلا يميزون بين صحيح وصحيح،
ولا متواتر، وأحاد
165
عدم تفصيل الشيخ في الأحاديث التي دلت على مثل ما دل عليه
القرآن فيما تقدم
167
حديث نزول الرب إلى سماء الدنيا كل ليلة متواتر
167
إذا قال الجهني: أكثر برب يزول عن مكانه. فقل: أؤمن برب
يفعل ما يشاء
169
فرح الله يتضمن محبته بما يفرح به، ورضاه به وعنه
170
ضحك الله يتضمن رضاه، وليس هذا تفسيراً لضحكة تعالى
الدلالة من القرآن على إثبات صفة العجب
معنى القنوط والأزلف
الصحيح عن ابن عباس في تفسير الكرسي أنه موضع القدمين،
وضع ما روي عنه أن العلم
طريقة أهل البدع في دفع نصوص الصفات من الكتاب ونصوص السنة...
أنظمة لتأويل أهل البدع لبعض الصفات
يبقى في الجنة فضل فهي شئ الله لها أقواماً، وأما النار
 فلا يعذب بها إلا المستحق
رؤية المؤمنين لربهم
وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الفضلاء
ختم المؤلف أحاديث الصفات بعدد الرؤية كما صنع في آيات الصفات
أحاديث رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة متوازرة
لفظ الجهمية إذا أطلق يتناول المعتزلة
أهل السنة وسط في باب الصفات بين أهل التعبيل وأهل التمثيل...
أهل السنة وسط في باب أعمال الله بين الجبرية، والقدارية
أهل السنة وسط في باب وعياً الله بين الممتدة، والخوارج والمعتزلة
الخوارج والمعتزلة متفقون على تخليد مرتكب الكبيرة في النار...
نصوص الوعد مقيدة بنصوص التوبة، ويبقى تعالى:
إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَفِّضُ أَنَّ يُشَنِّكُكَ وَيَنَصُّوَكَ خَروج الموحدين من النار...
أهل السنة وسط في أسماء الإيمان والذين بين الحرورية
المعتزلة وبين الممتدة والجهمية
الخوارج يقولون مرتكب الكبيرة في الدنيا كافر
المعتزلة يقولون مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين...
المرجع يقولون مرتکب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان
187 تفصيل مذهب أهل السنة في باب الأسماء والأحكام
187 أهل السنة وسط فيما يجب للصاحبة بين الراجفة والخارج
188 الخوارج شر النواصب، والراجفة شر منهم
189 الجمع بين علوي الله ومعيته
190 سبب تخصص المؤلف هذا الفصل مع أنه سبق الكلام عليه
191 معنى أن الله في السماء أي في العلوي فوق جميع المخلوقات
192 هذا الفصل ينبغي حفظه
193 لا مناقفة بين علوي وفوقه، وقربه ومعيته تعالى
194 اعتقاد أهل السنة في القرآن
195 هذا الفصل من أعظم فصول العقيدة
196 معنى قول أهل السنة في القرآن (وإليه يعود)
200 لا يجوز إطلاق القول أن القرآن حكايـة عن كلام الله أو عبارة
200 أضيف القرآن للفظ القول إلى جبريل ومحمد ﷺ إضافةبلاغ
201 الجهمية والمعتزلة يقولون: القرآن ليس كلام الله حروفه
202 ومعانيه بل الكل مخلوق
202 الأشاعرة يقولون في القرآن: المعنى كلام الله، والحروف معبـ
202 عنها عن تلك المعاني
202 أهل السنة يقولون: القرآن كلام الله حروفه ومعانيه
204 يرى المؤمنون رهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس
205 عرشات القيامة: ساحتها وموافقتها
206 أحوال الناس بعد الموت وبعد البث
207 الدور الثالثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، والدار الآخرة
القيامة تقيامتان: صغرى، وكبيرة
دل القرآن والسنة المتوازاة على عذاب القبر
الناس يفتنون في القبور، وبعدها إما نعيم أو جحيم
الحكمة من خفاء ما في القبر
من أصول أهل السنة الإيمان بنعيم القبر أو عذابه
أنكر الزناقة والملاحدة وبعض المجتهدات عذاب القبر
الرد على من لم يؤمن إلا بالمحسوسات
قد يكشف الله لبعض الناس شيئا من أحوال القبور
ذكر بعض الأمور التي تكون يوم القيامة
أنكر المعتزلة الميزان
محاسبة الله للخلائق وخلوه بعيده المؤمن
قال ابن تيمية: القفارات لا يحاسبون محاسبة من توزن حسائسه وسياسته
قال الشيخ البراك: ظاهر القرآن أن الكفارات توزن أعمالهم
وجوب الإيمان بالحوض والصراط
أحاديث الحوض متواترة
صفات الحوض
هل الحوض قبل الصراط أو بعده؟
أنكر الخوارج وبعض المعتزلة الحوض
الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة من نهر الكوثر
يعبر الناس على الصراط بحسب سيرهم على الصراط المستقيم
من عبر الصراط تجاوز الخطر، ودخل الجنة من أول وحلة
يسبق النصوص يشعر بأن العبور على الصراط خاص بأهل
الإيمان والمستثنين إليهم
الأمم الكافرة كاليهود والنصارى وعباد الأوثان لا يمرون على الصراف

يوقف المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار، ويقصص لبعضهم من بعض

النبي محمد رضي الله عنه أول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمه

شفاعات النبي محمد

الشفعاء الأولى للنبي محمد، وهي: الكبري، وهي: المقام المحمود

الشفعاء الثانية للنبي محمد شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها

الشفعاء الثالثة: في أهل الكبار للنبي محمد وليغمر من الأنيباء والصالحين

الشفعاء في أهل الكبار أن يكرا الخوارج والمعتزلة

يخرج الله أقواما بغير شفاعة

يقيم في الجنة فضل فئشئ الله لها أقواما فيدخلهم الجنة

تفاصيل ما تضمنت الدار الآخرة وجود في الكتب المنزلة من السماء

الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين

أنواع التقديرات

الإيمان بالقدر لا يتم إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة

غلابة القدر أنكروا العلم والكتاب

المعتزلة أنكروا علوم بشيئ وخلق

اختلاف الناس في إيمانهم بالقدر والقدر

المعتزلة آمنوا بالقدر وأنكروا القدر

المشروكون والجزيرة آمنوا بالقدر وأعرضوا عن الشرع

الإبليسية زعموا أن بين الشرع والقدر ناقض

أهل السنة يؤمنون بالقدر والشرع

ما يضمنه الإيمان بالشرع

لا يستقيم أمر العباد بل لا تستقيم الحياة إلا بالإيمان بالشرع والقدر
244. عند المصاب عليك أن تتذكر إلى القدر
245. عند المعاصي عليك أن تتذكر إلى الشرع
246. نفي القدرة الجبرية الحكمة في أفعال الله
247. مذهب أهل السنة في الإيمان ومرتب الكبيرة
248. المرجحة يقولون: الإيمان تصديق القلب
248. الجهمية يقولون: الإيمان المعرفة
248. الكرامية يقولون: الإيمان التصديق باللسان
249. تعقب الشيخ لقول الكرامية
249. مرجه الفقهاء يقولون: الإيمان تصديق القلب وإقرار اللسان.
249. أئمة أهل السنة يتكرر جميع الأقوال المتقدمة
249. الأدلة من السنة على دخول العمل في الإيمان
250. شرح قول أهل السنة في الإيمان
251. الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص من أوثي علمه وبصيرة فإنه يحس بزيادة الإيمان وينقصه
252. المرجحة والمعتزلة والخارج عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص
253. حكم مرتب الكبيرة
254. بعض المعاصي توجب الكفر، وأمثال لذلك
254. الخوارج يكفرون مرتب الكبيرة، وبعضهم يكفر مرتب الصغيرة
254. الأدلة على أن مرتب الكبيرة لا يكفر
255. المعطلة يسلمون مرتب الكبيرة الإيمان ولا يكفرونه
256. الفاسق المبلى لا يعترف بالإيمان المطلق ولا يسلم مطلق الإيمان
259. مذهب أهل السنة في الصحابة وآل النبي وزوجاته
263. من أصول أهل السنة سلامة قلوبهم من بعض الصحابة.
الصحابه مراتب، وبعض الصحابه أكمل صحة من بعض

264 براءة أهل السنة من طريقة الروفاض والرماص
265 أهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار
265 أهل السنة يعرفون لأهل بدر وبيعة الرضوان فضيلتهم
266 في بيعة الرضوان بايع الصحابه على ألا يفروا وفي رواية على الموت
266 أسماه العشرة المبشرين بالجنة
267 ثابت بن قيس والحسن والحسين بشروا بالجنة
267 توأتر عن علي ﷺ أن أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ
267 أبو بكر ثم عمر

أهلا السنة يقولون أفضل الصحابة الخلفاء الراشدين، وترتيبهم

267 في الفضل على ترتيبهم في الخلافة
268 وقع خلاف في القديم بين أهل السنة في المفاضلة بين علي وعثمان
268 استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي
268 من طعن في خلافة أحد من الخلفاء الراشدين فهو أفض من حمار أهل
268 من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار
269 أهل السنة يعرفون لقرابه النبي ﷺ فضلهم
270 أهل السنة يحبون أزواج النبي ﷺ
270 زوجات النبي ﷺ في أولى من يدخل في مسمى آل البيت
270 فضل خليفة وعائشة رضي الله عنهم
271 خلاف أهل العلم في المفاضلة بين خليفة وعائشة
272 موقف أهل السنة من شجر بين الصحابة
272 أهل السنة يمسكون عن الحديث فيما شجر بين الصحابة
273 تسخير ما حدث بين الصحابة لا خير فيه إلا من يكتب للردو على شبه المبطلين
الجواب عما نقل في مسائل الصحابة

أهل السنة لا يقولون بعصمة الصحابة بل تجوز عليهم الذنوب...

الصحابة هم خير القرون لا كان ولا يكون مثلهم...

الجواب عما ورد في صفة الغرباء، وأن للعامل أجر خمسين من الصحابة...

من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء...

الخضير ولي لا ينفي على القول الصحيح...

كرامات الأولياء لا تزال جارية إلى قيام الساعة...

طريقة أهل السنة اتباع آثار الرسول والصحابة...

الإجماع هو الأصل الثالث المعمد في العلم والدين...

الإجماع الذي يضبط هو ما كان عليه السلف الصالح...

ما سنة الخلفاء الراشدون ولم يختلفوا فيه ولم يخالف الكتاب...

والسنة فهو سنة ماضية...

أختلف أهل العلم في ما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة...

الإجماع دليل تابع للكتاب والسنة...

أهل السنة يزرون بالأصول الثلاثة أقوال وأفعال الناس...

منهج أهل السنة في التعامل مع الناس...

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين...

أهل السنة يقيمون شرائع الإسلام مع الأمراء أبصارا أو فجارية...

الرافضة يقولون أنه لجهاد إلا مع إمام معصوم...

الثوابطة الإسلامية تعني الشعر باللاء، وأعمال المسلمين...

أكثر تعامل الناس الآن على أساس الروابط الجاهلية...

دعوة أهل السنة إلى الأخلاق الكريمة...

أهل السنة ينوهون عن الفخر والخيلاء والبغي...
المنهج العام لأهل السنة وحقيقته .................................................. 292
الفرقة الناجية هي المتمسكة بالإسلام المحض .................................. 294
أهل الفرقة الناجية على مراتب كثيرة وهم إجمالاً طبقتان .............. 294
لا يصح في الأبدال حديث ................................................................. 295
معنى الأبدال صحيح واقع ................................................................. 295
مفهوم أهل السنة والجماعة أوسع من مفهوم الفرقة الناجية ........... 297
قول النبي ﷺ "لا تزال طائفة..." المقصود جنس الطائفة ................. 297
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>9</td>
<td>معلومات النسخ الخطيّة</td>
</tr>
<tr>
<td>15</td>
<td>ترجمة الشيخ عبد الرحمن الراك</td>
</tr>
<tr>
<td>21</td>
<td>مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة</td>
</tr>
<tr>
<td>32</td>
<td>مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات</td>
</tr>
<tr>
<td>28</td>
<td>بعث الله رسله في صفاته بالنفي والإثبات</td>
</tr>
<tr>
<td>05</td>
<td>إثبات العلم لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>22</td>
<td>إثبات القوة والسمع والبصر والإرادة</td>
</tr>
<tr>
<td>74</td>
<td>إثبات صفة المحبة لله</td>
</tr>
<tr>
<td>75</td>
<td>إثبات صفة الرحمة لله</td>
</tr>
<tr>
<td>82</td>
<td>إثبات الرضا والغضب لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>88</td>
<td>إثبات الإيان والمحب لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>93</td>
<td>إثبات الحب والذين والمعبدين لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>104</td>
<td>إثبات السمع والرؤية والقدرة والعزة</td>
</tr>
<tr>
<td>110</td>
<td>نفي النقائص عن الله كالكافء والنذور والولد والشريك</td>
</tr>
<tr>
<td>123</td>
<td>إثبات استواء الله تعالى على عرشه</td>
</tr>
<tr>
<td>120</td>
<td>علو الله تعالى ومعيته لعباده</td>
</tr>
<tr>
<td>140</td>
<td>إثبات صفة الكلام لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>150</td>
<td>ثبوت نزول القرآن من الله</td>
</tr>
<tr>
<td>152</td>
<td>إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة</td>
</tr>
</tbody>
</table>
إثبات النزول والفرح والضحك والعجب والقدم ................................................. 158
رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق ....... 177
من الإيمان بالله وكتب: الإيمان بعلوه ومعيته ........................................... 190
لا منافاة بين علوه وفوقته، وقربه ومعيته ........................................... 195
اعتقاد أهل السنة في القرآن ........................................................................ 197
من الإيمان بالله ورسله: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة .... 204
أحوال الناس بعد الموت، وبعد البعث .......................................................... 206
محاسبة الله للخلق ......................................................................................... 216
وجوب الإيمان بالحوض والصراط ...................................................................... 219
إثبات شفاعات النبي ...................................................................................... 227
كلمة مجملة عن اليوم الآخر ......................................................................... 232
مذهب الفرقة الناجحة في الشرع والقدر وأعمال العباد .............................. 234
مذهب أهل السنة في الإيمان، ومرتكب الكبيرة .................................................. 247
مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله، وقربهم، وأزواجه .................................. 259
موقع أهل السنة والجماعة مما شجر بين الصحابة ......................................... 272
الإيمان بكرامات الأولياء ............................................................................. 278
اتباع أهل السنة لأثار الرسول والصحابة، وإجماع الأمة .......................... 280
منهج أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع الناس ......................................... 284
دعوة أهل السنة والجماعة إلى الأخلاق والآداب الكريمة ......................... 288
منهج العام لأهل السنة، وحقيقة تفاصيل ...................................................... 292
فهرس الأحاديث ................................................................................................. 299
مراجع التحقيق .................................................................................................. 307
الفهرس التفصيلي ............................................................................................. 317
فهرس المحتويات .............................................................................................. 333